# الهداية في البيان والمعاني

# في علم الحكمة

الشيخ أبو تراب بن محمد حسين القزويني

وفي حاشيته

## من ثمرات الأفكار

للشيخ السعيد القريشي

تحقيق وتعليق

لجنة السيد الأمجد

دار المحجة البيضاء

# الهداية
# في علم البيان والمعاني

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م

ISBN 978-614-426-812-4

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

# الهداية
# في علم البيان والمعاني

الشيخ أبو تراب بن محمد حسين القزويني

وفي حاشيته

من ثمرات الأفكار

الشيخ سعيد القريشي

تحقيق وتعليق

لجنة السيد الأمجد

موقع الأوحد
Awhad.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة لجنة التحقيق

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولعنة الله الدائمة على اعدائهم أجمعين أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى قيام يوم الدين آمين رب العالمين.

أما بعد، قال رسول الله ﷺ (وَمَنْ أَكْرَمَ عَالِماً فَقَدْ أَكْرَمَنِي وَمَنْ أَكْرَمَنِي فَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهَ وَمَنْ أَكْرَمَ اللَّهَ فَمَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِلْعَالِمِ كَمَا يَغْضَبُ الْأَمِيرُ الْمُسَلَّطُ عَلَى مَنْ يَعْصِيهِ أَلَا فَاغْتَنِمُوا دُعَاءَ الْعَالِمِ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُ فِيمَنْ دَعَاهُ وَمَنْ صَلَّى صَلَاةً وَاحِدَةً خَلْفَ عَالِمٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى خَلْفِي وَخَلْفَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ أَلَا فَاقْتَدُوا بِالْعُلَمَاءِ خُذُوا مِنْهُمْ مَا صَفَا وَدَعُوا مِنْهُمْ مَا كَدِر)[١].

لقد جاهد علماء التشيع على مدى العصور بشتى أنواع الجهاد العلمي، وخلف الكثير منهم تراثاً علمياً يحكي عن رسوخ قدمهم في العلم، وتعمقهم في الآيات القرآنية والروايات المعصومية وتفكرهم في الآيات الآفاقية والأنفسية، ومن جملة هؤلاء العلماء الأجلاء هو العلامة الجليل الشيخ (أبو تراب بن محمد حسين القزويني)، فكان من الواجب علينا تجاه هذا الجهاد العظيم بل لعله يكون هو من أقل واجباتنا هو نشر هذه العلوم التي جاهدوا في إبرازها وإخراجها، لعل

---

(١) جامع الأخبار ص٣٨.

هذا العمل يكون أحد مصاديق إكرام العلماء كما في الحديث الذي ذكرناه عن النبي الأعظم ﷺ، ولهذا السبب قامت لجنة السيد الأمجد للطباعة والنشر والتحقيق بطباعة هذا الكتاب الذي نسأل الله تعالى بحق محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ان يجعل فيه الفائدة والمنفعة للمؤمنين والمؤمنات.

ومن الواجب هنا أن نذكر أن ثمة تعاون بين أطراف متعددة لإخراج هذا الكتاب بالصورة التي بين يدي القارئ الكريم، وكان هذا التعاون بتوجيهات مولانا الحكيم الإلهي والفقيه الرباني ميرزا عبد الله الأحقاقي دامت بركاته، وأنه أيده الله تعالى هو الراعي الأول لهذا المشروع وهو مشروع إحياء تراث مدرستنا المباركة أعني مدرسة الشيخ الأوحد رضوان الله عليه.

ولا يفوتنا في هذه المقدمة أن نتقدم بالشكر الجزيل لهذه الطراف التي تعاونت بصورة رائعة طباعة هذا الكتاب ونشره، وأول من نتقدم بالشكر لهم هو الحاج المؤمن رياض طاهر البستاني والذي زودنا بالنسخة الوحيدة التي اعتمدنا عليها من هذا الكتاب.

كما نتقدم بالشكر للشيخ الفاضل سعيد القريشي أيده الله والذي كانت له لمسات واضحة وتعليقات رائعة على حاشية هذا الكتاب أسماها (ثمرات الأفكار).

وأخيراً الشكر الجزيل للأخ العزيز الشيخ حيدر الحرز والذي كانت له جهود جليلة في التعاون مع اللجنة في تصحيح وتحقيق الكتاب.

**لجنة السيد الأمجد**

**للطباعة والنشر والتحقيق**

**١٥ رمضان المبارك ١٤٣٨ هجري الموافق ١٠ يونيو ٢٠١٧م**

# ترجمة المصنف

## ترجمة العلامة الجليل
## الشيخ أبو تراب القزويني أعلى الله مقامه

### بسم الله الرحمن الرحيم
### وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

لقد أهمل التاريخ الكثير من العلماء الذين ساهموا في نشر المعرفة والعلم من خزائن محمد وآله الطيبين الطاهرين، وقد قصرت كتب التراجم على وفرتها بالكثير منهم، وأعطت آخرين معلومات ضئيلة جداً.

من هؤلاء الكبار العالم الفاضل الجليل أبو تراب بن محمد حسين القزويني الذي يعد من أكابر علماء الشيعة، ومن الذين أثروا المكتبة الشيعية بالعديد من المؤلفات والكتب.

**نشأته:**

لم تتوفر لنا أي معلومات عن تاريخ مولده ونشأته ولا عن تفاصيل دراسته الدينية، إلا الشيء اليسير، ولا شك أنه تلقى الدروس الدينية في صغره مما أهله لا حقاً للسفر إلى كربلاء المقدسة.

## المسيرة العلمية:

شد هذا العالم رحله إلى كربلاء المقدسة والتحق بحوزة آية الله المعظم السيد كاظم الحسيني الرشتي أعلى الله مقامه واستفاد منه كثيراً.

وقد كان يكن لأستاذه السيد الرشتي الإجلال والإكبار فيقول عنه: (السيد المفضال عليه الرحمة والثواب من رب الأرباب)[١]، وقال كذلك: (مولانا وسيدنا وحبيبنا وأستاذنا سيد العرب والعجم وفخر الأمم النائب للقائم السيد كاظم الرشتي أطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداه)[٢].

كما شارك الشيخ الجليل بالتدريس في حوزة السيد الأمجد، وممن تتلمذ عليه الشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي أعلى الله مقامه، فقد حضر لديه في مباحثة كتاب شرح الفوائد للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي أعلى الله مقامه، وقد وثق الشيخ أبو خمسين هذه المرحلة من عمره في كتابه مفاتيح الأنوار، يقول قدس سره: (إلى أن خطر ببالي ـ في بعض الأيام ـ أني أتشرف بخدمة العالم العامل، والفاضل الكامل، ذي المناقب والمفاخر، وذي المزايا والمآثر، العارف الأجل، والعالم البدل، الجامع بين العلم والعمل، كهف ذوي الألباب، والولد الحقيقي لذلك الجناب، ملا أبي تراب، واعرض بخدمة جنابه الشريف ـ أزاده الله علواً وتشريفاً ـ من طرف المباحثة معه في كل يوم ساعة في شرح الفوائد، ففعلت ذلك.

فأجاب دعائي ـ سلمه الله تعالى من كل شر، بحق محمد وآله سادات البشر ـ وقمت أحضر كل يوم ساعة من النهار في مجلسه الشريف، ومحضره اللطيف، بعد الظهر مدة مديدة، وأشهر عديدة،

---

(١) كتاب الهداية، مخطوط ص٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٧.

إلى أن أقتضى حوادث الزمان، وعوائق الدهر الخوان، المفارقة بيننا، بسبب سفره إلى أطراف العجم)[١].

يبين هذا النص مدى العلاقة بين الشيخ أبو تراب وبين السيد الرشتي وتلخصها كلمة (والولد الحقيقي لذلك الجناب)، كما أنه يشير إلى المنزلة العلمية التي وصل إليها الشيخ أبو تراب رحمه الله.

وصف عالمنا الجليل بـ (فاضل عارف... له اطلاع واسع بالعلوم الدينية)[٢]، وكذلك بأنه له مؤلفات: (تُلقي أضواءً على طبيعة توجّهاته العلمية حيث تكشف عن اهتمامه المتميّز بعلم أُصول الدين والموضوعات العقائدية والعرفانية، واطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية)[٣]. وفي موسوعة علماء الإمامية وصف بـ(عارف متفقه له اطلاع واسع على العلوم الدينية)[٤]

## سفره:

لم نستطيع تحديد تاريخ سفره إلى إيران بالدقة، ولكن الشيخ محمد بو خمسين انتهى من كتابه مفاتيح الأنوار سنة **١٢٥٧**هـ وقد ذكر فيه رحلة أستاذه إلى إيران، فيكون سفره في تلك السنة أو قبلها بقليل. وقد كان في طهران سنة **١٢٥٩**هـ حسب ما أفاده في كتابه الهداية. وفي سنة **١٢٦٢**هـ كان بمدينة اشتهارد، وفي سنة **١٢٦٦**هـ كان في مدينة لنگرود وكذلك في نفس السنة زار مدينة أبهر[٥].

(١) مفاتيح الأنوار، ج١ ص٧٢.

(٢) تراجم الرجال، ج١ ص٤٠ ترجمة ٦٠.

(٣) معجم طبقات المتكلمين، ج٥ ص١٩ ترجمة ٥٤٧. موسوعة مؤلفي الإمامية ص٥١٧.

(٤) موسوعة مؤلفي الإمامية، ج١ ص٥١٧.

(٥) راجع معجم طبقات المتكلمين، ج٥ ص١٩.

**مؤلفاته:**

في الحقيقة لا نستطيع الجزم بعدد مؤلفاته، ولكن ذكر له في كتب التراجم العديد من الرسائل وهي[1]:

١ ـ الهداية في علم البيان والمعاني، فرغ منه سنة **١٢٥٩**هـ بطهران[2].

٢ ـ إرشاد الطالبين في أُصول الدين بالفارسية، أتمّه في سنة **١٢٦٠**هـ. بحث عن أصول الدين استناداً إلى العقل والنقل وختمه بمنزلة العلماء والفقهاء. نسخة منه في مكتبة المرعشي بخط المؤلف.

٣ ـ الأصول الاعتقادية بالفارسية، فرغ منه في سنة **١٢٦٦**هـ. بحث أصول الدين وفروعه مقسماً إياهما إلى ضروري ونظري. توجد نسخة منه في كلية الالهيات في مشهد بخط مؤلفه.

٤ ـ أصول الدين بالفارسي: دراسة مختصرة في أصول الدين كتبها للعوام. توجد مخطوطة منها في مكتبة السيد المرعشي.

٥ ـ أصول الدين: في العقائد الضرورية للعوام، بالفارسي، نسخة منه في مكتبة المرعشي.

٦ ـ أصول الدين: رسالة مفصلة في أصول الدين بالفارسية، توجد بكلية الإلهيات في مدينة مشهد المقدسة.

---

(١) راجع في مؤلفاته المصادر التالية: موسوعة مؤلفي الإمامية ج١ ص٥١٧. تراجم الرجال ج١ ص٤٠. معجم طبقات المتكلمين ج٥ ص١٩.

(٢) لم نجد لهذا الكتاب ذكراً في كتب التراجم إلا أننا حصلنا على مخطوطة له وقد صرح فيه باسمه، ومنه يتبين أن له العديد من الرسائل المفقودة التي لم تقع في أيدي المترجمين.

٧ ـ أصول الدين الخمسة عند الشيعة: أتمه في مدينة أبهر سنة ١٢٦٦هـ، نسخة منه في كلية الالهيات بمشهد.

٨ ـ الأنوار الجامعة، فارسي، مخطوطة منه في المسجد الأعظم بقم.

٩ ـ تحصيل العلم في أصول الفقه، فرغ منه سنة ١٢٦٠هـ بطهران، وتوجد مخطوطة منه في مكتبة المرعشي بخط المؤلف.

١٠ ـ ترجمة الصلاة، فارسي. نسخة منه في مكتبة العتبة الرضوية المقدسة.

١١ ـ شرح دعاء السحر، فارسي. توجد مخطوطة في مكتبة مجلس الشورى بطهران، ونسخة بالمكتبة المركزية بجامعة طهران.

١٢ ـ شرح أشهد أنك طهر طاهر مطهر باللغة العربية توجد نسخة منه في مكتبة المرعشي بخط المؤلف.

١٣ ـ شرح عدة أبيات لحافظ الشيرازي بالفارسي، توجد نسخه في مكتبة مجلس الشورى وفي مكتبة المرعشي.

١٤ ـ الشريعة والحقيقة أكد أن الشريعة والحقيقة أمر واحد. توجد في مكتبة المرعشي.

١٥ ـ العقائد الخمسة بالفارسية، فرغ منه سنة ١٢٦٦هـ بقرية كياكلايه في لنگرود. توجد مخطوطة منه في كلية الالهيات بمشهد.

١٦ ـ العقائد الضرورية بالفارسية، فرغ منه في ١٢٦٢هـ بمدينة اشتهارد. توجد نسخة منه في المكتبة المركزية بجامعة طهران.

١٧ ـ الفوائد، توجد نسخة منه بكلية الالهيات بمشهد بخط المؤلف.

١٨ ـ فوائد نافعة، في مواضيع فلسفية، فرغ منه سنة **١٢٦٦**هـ بأبهر، توجد مخطوطته في كلية الالهيات بمدينة مشهد.

١٩ ـ المعارف الالهية: رسالة ناقصة من دون فصول حول الشكر وعلم السلوك وتقوى الخواص فرغ منه سنة **١٢٦٦**هـ توجد نسخة منه في كلية الالهيات بمشهد بخط المصنف.

٢٠ ـ مقامات أهل العرفان، فرغ منه في **١٢٦٦**هـ بأبهر توجد نسخة منه في كلية الالهيات بمشهد.

٢١ ـ نوادر العقائد في العقائد الخمسة بالفارسية كتبه في ٦ أبواب عام **١٢٦٢**هـ باشتهارد، نسخة منه في جامعة طهران.

٢٢ ـ هداية المسترشدين في معرفة أصول الدين فارسي كتبه في سبعة أبواب توجد في مكتبة مجلس الشورى وفي المرعشي كذلك.

هذا ما ذكر في كتب التراجم، وهل هي ثابتة النسبة له قطعاً فهذا يحتاج إلى مزيد متابعة، والاطلاع على المخطوطات نسأل الله تبارك وتعالى أن يسهل علينا ذلك بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ولم أحصل إلا على كتاب الهداية بقلمه، وهو من مخطوطات مكتبة العلامة الحائري بكربلاء المقدسة، والتي أسسها آية الله المولى الميرزا علي الحائري الإحقاقي أعلى الله مقامه، حيث زودني بصورة منها الشيخ رياض طاهر البستاني حفظه الله.

## منهج الشيخ أبو تراب:

وصف الشيخ في كتاب تراجم الرجال بـ: (متوغل في التصوف)(١) وأظن أن هذا الوصف هو اشتباه غير مقصود من مؤلف كتاب تراجم

(١) تراجم الرجال، ج١ ص٤٠.

الرجال[١]، فقد يحتمل أنه رأى بعض مؤلفات الشيخ أبو تراب ورأى بعض الاصطلاحات العرفانية فضنها أنها صوفيه.

والحال أن الشيخ أبو تراب من تلامذة السيد الرشتي والكل يعلم مدى القطيعة بين مدرسة الشيخ الأوحد وبين الصوفية وشيخهم الأكبر محي الدين بن عربي الذي يسميه الشيخ الأوحد بـ(مميت الدين)، ولن أزيد هنا عن نقل بعض العبارات التي تبين رؤية الشيخ أبو تراب للصوفية من كتابه الهداية.

١ ـ قال رحمه الله: (ومن المحجوبين من الفرق الباطلة الغلاة والصوفية)[٢].

٢ ـ وقال: (وأما الصوفية كالحلاجية والبسطامية وغيرهم قالوا أنه تعالى وتقدس حال في جميع المخلوقات، ومنهم من أوضح هذا المذهب وقال أنه تعالى سار في هذا العالم سريان نفس الواحد منا في بدنه. أقول كما قال عليه السلام: (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيأة فشبهوك وجعلوا بعض آياتك أربابا ومن ثم لم يعرفوك يا سيدي)[٣].

٣ ـ قال: (وهذا هو مذهب الصوفية خذلهم الله)[٤].

أعتقد أن هذه العبارات كافية في توضيح منهج الشيخ أبو تراب فهو يرى أن الصوفية من الفرق المخذولة ومن المحجوبين عن الحق، وينزه الله تعالى عما يقوله الصوفية من اعتقاد باطل.

---

(١) جزى الله السيد الحسيني كل خير على جمعه وإحياءه لتراجم العديد من علماء الشيعة، وما الفاتنا هنا إلى هذه الإشارة إلا لتبين الواقع ورفع الشبهة عن أحد علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

(٢) الهداية، مخطوط ص٢٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص١٦٣.

بهذا يتضح أن المنهج الولائي الذي تربى عليه الشيخ أبو تراب في حوزة السيد الرشتي جعلت منه يرفض رفضاً قاطعاً تلك المشوهات من الصوفية وغيرهم ويعتمد المنهج الصافي الخالص.

## وفاته:

لم أجد أي معلومة حول تاريخ وفاته وأين كانت إلا أننا إذا قطعنا بنسبة الرسائل إليه فيكون آخر ما كتب في سنة **١٢٦٦**هـ فقد تكون وفاته في هذه السنة أو بعدها.

## وقفة مع كتاب الهداية:

بعد حضور الشيخ أبو تراب في حوزة السيد الرشتي بكربلاء المقدسة، قرر أن يرجع إلى إيران في زيارة إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، فمر في سفره بمدينة طهران، وقد عرضه الرمد فيها فاضطر أن يجلس فيها قليلاً من الوقت، وهناك كانت له مباحثات مع عدة من علمائها وطلبتها، فوجد فيهم الاهتمام بفروع الدين وإهمال الحكمة الإلهية ـ ولا نقصد بالحكمة هنا البحوث الفلسفية بل المقصود بها معارف الأئمة الطاهرين في معرفة المبدأ والمعاد ومعرفة المقامات النورانية لهم عليهم السلام ـ فما كان من بعض المعممين إلا أن رموه بالغلو والضلال. يشرح الشيخ حالته في طهران فيقول:

(وكنت هناك غريباً فريداً بين الناس، في زمان قد مد الجور باعه، وأسفر الظلم قناعه، ودعى الغي أتباعه، فلبوه من كل جانب ومكان، وكانت الدولة للظالمين الجاحدين طريق الحق والصواب مما أراد رب الأرباب من معرفته ومعرفة الأئمة الأطياب عليهم السلام، من العقائد الضرورية الإسلامية والإمامية، بحيث: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١] وكان أمرهم محصوراً في تحصيل الفروع والقشور الدنياوية دون الحكمة التي قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢]، وأما في عقائدهم ومعارفهم الإلهية، ومعرفة أمنائه وحججه وفضائلهم وما ينسب إليهم من الكمالات الفعلية المتعلقة بالمفعولات، ومقاماتهم وعلاماتهم التي لا تعطيل لها في كل مكان، فكانوا نابذين وراء ظهورهم، وإذا قيل لهم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم قالوا يكفينا الإجمال فيها، فإذا عرض عليهم تفصيلها أنكروه ونسبوا أهل المعرفة إلى الضلال، ورموهم إلى الغلو والإضلال، وأتوا من باب الجحد والجدال فظلموهم وكذبوهم ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.

اللهم إنا نشكو إليك غيبة إمامنا، وقلة ناصرنا، وكثرة عدونا، وشدة الزمان علينا، ووقوع الفتن بنا، وتظاهر الخلق علينا، يا رب فرج ذلك بفرج منك تعجله، ونصر تعزه، وحق تظهره، اللهم ابعث بقائم آل محمد لنصر دينك، وإظهار حجتك، والقيام بأمرك، وتطهير أرضك من أرجاسها، اللهم إني أعوذ بك أن أوالي لك عدواً، أو أعادي لك ولياً، أو أقول لحق هذا باطل، وأقول للباطل هذا حق، أو أقول للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً)[٣].

هذه الأسباب وغيرها دعت المؤلف أن يكتب كتابه الهداية ويشرح فيه السفر من هذا العالم الضيق إلى العالم الرحب الوسيع ويشير إلى علامة المسافر إلى الله تعالى ويشرح كذلك معرفة أهل البيت عليهم السلام النورانية، وقد قدم له بمقدمات مهمة تفيد طالب العلم كثيراً، وقد

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٣) الهداية، مخطوط ص٢ ـ ٣.

كتب الشيخ أفكاره بأسلوب سلس سهل على الأفهام واستدل على مطالبه بالعقل والنقل معاً.

وقد سمى كتابه بـ(الهداية في علم البيان والمعاني)، والمقصود بعلم البيان والمعاني ليس هو المعنى المعروف في البلاغة، بل المقصود بهما هما مقاما البيان والمعاني وهما المقامان الأولان لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وأما المقامان الآخران فهما الأبواب والإمامة ولمزيد التفصيل والتعرف على هذه المقامات نحيل القارئ العزيز إلى كتاب شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي أعلى الله مقامه عند شرح لفقرة (وموضع الرسالة).

هذا ما سنح من ترجمة لهذا العالم الجليل نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلها بقبول حسن بحق ساداتنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

**يوم السبت الخامس عشر من شهر رمضان المبارك**

**ذكرى ميلاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام**

**لسنة ١٤٣٨ هجري الموافق ١٠ يونيو ٢٠١٧م**

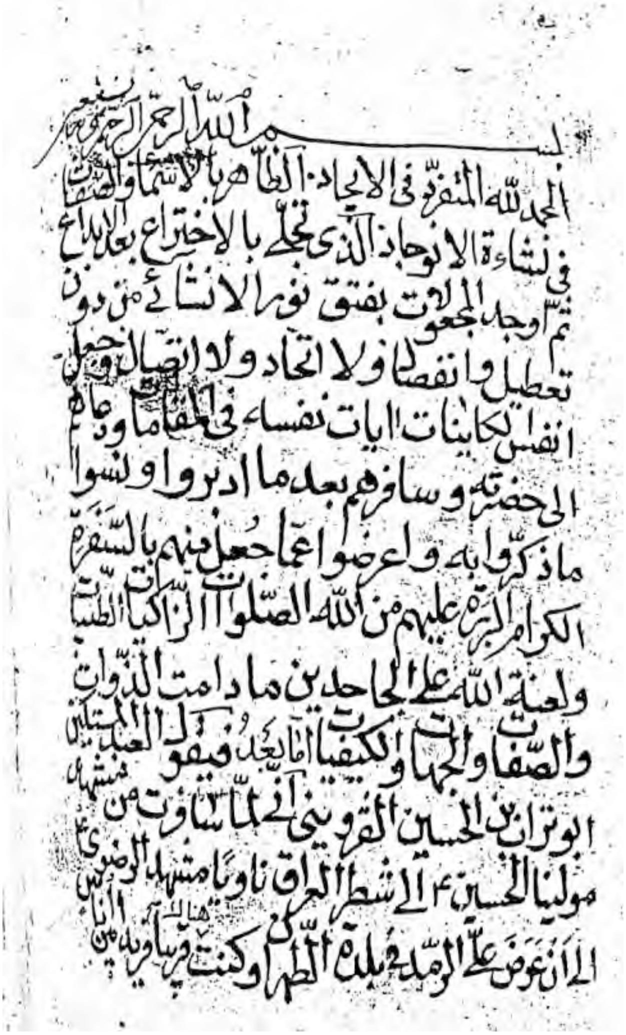
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله المتفرد في الايجاد، الظاهر بالاسماء والصفات
في نشاءة الانوجاد الذي تجلى بالاختراع بعد الابداع
ثم اوجد المجعولات بفتق نور الانشاء من دون
تعطيل وانفصال ولا اتحاد ولا اتصال وجعل
انفس الكائنات ايات نفسه في الافاق وما
الى حضرته وسائرهم بعد ما ادبروا ونسوا
ما ذكروا به واعرضوا عما جعل بينهم بالسفرة
الكرام البررة عليهم من الله الصلوات الزاكيات الطيبات
ولعنة الله على الجاحدين ما دامت الذوات
والصفات والجهات والكيفيات اما بعد فيقول العبد المستكين
ابو تراب بن الحسين القزويني اني لما سافرت من مشهد
مولينا الحسين ع الى شطر العراق ناويا مشهد الرضوي ع
الى ان عرض على الرمد في بلدة الطهران وكنت فيها

الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب الهداية بخط مؤلفه

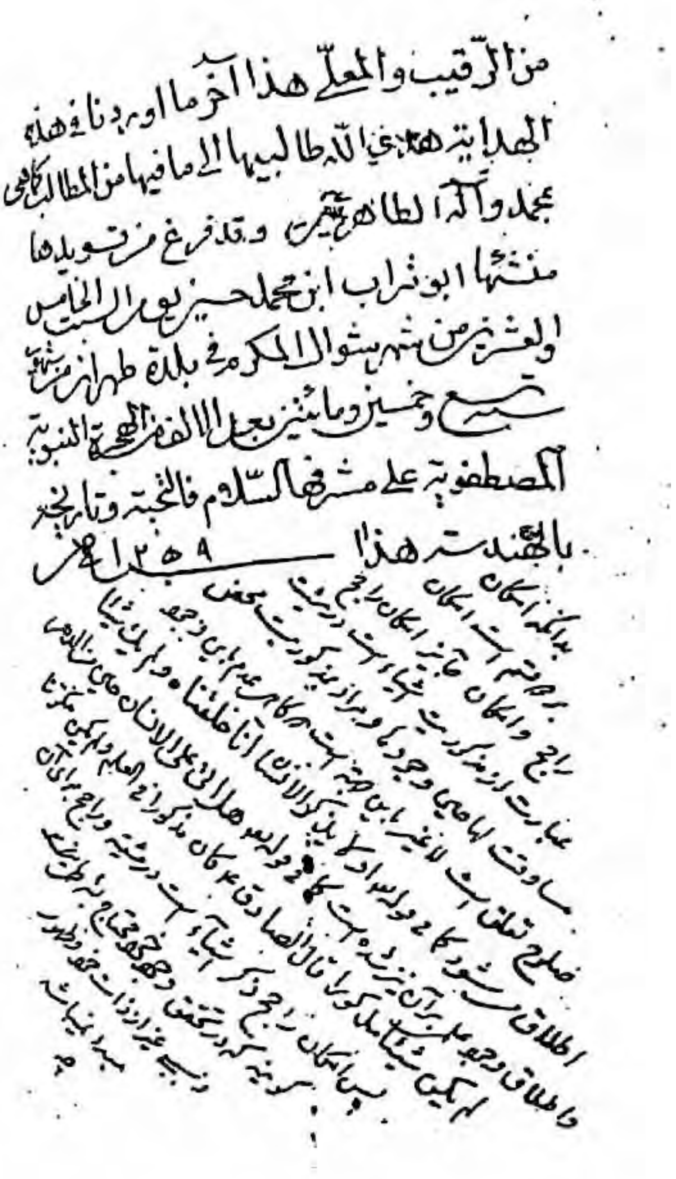
من الرقيب والمعلى هذا آخر ما أوردنا في هذه
الهداية هدى الله طالبيها إلى ما فيها من المطالب
بمحمد وآله الطاهرين وقد فرغ من تسويدها
منشئها أبو تراب ابن محمد حسين يوم السبت الخامس
والعشرين من شهر شوال المكرم في بلدة طهران من سنة
تسع وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية
المصطفوية على مشرفها السلام فالنجبة وتاريخه
بالهندسة هذا ١٢٥٩

الصفحة الأخيرة من مخطوطة كتاب الهداية بخط مؤلفه

# مصادر الترجمة


١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، دليل ما، إيران، ١٤٢٢هـ.

٣ ـ معجم طبقات المتكلمين، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران.

٤ ـ مفاتيح الأنوار، الشيخ محمد بو خمسين، تحقيق الشيخ عبد المنعم العمران، مؤسسة المصطفى، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٥ ـ موسوعة مؤلفي الإمامية، مجمع الفكر الإسلامي.

٦ ـ الهداية، مخطوط، الشيخ أبو تراب القزويني.

## [تمهيد]

### بسم الله الرحمن الرحيم

### وبه نستعين

الحمد لله المتفرد في الإيجاد، الظاهر بالأسماء والصفات في نشأة الانوجاد، الذي تجلى بالاختراع بعد الإبداع، ثم أوجد المجعولات بفتق نور الإنشائي من دون تعطيل وانفصال، ولا اتحاد ولا اتصال، وجعل أنفس الكائنات آيات نفسه في المقامات، ودعاهم إلى حضرته وسافرهم بعدما أدبروا ونسوا ما ذكروا به وأعرضوا عما جعل فيهم بالسفرة الكرام البررة، عليهم من الله الصلوات الزاكيات الطيبات، ولعنة الله على الجاحدين ما دامت الذوات والصفات والجهات والكيفيات.

أما بعد؛ فيقول العبد المستكين أبو تراب بن الحسين القزويني: إني لما سافرت من مشهد مولانا الحسين عليه السلام إلى شطر العراق ناويا مشهد الرضوي عليه السلام، إلى أن عرض علي الرمد في بلدة الطهران، وكنت هناك غريباً فريداً بين الناس، في زمان قد مد الجور باعه، وأسفر[1] الظلم قناعه، ودعى الغي أتباعه، فلبوه من كل جانب ومكان، وكانت الدولة للظالمين الجاحدين[2] طريق الحق والصواب

---

(١) أسفر أي كشف قناع أوسع من المقنعة [منه قدس سره].

(٢) التعليقة ١: في مبنانا الحكمي أن الدنيا ما دامت في قوس النزول فالدولة=

مما أراد رب الأرباب من معرفته ومعرفة الأئمة الأطياب عليهم السلام، من العقائد الضرورية الإسلامية والإمامية[١]، بحيث ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٢] وكان أمرهم محصوراً في تحصيل الفروع والقشور الدنياوية دون الحكمة التي قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣]، وأما في عقائدهم ومعارفهم الإلهية، ومعرفة أمنائه وحججه وفضائلهم وما ينسب إليهم من الكمالات الفعلية المتعلقة بالمفعولات، ومقاماتهم وعلاماتهم التي لا تعطيل لها في كل مكان[٤]، فكانوا نابذين وراء ظهورهم، وإذا قيل

---

=ستكون على الغالب للظالمين الأشرار إلا ما ندر، والسبب في ذلك أن كل مقدمات وشروط وأساسات دولة الباطل متوفرة لذلك هي مستمرة، إلى حين تبدأ الدنيا في قوس الصعود فتبدأ دولة الحق بالظهور بظهور مقدماتها، وهذا ما ثبت في علم الاجتماع السياسي أن الدولة تخرج خروجاً كالبركان بمجرد نضج شروطها، وهناك جملة من الأحاديث تحدثت عن كيفية اكتمال تلك الشروط فراجع. (من ثمرات الحكمة).

(١) التعليقة ٢: أقول الضرورة في اللغة الحاجة أو الحاجة التي لا غنى عنها، وفي الاصطلاح الشيء الذي لا يحتاج في ثبوته إلى دليل وهي المقصودة في نص المؤلف، أي ما يدعو له المؤلف في كتابه هذا من فئة الضرورات العقائدية لذلك يستغرب من نكرانها.ولعل مراد المؤلف الإمامية الاثنا عشرية أي التي تؤمن أن منصب الإمامة بالنص ومن يحتل ذلك المنصب بالنص أيضاً وعددهم أيضاً بالنص وهم علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي الحجة سلام الله عليهم أجمعين. (من ثمرات الحكمة).

(٢) المائدة ١٠٤.

(٣) البقرة ٢٦٩.

(٤) روى الشيخ الطوسي رضوان الله عليه في مصباح المتهجد نص هذا التوقيع،=

لهم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم[١] قالوا يكفينا الإجمال فيها، فإذا عرض عليهم تفصيلها أنكروه ونسبوا أهل المعرفة إلى الضلال، ورموهم إلى الغلو والإضلال، وأتوا من باب الجحد والجدال فظلموهم وكذبوهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[٢].

اللهم إنا نشكو إليك غيبة إمامنا، وقلة ناصرنا، وكثرة عدونا، وشدة الزمان علينا، ووقوع الفتن بنا، وتظاهر الخلق علينا، يا رب فرج ذلك بفرج منك تعجله، ونصر تعزه، وحق تظهره، اللهم ابعث بقائم آل محمد لنصر دينك، وإظهار حجتك، والقيام بأمرك، وتطهير

---

=وقد نقله عنه السيد ابن طاووس في الإقبال فقال: ومن الدعوات في كل يوم من رجب ما رويناه أيضاً عن جدي أبي جعفر الطوسي رضي الله عنه، فقال: أخبرني جماعة عن ابن عياش قال: مما خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدسة، ما حدثني به خير بن عبد الله، قال: كتبته من التوقيع الخارج إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أدع في كل يوم من أيام رجب:

اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك. أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركانا لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك، أعضاد وأشهاد، ومناة وأذواد، وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت، فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك أن تصلي على محمد وآل محمد...إلخ) مصباح المتهجد، ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب. إقبال الأعمال، ج٣ ص٢١٤. بحار الأنوار، ج٥٩ ص٣٩٢ الدعاء الذي خرج من الناحية المقدسة.

(١) مقتبس من قوله تعالى ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ آل عمران: ٦٤.

(٢) الأنعام: ٣٣.

أرضك من أرجاسها، اللهم إني أعوذ بك أن أوالي لك عدواً، أو أعادي لك ولياً، أو أقول لحق هذا باطل، وأقول للباطل هذا حق، أو أقول للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

إني لما كنت كذلك خلج ببالي المسافرة الكبرى، والسفر الأكبر الأعظم، من عالم الحقائق والذوات إلى عالم الأعراض والصفات، فأردت إبراز بعض ما كمن في البال من مسموعات من ذلك السيد المفضال(١) عليه الرحمة والثواب من رب الأرباب في معنى السفر، ومعنى النزول والصعود وغايته، وفي أن السفر هل هو واحد أو أربعة أو أكثر، وفي علامة المسافر من العلم والعمل، وعلامة الواصلين إلى المراد وما يتعلق به من معرفة أنواع المسافرين من العوام والخواص

(١) المقصود هو آية الله المقدس السيد كاظم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد حبيب المدني الحسيني أبا، والموسوي أما، والرشتي مولداً، والكربلائي مسكنا ومدفنا، ولد قدس سره في رشت عام (١٢١٢هـ)، ومن مشائخه في الرواية: الشيخ الأوحد أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي قدس سره، والعلامة السيد عبد الله شبر، والملا علي البرغاني، والشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء. له مصنفات عجيبة في الحكمة والفقه والأصول والعلوم الغريبة منها: شرح الخطبة الطتنجية طبع مؤخرا في ثلاث مجلدات، واللوامع الحسينية في الحكمة الإلهية، وشرح آية الكرسي صنفه وهو ابن عشرين سنة طبع في ثلاث مجلدات وهو لم يتم، جمعت أغلب رسائله في مجلدين ضخمين بعنوان (مجموعة الرسائل) طبع في إيران طبعة حجرية، توفي مسموما من قبل نجيب باشا والي بغداد وهو راجع من زيارة العسكريين عليهما السلام إلى الكاظمية، وكان ذلك في (١١) ذي الحجة عام (١٢٥٩هـ) وعمره الشريف (٤٧)، وقد جهزه وصلى عليه تلميذه الميرزا حسن كوهر بوصية منه، ودفن في الحرم المطهر تحت أرجل الأنصار في الحضرة الحسينية بكربلاء المقدسة. راجع دليل المتحيرين بقلم السيد، مقدمة تفسير آية الكرسي بتحقيق الشيخ عبد المنعم العمران.

وأخص الخواص، وكيفية سلوكهم، ومعنى الحركة وأقسامها، وفي بيان أن السير لا نهاية له ولا بداية، لكن لما كانت معرفته تعالى هي الأصل ثم معرفة صفاته وأسمائه، من العدل والتوحيد، والأمر بين أمرين، ومعرفة الاختيار الثابت لجميع الكائنات كافة(١)، ومعرفة الإمام عليه السلام، ومعرفة المعاد، قدمنا البيان في الأصل على بيان معنى السفر الذي هو المقصود ها هنا، وحيث كان العقل والنقل هما منشآن لكل مسألة أتينا بهما عند الاستدلال في إثبات المدعى لكل مسألة مسألة ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٢)، ولما كانت المسائل المزبورة يهتدي بها من طلبها وأمعن النظر فيها وأدى

---

(١) التعليقة ٣: إشارة من المؤلف إلى الاختيار الكوني الوارد في صريح القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾يس/ ٨٢، فالفعل الأول في الآية (كن) أمر صدر من الله لكل من خوطب بالإيجاد وهو أمر تكويني لكل الحصص الصلوحية في عالم الإمكان. والفعل الثاني في الآية هو (فيكون) وهو من أفعال المطاوعة في اللغة، وفاعله ضمير مستتر يعود للمخلوق الصلوحي وهي التي يعبر عنها الشيخ الأحسائي رحمه الله بالتكليف الوجودي، وهو تكليف اختياري لكل الموجودات في مرتبة المادة الصلوحية، خلافا للمدرسة المتعالية التي قالت أن الفاعل في (فيكون) مجازي والإيجاد جبري على كل الموجودات. ومن المعلوم أن هذا الطرح الفلسفي ينافي محكم القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾. فصلت/ ٤٦، أي لا يظلم موجوداً في أي مرحلة من مراحل تكوينه وإلا لكانت الحجة للمخلوق على الخالق، ويسقط مبدأ الثواب والعقاب، وبالتالي يسقط التكليف الشرعي، ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب شرح الفوائد للحكيم الكبير مولانا الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رحمه الله. (من ثمرات الحكمة).

(٢) الأنفال ٤٢.

حقها كما ينبغي سمينا الكتاب المشتمل عليها بـ (الهداية في علم البيان والمعاني)[١] نسأل الله الهداية وحسن التوفيق.

(١) المقصود بالبيان والمعاني هنا هما مقام البيان والمعاني من مقامات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام الأربعة التي هي: البيان والمعاني، والأبواب، والإمامة، والذي بين هذه المقامات من روايات أهل العصمة عليهم السلام هو شيخنا الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره، وننقل هنا باختصار ما كتبه حول هذا الموضوع في كتابه شرح الزيارة الجامعة الكبيرة. يقول قدس سره: (فأما المقام الأول: المسمى بإثبات التوحيد، وبالسر المقنع بالسر، وحق الحق، فالإشارة إلى بيانه من الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام كثيرة، فمنها ما قال علي عليه السلام: (لا تحيط به الأوهام، بل تجلى لها بها وبها امتنع منها)، وقال عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)،... والمراد من هذا المقام الذي هو إثبات التوحيد هو معرفة الله بصفته التي وصف بها نفسه لعباده الذين أراد أن يعرفوه بها وهي صفة محدثة لا تشبه صفة شيء من المخلوقات، وهي مقاماته وعلاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان؛ أي في غيبتك وحضرتك من عرفها فقد عرف الله لأنها أمثاله وليس كمثله شيء، وفي دعاء كل يوم من شهر رجب عن الحجة عليه السلام: (فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركانا لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك... إلخ)، فبين أنهم عليهم السلام معادن لكلماته يعني أنهم أعضاد لخلقه لأن العلة المادية لجميع الخلق هو شعاع أنوارهم فقد اتخذهم الله سبحانه أعضادا لخلقه يعني يخلق خلقه من شعاع أنوارهم... والمراد أن الله سبحانه لا يعرف إلا بتلك المقامات وهي لا تتحقق إلا بهم وفيهم كما أن القائم لا يتحقق إلا بالقيام...إلخ.

والمقام الثاني: مقام المعاني، وباطن الباطن، وهو سر السر، وسر على سر، وحق الحق، وهو كونهم معانيه تعالى يعني علمه وحكمه وأمره... الخ، يعني علمه الذي وسع السموات والأرض، وحكمه على كل الخلق، ونعمه على جميع خلقه، وخيره الذي من به على الخلائق، وجنبه الذي لا يضام من=

=التجأ إليه، وذمامه الذي لا يطاول ولا يحاول، ودرعه الحصينة، وحصنه المنيعة، ورحمته الواسعة، وقدرته الجامعة، وأياديه الجميلة، وعطاياه الجزيلة، ومواهبه العظيمة، ويده العالية، وعضده القوية، ولسانه الناطق، وأذنه السميعة، وحقه الواجب، وهذا مثل قولك: قيام زيد وقعوده وحركته وسكونه وتسلطه وأياديه وامتنانه ومعاقبته وأمثال ذلك فهذه معاني زيد... إلخ.
والمقام الثالث: مقام الأبواب، وباطن الظاهر، وسر لا يفيده إلا سر، والسفارة إلى الله، وترجمة وحي الله... فهو باب الخلق إلى الله وهذه الوساطة والترجمة والسفارة عامة في جميع الوجودات الشرعية والشرعيات الوجودية... إلخ.
والمقام الرابع: مقام الإمامة، وهو الحق، وهو الظاهر، وهو السر المستسر، وهو مقام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه، افترض طاعته على جميع خلقه، جعله الله قيما على العباد، وحفيظاً وشاهداً وداعياً إلى الله وهادياً إلى سبيله، ووجهه الذي يتقلب في الأرض، وعينه الناظرة في عباده، فكاك الأزمات المعضلة، وفاتح الحصون المقفلة، والقصر المشيد، والبئر المعطلة، ملجأ الهاربين، وعصمة المعتصمين، وأمن الخائفين، وعون المؤمنين). شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١ ص٤٠ (مكتبة العذراء)، ص٢٠ (مطبعة السعادة)، شرح فقرة: (وموضع الرسالة).

## [مقدمات مهمة]

فنقول قبل الشروع في المقصود: اعلم أيها الطالب المنصف أنه ينبغي لك أولا معرفة مقدمات نافعة، وأوصيك في حفظها والعمل على مقتضاها، فإنها سفن النجاة لغواص بحر المعرفة عن الغرق والهلاك، وهي أنك أيها المستبصر الصادق ينبغي لك:

أولاً: أن لا تقلد أحداً[1]، ولا تعتمد على قول من نفي أو إثبات

(١) التعلقة ٤: أقول الدين قسمان: قسم يطلب فيه العمل حصرا لذلك لا حاجة للاجتهاد على كل فرد في الأمة بل يكفي قيام البعض بذلك، وقد أشار سبحانه صريحا لهذا في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة/ ١٢٢].
والقسم الآخر من الدين محله القلب لذا يطلب فيه العلم حصرا وقد طلبه الله من المكلفين صراحة حيث قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد/١٩]. فالخطاب في الآية موجه لرسول الله ولكن المقصود فيه عموم المسلمين في كل زمان ومكان كما ثبت ذلك في علم الأصول، إذا لا يجوز التلقليد في كل شيء يقع تحت عنوان العقيدة الإسلامية، والسبب أن المطلوب هو العلم الذي هو اليقين الذي يربط عليه القلب، واليقين لا يمكن التقليد فيه مطلقا.. بل لا بد من تحريك القلب للمعرفة والسير في طرق الأدلة وهذا لا شك فيه، وقد ذم الله المقلدين في العقيدة ذما شديداً حيث قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ﴾ البقرة ١٧٠، فالتقليد في العقيدة لا يجوز وهو منقصة لكل مؤمن.. ولكن السؤال، هل كل فرد من المسلمين=

إلا بالبرهان الواضح المنتهي إلى الضرورة، لأنك مسئول عن ذلك عند الميزان.

وثانياً: كلما قرع سمعك من المطالب العالية المستصعبة في المعارف الإلهية وأسمائه ومحال قدرته ومظاهر عدله وكمالاته فاجعله في بقعة الإمكان من دون رد وإنكار[1]، قائلاً بأن ربي على ذلك

---

=يستطيع تحصيل العلم والاستقلال في علم العقيدة؟ أم ذلك متاح للخاصة من الناس؟ هذا السؤال هو الذي أثاره المؤلف في نصه أعلاه.

فأقول: إن المقصود في عدم التقليد في العقيدة أي عدم التقليد في نتيجة العلم فذلك محرم لأنه قد يربط قلبه على شيء لا يعلم هل هو صحيح أم خاطئ، وأغلب شعوب الأرض على مر الزمان تمارس هذا التقليد المحرم، وهذا الذي عناه المؤلف (لا تقلد أحدا). أما التقليد في صورة الدليل دون النتيجة فجائز في جميع الاختصاصات العلمية، فكلنا نعلم أن الأطباء مثلاً لم يبتكروا علم الطب سوى القلة النادرة، بل يمارسون قواعد علم الطب التي درسوها جاهزة، فهم يقلدون من ابتكر قواعد الطب ويسيرون بسيره.. لكن لا يقلدون في نتائجه، وهذا ما نفعله نحن مع الشيخ الأوحد الأحسائي ﵀ نقلده في صورة الدليل دون النتيجة.. بل نتيقين ونحصل على العلم من خلال السير بسيره، وهذا مقصود صريح الآية: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ سبأ /١٨، أي اتباع منهجهم السليم، وهكذا علماء المدرسة مقلدين للشيخ في منهجه الحكمي وصور أدلته دون النتائج، وكذلك عامة الناس تقلد في صور الأدلة ولا تقلد في النتائج، فعلى هذا المجتهدون قسمان:

أ ـ المجتهد المبتكر صاحب النظرية في كل اختصاص كالشيخ الأوحد الأحسائي وهم قلة وهم مجددوا العلم ويأتون على رأس كل قرن.

ب ـ المجتهد المستهلك للعلم وهم الغالبية العظمى من العلماء والخبراء في كل الاختصاصات، بما فيها الاختصاص الديني، وعملهم صحيح وكاف.

إذا قصد المؤلف (لا تقلد أحداً) أي امض على صورة الدليل وتحصل على المعرفة اليقينية (من ثمرات الحكمة).

(١) التعليقة ٥: مما لا شك فيه أن الإنسان كائن اجتماعي ذكي، بل ذو ذكاء=

لقدير، وهو قول مولانا الرضا عليه السلام ما معناه (لم يتصور أحد شيئاً إلا وقد خلقه الله قبل ذلك حتى لا يقال لم لم يخلق ذلك كذلك)[١].

---

=يتطور كلما تطورت تجاربه ونضجت الأشراط الاجتماعية حوله، فكلما تطور المجتمع انعكس ذلك بشكل حتمي على سلوك الإنسان وبنيته الثقافية ورؤيته للأمور كلها، فلو حدثت أحدا في زمن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أن قطعة من الحديد (الباخرة) وزنها من دون حمولتها ثمانون ألف طنا تطفو على سطح الماء حتما لن يصدقك، ولو أخبرته أن الحديد إذا جمع بشكل هندسي سيطير كالطيور لن يصدقك، وإذا أخبرت أحدا في ذلك الزمان أنه بإمكان العلماء معرفة وقت سقوط المطر لن يصدقك لأنه يعتبر هذا الأمر من سر الغيب، ولو أخبرته أنك تستطيع بالاتفاق مع مركز استنساخ للخلايا الوراثية أن تخرج ابنك يشبهك تماما لن يصدقك لأن هذا أيضاً في الأحاديث من علم الغيب، وهكذا في أمور كثيرة علمية انعكس كل هذا التطور العلمي والتراكم الاجتماعي بوضوحه وأشراطه على تفكير الإنسان، فصار يقبل أمورا وردت في نصوص النبي والأئمة عليهم السلام كان ينكرها أسلافه من العلماء والعوام، لذلك المؤلف وجه خطابه للقارىء المتلقي بعدم نكران شيئاً من المطالب الحكمية العالية الواردة في كلمات المعصومين عليهم السلام لأنها فقط تسبق تفكير أفراد عصرها، بل المطلوب ممن لا يعي ترك كلمات المعصوم عليه السلام في سنبلها لمن هو أفقه منه (أي أكثر فهما) والله هو من يفقهه في الدين بلطفه، فيقول أجعلها في حيز الإمكان، لأنه كلما تطور المجتمع بتطور العلم ينعكس ذلك على تفكير العقل الجمعي والفردي للمجتمع ويغير تفكير الإنسان حتما، وما كان يراه مستحيلا يراه بعد التطور العلمي والاجتماعي ممكنا سهلا. ونحن رأينا ذلك التغير في جميع جوانب الحياة، فتمهل يا أخي قبل النكران!!. (من ثمرات الحكمة).

(١) لعل المصنف رحمه الله أراد الإشارة إلى ما جاء في عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج٢؛ ص٧٥ حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا ع قال: قلت له يا ابن رسول الله لم خلق الله عز وجل الخلق على أنواع شتى ولم يخلقه نوعا واحداً؟ فقال:=

وثالثاً: فاعلم أن إرادة الله ومشيئته سابقة على إرادة المخلوقين ومشياتهم، لأن إرادتهم حادثة بإرادة الله ومشيته، وذلك قوله عليه السلام (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة، بمشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب)[1] انتهى، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2]، والنكرة في سياق النفي يفيد العموم، وقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[3]، وقوله عليه السلام في الدعاء إلى أن قال: (ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك)[4].

ورابعاً: اعلم أن لكل حق باطل مقابل، ولكل فاسد صحيح مماثل، فابذل جهدك في معرفته بالميزان الإلهي، ولا تقدر المطالب بفهمك مما رأيت أو سمعت من الآيات والأخبار المعضلة العويصة، بل استفهم الله على ما هداك بالأدلة الواضحة، فإنه تعالى فياض على الإطلاق، يفهمك علما قطعيا بمتابعة الآيات والأخبار المروية كما

---

=(لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز فلا تقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله عز وجل عليها خلقا ولا يقول قائل هل يقدر الله عز وجل على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير).

(١) في الكافي ج١؛ ص١٤٩ عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد جميعاً عن فضالة بن أيوب عن محمد بن عمارة عن حريز بن عبد الله وعبد الله بن مسكان جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر).

(٢) الحجر ٢١.

(٣) العنكبوت ٤.

(٤) مصباح المتهجد ٥٨٢/٢.

أفهم المجاهدين ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١)، ولا تقل لما لا يحيط به علمك هذا باطل، لأنه لعله من المطالب العالية التي تتوقف على شرائطها من مشعرها كما سيجيء في بيان ذكر المشاعر وأنواعها فلا تغفل.

وخامساً: أيها الطالب لن تنال المطالب إلا بتهذيب السر وتنظيف الباطن وتعدليه من ذمائم الأخلاق، كالكبر، والبخل، والحرص، والرغبة، واللآمة، والغفلة، والكذب، والتحلي بمقابلاتها من التواضع، والسخاء، والتوكل، والزهد، والكرامة، ودوام الذكر، والصدق مع الخلق والخالق، فإن العمل روح العلم ومنشأه، والتخلق بأخلاق الروحانيين من المطلوبات الشرعية لكشف ظلمات الجهالات، والعمدة في ذلك السلوك ترك المآرب الدنياوية الفاضلة على المقدر الشرعي، فإنها أشد الموانع للطلبة بل جلها بل كلها، وتخلق بالصبر على المصائب والمحن وتحمل البلايا والفتن لا سيما الفقر، واترك حب الرئاسة والجاه الدنياوية بل الآخرة من حيث هي أيضاً، فإن الطلاب سبعة كلهم هالكون إلا من طلب الحق للحق، ثم اطلب العلم من القرية الظاهرة المعلومة بالشواهد البينات، أو من أهاليها من أصحاب التسليم والآداب المرغوبات.

ثم أيها الطالب الصادق كن على حفظ نفسك حريصاً بمتابعة الآيات والأخبار المروية، فإنك لو أنكرت شيئاً من النقل لقد ألقيت نفسك إلى التهلكة(٢)، وخرجت من ولاية الله إلى نار الجحيم الدائم

---

(١) العنكبوت ٦٩.

(٢) التعليقة ٦: ربما التسليم في هذه المواطن أسلم فكلنا نعمل بحديث الصادق عليه السلام: الوارد في: [الكافي ـ ج١ ـ ص٣٩٠ ـ ٣٩١] عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى عن=

=الحسين بن المختار، عن زيد الشحام، عن عبد الله عليه السلام قال قلت له: إن عندنا رجلا يقال له كليب، لا يجيء عنكم شيء إلا قال: أنا أسلم، فسميناه كليب تسليم، قال: فترحم عليه، ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الاخبات، قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾. والسبب يعود في المقولة، الإنسان عدو ما جهل، فلماذا تعادي حقائق الدين ونواميس الحكمة وأنت لم تصل على نحو القطع إلى بطلان ما انكرت فلربما أنكرت أصلاً من ثوابت الدين ولم تعلم فتكون وضعت نفسك في عدة احتمالات:

١ ـ ربما تكون عالما بما انكرت فيلزمك قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. فيكون عملك تحديا لله ولرسوله عن سابق إصرار فتكون من الهالكين.

.٢ ـ أن يكون نكرانك لهذه الفئة من كلمات محمد وآله ناتج عن التقليد والتبعية للغير وهذا لا يجوز من حيث لا يجوز التقليد في العقيدة المطلوب فيها العلم والتقين الشخصي، فإما إن تكون من زمرة العلماء المختصين فتنكر عن بصيرة وأدلة قاطعة ولو بالسير على صورة الدليل حتى لو لم تبتكر صيغ الدليل. أو تكون من عموم الناس الغرباء عن هذا الاختصاص فالأولى لك أن لا تدخل نفسك في هذا البحر من العلم وتتمسك بعموم القول: أذره في سنبله لمن هو أفقه مني في المسائل الحكمية الذي من شأنه أن يهتدي بهدى قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾. محمد وآله عليهم السلام أو من تبعهم في السير العلمي وخبر سبلهم الكثيرة للوصول للحقائق الإيمانية والكونية ولعل أبرز من تبع سبل محمد وآله في هذا الاختصاص مولانا وحكيمنا القرآني الكبير الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رحمه وجزاه الله عنا كل خير، فتسلم أو تهلك بسبب عنادك المبني على جهل.

٣ ـ الاحتمال الثالث: أن تملك شئيا من الاختصاص الحكمي ولست من المتسلطين على الاختصاص فتصنف من العموم وليس من الخاصة فيلزمك ما قلنا في الاحتمال الثاني من فروض حتى تنجو أو تهلك.

٤ ـ الاحتمال الرابع: أن تكون من الجاهلين بالشأن الحكمي ولكن اعتدت النكران لطبيعة فيك نشأت عليها وغلبتك، ففيها فرضان: إما تكون عالماً=

=بحالك ومقرا بمرضك وتعتذر لله عن نكرانك فنرجوا لك السلامة وتحتاج العلاج من هذه الوسوسة. والفرض الثاني تعرف أن داء النكران للحقائق القرآنية متأصل فيك نتيجة التربية وتمضي فيه على علم بجهلك فنخاف عليك الهلاك لو ثبت صحة ما انكرت عند الله.

٥ ـ والاحتمال الخامس: أن تعترف بجهلك في هذا الشأن وترد ما يرد عليك إلى الله وإلى العالم من آل محمد، فتسلم بما قالوا وتسلم بجهلك فتسلم ونرجوا لك النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

وإليك جملة من الأحاديث تنبهك وتحذرك وتنير لك الطريق:

الأول: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار، عن زيد الشحام، عن عبد الله عليه السلام قال قلت له: إن عندنا رجلا يقال له كليب، لا يجيئ عنكم شئ إلا قال: أنا أسلم، فسميناه كليب تسليم، قال: فترحم عليه، ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الاخبات، قول الله عز وجل: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾. [الكافي ـ الشيخ الكليني ـ ج١ ـ ص٣٩٠ ـ ٣٩١].

الثاني: حدثنا محمد بن عيسى عن فضالة عن ابان عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال الاقتراف التسليم لنا والصدق علينا ولا يكذب علينا. [بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار ـ ص٥٤١].

الثالث: وعنه عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: قلت للعبد الصالح عليه السلام: هل يسعنا فيما ورد علينا منكم إلا التسليم لكم؟ فقال: لا والله لا يسعكم إلا التسليم لنا، فقلت: فيروى عن أبي عبد الله عليه السلام شئ، ويروى عنه خلافه، فبأيهما نأخذ؟ فقال: خذ بما خالف القوم، وما وافق القوم فاجتنبه. [وسائل الشيعة (آل البيت) ـ الحر العاملي ـ ج٢٧ ـ ص١١٨].

الرابع: وعنه عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي عمير، عن داود بن الحصين، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والله ما جعل الله لأحد خيرة في اتباع غيرنا، وأن من وافقنا خالف عدونا،=

=ومن وافق عدونا في قول أو عمل فليس منا ولا نحن منهم. [وسائل الشيعة (الإسلامية) ـ الحر العاملي ـ ج١٨ ـ ص٨٥].

الخامس: عنه، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا وإن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشمأز منه وجحده وكفر من دان به وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجا عن ولايتنا.

السادس: حدثنا أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول اما والله ان أحب أصحابي إلى أورعهم وأفقههم وأكتمهم بحديثنا وان أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إلى الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه اشمأز منه وجحده وكفر بمن دان به وهو لا يدرى لعل الحديث من عندنا خرج والينا سند فيكون بذلك خارجا من ولايتنا.

السابع: حدثنا الهيثم النهدي عن محمد بن عمر بن يزيد عن يونس عن أبي يعقوب بن إسحاق بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى حصر عباده بايتين من كتابه ألا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا ان الله تبارك وتعالى يقول لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا لما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله.

الثامن: حدثنا محمد بن عيسى عن محمد بن عمرو عن عبد الله بن جندب عن سفيان بن السيط قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك ان الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الامر فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه قال فقال أبو عبد الله عليه السلام أليس عنى يحدثكم قال قلت بلى قال فيقول لليل انه نهار وللنهار انه ليل قال فقلت له لا قال فقال رده إلينا فإنك ان كذبت فإنما تكذبنا.

التاسع: حدثنا محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل عن حمزة بن بزيع عن علي السناني عن أبي الحسن ع انه كتب إليه في رسالة ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرفه خلافه فإنك لا تدري لم قلنا=

المقيم، وكفرت كفر الجاهلية الأولى، وهو قوله عليه السلام: (من جحدكم كافر، ومن رد عليكم فهو في أسفل درك من الجحيم)[١]، بل كن من أصحاب التسليم في جميع ما يتلى عليك من الآثار المنقولة عنهم عليهم السلام كائنا ما كان وإن لم تعقلها، وهو قول مولانا الصادق عليه السلام كما في البصائر حيث قال: (أما والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وإن أشرهم عندي حالا وأمقتهم إلي الذي إذا سمع الحديث يروى عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه اشمأز منه وجحد وكفر بمن دان به وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا نسب فيكون خارجاً من ولا يتنا)[٢] انتهى.

وفيه أيضاً أنه قال له عليه السلام: (إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالأمر العظيم فتضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه.

قال فقال أبو عبد الله عليه السلام: أليس عني يحدثكم.

قال: قلت بلى.

قال عليه السلام: فيقول الليل نهار والنهار ليل؟.

---

=وعلى أي وجه وصفة.

العاشر: حدثنا أحمد بن محمد عن محمد بن إسماعيل عن جعفر بن بشير عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أو عن أبي عبد الله عليه السلام قال لا تكذبوا بحديث اتاكم أحد فإنكم لا تدرون لعله من الحق فتكذبوا الله فوق عرشه. [بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار ـ ص٥٥٧ ـ ٥٥٨].

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة، من لا يحضره الفقيه، ج٢ ص٦١١.

(٢) بصائر الدرجات ص٥٥٧ عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أما والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم، وأكتمهم بحديثنا، وإن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إلي الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا، ويروى عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه، اشمأز منه وجحده وكفر من دان به، ولا يدري لعل الحديث من عندنا خرج، وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجاً من ولا يتنا).

قلت: لا.

قال: رده إلينا فإنك إن كذبته فإنما تكذبنا)[١] انتهى.

وقال عليه السلام: (إذا ورد عليكم الحديث ونسب إلينا فإن فهمتموه سلموا تؤجروا وإن لم تفهموه سلموا تؤجروا مرتين، ولا تنكروه لأنكم لا تدرون ما أردنا منه)[٢]، ولا يعد الرجل فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا[٣]، وإن الكلمة من كلامنا لتصرف على سبعين وجها

---

(١) في بصائر الدرجات، ص٥٥٨ (إن الرجل يأتينا من قبلكم فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر، فتضيق لذلك صدورنا حتى نكذبه.
قال فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أ ليس عني يحدثكم؟» قلت: بلى، قال: «فيقول لليل إنه نهار، وللنهار إنه ليل» فقلت: لا، قال: «فردوه إلينا، فإنك إذا كذبته فإنما تكذبنا».

(٢) لعل المصنف رحمه الله أراد الإشارة إلى ما جاء في هذين الحديثين ففي الكافي ج٨؛ ص١٢٥عن مولانا باب الحوائج أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم: (وادع إلى شرائط الله عز ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته ولا تحصن بحصن رياء ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف منا خلافه ـ فإنك لا تدري لما قلناه وعلى أي وجه وصفناه).
وفيه ج١؛ ص٣٦٨ الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الخزاز عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت لهذا الأمر وقت فقال: (كذب الوقاتون كذب الوقاتون كذب الوقاتون إن موسى ع لما خرج وافدا إلى ربه واعدهم ثلاثين يوما فلما زاده الله على الثلاثين عشرا قال قومه قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا صدق الله وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا صدق الله تؤجروا مرتين).

(٣) التعليقة ٧: أقول: كلمة معاريض تعني تماما (التورية) في الكلام، أي نقول: معاريض: التورية بالشيء عن الشيء. وهذا هو الاصطلاح في العربية وفي علم التفسير وكذلك في الفقه الشرعي وعينه المعنى في الاصطلاح الحكمي في المدرسة الأوحدية، فهي تختلف تماما عن اصطلاح (التأول) الذي يعني=

لنا من جميعاً المخرج[١] انتهى.

انظر أيها الطالب الصادق المستبصر إلى هذه الأخبار، وسلم لمعناها عاملاً على مقتضاها، حتى تعطى ما لا عين رأت ولا أذن

---

=إرجاع الشيء إلى أصله باستخدام محكم الكلام لضبط المتشابه منه، بينما التورية فهي إظهار معنى وإخفاء آخر تجنبا عن الكذب وبغية في التقية، أي المعاريض تدور بين معنيين واحد مراد وآخر غير مراد، كما ورد في [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ج٢ ـ ص١٨٤]. (ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: حديث تدريه خير من ألف ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجها لنا من جميعها المخرج). بينما في التأول المتحدث المعصوم عليه السلام يريد المعنيين الظاهري والباطني لأنهما غير متناقضين، فعلى هذا نقول: أن معاريض الكلام للمعصوم عليه السلام يستخدم في التفسير العربي الظاهري للجمل وقد يقصد المعصوم سبعين وجها لها من كلامه، بينما التأويل يستخدم لاختزال معنى باطني أصلي أو أكثر مراد للمتحدث المعصوم عليه السلام، فمن هنا نقول لكلام المعصوم عليه السلام سبعين تفسيرا ظاهريا وسبعين معنى باطني لكل له منها المخرج.

ـ إذا وظيفة (التورية) دائما تعمل في تفسير العبارة الظاهرية للكلام ومفرداتها منعزلة عن السياق أو مع السياق وتهم الفقيه أكثر من الحكيم وإن كان الحكيم يستخدمها في منهجه.

ـ بينما التأول يعمل على تركيب الجملة والمعنى المختزل فيها، فهو يعيدها لأصلها وتهم الحكيم أكثر من الفقيه. (من ثمرات الحكمة).

(١) في معاني الأخبار؛ ص٢ حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال حدثنا الحسين بن محمد بن عامر عن عمه عبد الله بن عامر عن محمد بن أبي عمير عن إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجها لنا من جميعها المخرج).

سمعت ولا خطر على قلب بشر، لأن رسول الله ﷺ هو مدينة العلم وبابه علي وأولاده الطاهرون عليهم السلام، ومفتاحه التسليم والخشوع والانقياد لحملته ومبينيه، واجعله حكماً فيما شجر بين الناس، وآمن به حتى تكون من الفائزين إلى أعلى درجات القرب والزلفى، وليكون لك النصيب الأوفى من الرقيب والمعلى، وإن التسليم هو الدين، إن الدين عند الله هو الإسلام، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[١]، والخطاب لعلي عليه السلام تنزيلاً وتأويلاً كما في تفسير علي بن إبراهيم[٢]، لكن المسلمين قليلون كما قال عليه السلام (المؤمنة أعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر)[٣]، وقال عليه السلام (الناس كلهم بهائم إلا المؤمن والمؤمن قليل والمؤمن قليل)[٤] انتهى.

---

(١) النساء ٦٥.

(٢) في تفسير علي بن إبراهيم المعروف بتفسير القمي؛ ج١؛ ص١٤٢ عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال «و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك يا علي فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» هكذا نزلت ثم قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك يا علي فيما شجر بينهم يعني فيما تعاهدوا ـ وتعاقدوا عليه من خلافك بينهم وغصبك ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت عليهم يا محمد على لسانك من ولايته ويسلموا تسليماً لعلي عليه السلام.

(٣) الكافي ج٢؛ ص٢٤٢.

(٤) لم نجد في المصادر التي بين أيدينا نص هذا الحديث ووجدنا ما يقرب منه وهو المروي بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم؛ ج١؛ ص٥٢٢ حدثنا محمد بن عيسى عن الحسن بن جعفر بن بشير عن أبي عثمان الأحول عن كامل التمار كنت عند أبي جعفر ع وحدي فنكس رأسه إلى الأرض فقال: (قد أفلح المسلمون إن المسلمين هم النجباء يا كامل الناس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين والمؤمن غريب).

نعم كل من أقر بالشهادتين أو بالشهادات الثلاث فهو مؤمن ظاهر، ولكن إذا فتشت عن أحوالهم تراهم جاحدين معاندين(١) كلهم

---

(١) التعليقة ٨: أقول: لا يوصف الشخص بالجحود إلا بعد العلم واليقين ثم نكران ماعلم وتيقن به مثالنا في ذلك فرعون حيث صرح القرآن الكريم بنكرانه وجحوده حيث قال سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. فالجحود هو أجلى صور الكفر فقد ورد في تعريفه: الجحود جمع جحد ومعناها عدم الاعتراف بالشيء، فتقول جحد حق فلان، أي لم يعترف به، فهو يساوي الإنكار المقابل للمعرفة مقابلة ضدية، فقد جاء في كتابه الكريم ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ وكذلك ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾، أي أنكروا ولم يعترفوا ويقروا بها، ومرادفات جحود الكلمات التالية: إشراك، إلحاد، زندقة، شرك، كفر، نكران، بطر، كفر بالنعمة، إنكار، كفر، وأقول: هناك جحود للصاحب النعمة (الله) أو جحود لآياته (محمد وآله)، فلربما يقر الفرد بصاحب النعم ولكن يعظم عليه الاعتراف بنعمه (محمد وآله) وهذا ما قصده المؤلف في عبارته أعلاه وهو المشار إليه في حديث الباقر عليه السلام حيث قال: (حدثنا أبو محمد عن عمران بن موسى عن موسى بن جعفر وعلي بن أسباط عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية أم يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما قال نحن والله الناس الذين قال الله تبارك وتعالى ونحن والله المحسودون ونحن أهل هذا الملك الذي يعود إلينا) [بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار ـ ص٥٦]، والناس في التلبس بالجحود ثلاث أصناف كالتالي:

أ ـ الجاحد عن علم مثل فرعون حيث تحدث عنه الله في كتابه حيث قال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. وهذا يسمى في لسان الشرع ماحض الكفر.

ب ـ المعترف بالنعم وصاحبها عن علم ويقين كما تحدث عنهم القرآن حيث قال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾. فيسمى في لسان الشرع ماحض الإيمان.

ج ـ الذي لم يهتد أو لم يدرك الحقائق أو لم يصله صوت الحق أو به علة=

بحيث لن تجد من الألف واحد وإلى ما قلنا أشار مولانا أبو الحسن عليه السلام كما في الروضة للكليني قال عليه السلام (لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ولو تمحصتهم لما خلص من الألف (إلا)[١] واحد ولو غربلتهم غربلة لم

---

=تمنعه من الإيمان كالجنون والطفولة وغيرها، فيسمون في لسان الشرع مستضعفون وعبر عنهم الإمام أبو جعفر عليه السلام حيث أورد: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: المستضعفون " الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا " قال لا يستطيعون حيلة إلى الايمان ولا يكفرون الصبيان وأشباه عقول الصبيان من الرجال والنساء.

وفي حديث آخر عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المستضعف، فقال: هو الذي لا يستطيع حيلة يدفع بها عنه الكفر ولا يهتدي بها إلى سبيل الايمان، لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر قال: والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان.

وفي حديث آخر عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عبد الله ابن جندب، عن سفيان بن السمط البجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في المستضعفين، فقال لي شبيها بالفزع: فتركتم أحدا يكون مستضعفا وأين المستضعفون؟ فوالله لقد مشى بأمركم هذا العواتق إلى العواتق في خدورهن وتحدث به السقايات في طريق المدينة.) [الكافي ـ الشيخ الكليني ـ ج٢ ـ ص٤٠٤ ـ ٤٠٥].

ولكن السؤال ما حال المسلمين اليوم، هل هم مستضعفون أم من أي قسم؟!!

الجواب: كل من صدق عليه كلام الباقر عليه السلام أعلاه فهو مستضعف حقا، وأنا أرى أن أغلب المسلمين فيهم نوع من الاستضعاف بسبب التربية والإعلام الذي يشكل حجابا سميكا على العقل أو ما يسمى بنظرية (عصف العقول). (من ثمرات الحكمة).

(١) ليست موجودة في نسختنا من الكافي.

يبق منهم إلا ما كان لي إنهم طال ما اتكوا على الأرائك[١] فقالوا نحن شيعة علي (و)[٢] إنما شيعة علي من صدق قوله فعله)[٣] انتهى.

وأنت ترى الجاحدين أنهم يقولون نحن من شيعتهم عليهم السلام آخذين بقولهم عاملين بأمرهم، لكن إذا أبرزت لهم شيئاً مما قالوا مما يطابق الضرورة والدين رأيتهم كحمر مستنفرة فرت من قسورة، تبا لهم ثم تبا لهم، نسأل الله أن يهدي الطالب منهم إلى ما يحب ويرضى.

وإن أردت معرفة المؤالف من المخالف فاعرض عليهم شيئاً من رواياتهم الفضلية كالنورانية أو الآيات المفسرة فيهم فإذا رأيتهم مسلما مستبصرا مستبشرا فاعلم أنه مخلوق من فاضل طينتهم معجون بماء ولايتهم[٤]، وإذا رأيته مشمئزاً قلبه معرضاً وجهه أو متوقفاً ساكتاً متحيراً غير مستبشر ولا مستأنس فاعلم أنه من طينة سجين من أولئك المخالفين المنافقين، وإلى ذلك يشعر ما في البحار ناقلاً من كتاب رياض الجنان لفضل بن محمود الفارسي بسنده عن مفضل بن عمر عن

---

(١) الأريكة سرير متخذ مزين في قبة والجمع الأرائك [منه قدس سره].

(٢) ليست موجودة في نسختنا من الكافي.

(٣) الكافي ج٨؛ ص٢٢٨.

(٤) روي عن مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: (رحم الله شيعتنا إنهم أوذوا فينا ولم نؤذ فيهم، شيعتنا منا قد خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا، وتبكيهم أوصابنا، ويحزنهم حزننا، ويسرهم سرورنا، ونحن أيضاً نتألم لتألمهم، ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ولا نفارقهم؛ لأن مرجع العبد إلى سيده، ومعوله على مولاه، فهم يهجرون من عادانا، ويجهرون بمدح من والانا، ويباعدون من آذانا، اللهم أحي شيعتنا في دولتنا، وأبقهم في ملكتنا، اللهم ملكتنا، اللهم إن شيعتنا منا مضافين إلينا فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا أو تباكى استحى الله أن يعذبه بالنار) الشيعة في أحاديث الفريقين، ص٥١٥.

أبي عبد الله ﷺ أنه قال: (إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا صدور مشرقة وقلوب منيرة وأفئدة سليمة وأخلاق حسنة لأن الله قد أخذ (لنا) على شيعتنا الميثاق فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة ومن أبغضنا ولم يؤد إلينا حقنا فهو في النار وإن عندنا سراً من الله ما كلف الله به أحداً غيرنا (ذلك) ثم أمرنا بتبليغه فبلغناه فلم نجد له أهلاً ولا موضعاً ولا حملة يحملونه حتى خلق الله لذلك قوماً خلقوا من طينة محمد وذريته صلى الله (عليه و) عليهم ومن نورهم صنعهم الله بفضل صنع رحمته فبلغناهم عن الله ما أمرنا فقبلوه واحتملوا ذلك ولم تضطرب قلوبهم ومالت أرواحهم إلى معرفتنا وسرنا والبحث عن أمرنا وإن الله خلق أقواماً للنار وأمرنا أن نبلغهم ذلك فبلغناه (فبلغناهم) فاشمأزت قلوبهم منه ونفروا عنه وردوه علينا ولم يحتملوه وكذبوا به وطبع الله على قلوبهم ثم أطلق ألسنتهم ببعض الحق فهم ينطقون به لفظاً وقلوبهم منكرة له ثم بكى ﷺ ورفع يديه وقال اللهم إن هذه الشرذمة[١] المطيعين لأمرك قليلون اللهم فاجعل محياهم محيانا ومماتهم مماتنا ولا تسلط عليهم عدواً فإنك إن سلطت عليهم عدواً لن تعبد)[٢] انتهى.

تدبر أيها الطالب في معنى هذا الحديث فإنه ميزان عدل في معرفة الطائفتين من أهل الإيمان والطغيان، ولا تكن من الثاني في الرد بما لم يحط به فهمك ولما يأتك تأويله، فإنه ينافي العبودية والتسليم، وارجع فيما غمض لك نوره وبرهانه من المطالب والمسائل إلى أهلها، لأن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن ممتحن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره

(١) الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء [منه قدس سره].
(٢) بحار الأنوار ج٢؛ ص٢١٠.

للإسلام، فالنبي إذا لم يكن مرسلا لا يحتمله والملك إذا لم يكن مقربا لم يحتمله والمؤمن إذا لم يكن ممتحنا لا يحتمله، وهو قول مولانا السجاد عليه السلام في الكافي قال عليه السلام (والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان فقال وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت فلذلك نسبته إلى العلماء)(١) انتهى.

بناء على هذا الحديث فعليك بالرجوع إلى أهل العلم، ولا تقل إن علم العلماء إذا كان صعباً والآيات فيها محكم ومتشابه ومطلق ومقيد وعام وخاص وناسخ ومنسوخ وصحيح وضعيف ومعمول وغير معمول، وإن الألفاظ فيها احتمالات كثيرة وأنها متعارضة وكذلك الأخبار، فالأولى السكوت فيها والإعراض عنها حتى يلقى الإمام عليه السلام(٢).

لأنا نقول أنك أيها القائل لا تخلو إما أنت عالم بترجيح الآيات والأخبار ووزنها بالقوانين المرعية في الأحاديث العلاجية والقواعد الأصولية، وتطبيق أحد المتعارضين على المذهب والضرورة، فاعمل على ما عندك من الموزون المطابق وكن من الشاكرين، وإما لم تكن عالم بتلك القاعدة المزبورة وإعمالها فالواجب عليك حينئذ الرجوع

---

(١) الكافي ج١؛ ص٤٠١.

(٢) التعليقة ٩: أقول فصلنا ذلك في التعليقة رقم (٦) فراجع وملخص القول: الأولى في كل ما نجهل حقيقته على نحو الجزم عدم التسرع لرده خوفا من وقوع التكذيب منا للمعصوم عليه السلام ثم يتطور العلم فنكتشف خطأ التكذيب الذي وقع منا. (من ثمرات الحكمة).

إلى عالم أهل البيت عليهم السلام[1] الذي هو المبين للمعضلات والموضح

---

(١) التعليقة ١٠: أقول هناك جملة مواصفات لعالم أهل البيت عليهم السلام منها:
١ ـ أن يكون عالما في منظومة العلوم الدينية وليس في علم واحد، أي يكون مرجعاً في الدين وليس في الفقه فقط، والسبب أن الدين إنعكاس كامل للتكوين والأنفس وحقائقهما، فتدبر.
٢ ـ أن يكون قاطعاً للأسفار الأربعة أو مسافراً لله سفراً حقيقياً وليس وهمياً.
٣ ـ أن يكون متبرأ مما تبرأ منه أهل العصمة عليهم السلام ومموال لكل من والوه حتى في العلوم والأفكار مخلصاً لهم بكل جوارحه بكل ذرة في كيانه، ويكون علمه منهم حصراً.
٤. يجلس أمام كلامهم عليهم السلام جلوس المتعلم وليس جلوس المحاكم لكلامهم بكلام غيرهم.
٥. أن يخالف هواه ولا يطلب الرئاسة مطلقاً.
ويقول السيد كاظم الرشتي في شأنهم التالي: [وثانيهما: علماء، حلماء، أصحاب الصدق والوفاء، سلكوا سبيله، ونهجوا منهجه، فتهجم بهم العلم على حقيقة الايمان، ووصلوا إلى حقيقة الايقان، وعرفوا موصولهم ومفصولهم ومايؤول إليهم أمورهم، بلغوا في المعرفة غايتها من الحدود السبعة والأركان الأربعة واعطوا نور التوسم ومعرفة الأشياء كما هي، وهؤلاء الأبرار والأخيار ينصرونه عليه السلام بحفظ قلوب شيعته وعدم تمكن إبليس من الاستيلاء عليها بجنوده بسطوته، وهم الواقفون على الثغر الذي يلي إبليس وجنوده على ضعفاء القلوب والمستضعفين وهم يردون غنمهم ويخرجونهم عن مقام التشكيك ويواصلونهم إلى مقام اليقين والتحقيق وهم الذين قال عليه السلام فيهم: (ان لنا في كل خلف عدول ينفون عن ديننا تحريف الغالين وانتحال المبطلين)) [مجموعةرسائل، رسالةمكية، السيد كاظم: ج٢ ص٢٧٧].
من ناحية أخرى هناك جملة من الأحاديث في تبيان عالم أهل البيت عليهم السلام الحقيقي منها: [ما ورد عن أبي بصير المرادي في الصحيح عن جميل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بشر المخبتين بالجنة: بريد بن معاوية... وزرارة، أربعة نجباء، أمناء الله على حلاله وحرامه، لولا هذه انقطعت آثار النبوة واندرست]. وجاء أيضاً: [روى الكشي في الخبر المتقدم عن جميل=

للمشكلات والمرجح للمتعارضات مما ورد في الأخبار والآيات، الذي هو القرية الظاهرة للسير إلى القرى المباركة وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾[١]، قال الباقر عليه السلام: (نحن القرى المباركة والعلماء من شيعتنا هم القرى الظاهرة)[٢].

---

=عن أبي عبد الله عليه السلام في مدح زرارة ونظرائه قال: بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأول الغالين الحديث]. وورد أيضاً: [في الصحيح عن سليمان بن خالد الأقطع عن أبي عبد الله عليه السلام في مدح زرارة ونظرائه قال: هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبى عليه السلام على حلال الله وحرامه الحديث]. وكذلك ورد عن [الكشي في بريد باسناد قوى عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البختري المرادي] وكذلك ورد: [بإسناده عن داود بن سرحان عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) قال: إن أصحاب أبي عليه السلام كانوا زيناً أحياءاً وأمواتاً أعني زرارة، ومحمد بن مسلم (إلى أن قال): هؤلاء القوامون بالقسط، هؤلاء القوامون بالصدق...]. [وقال الصادق عليه السلام: أقوام كان أبي عليه السلام يأتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة علمه، وكذلك اليوم هم عندي، هم مستودع سري أصحاب أبي عليه السلام حقاً إذا أراد الله بأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياءاً وأمواتاً، يحيون ذكر أبي عليه السلام بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين، ثم بكى قال الراوي: فقلت: من هم؟ فقال: هم صلوات الله عليهم ورحمة الله أحياءاً وأمواتاً: بريد العجلي، وزرارة، وأبو بصير، ومحمد بن مسلم]. [وسائل الشيعة للحر العاملي ج٢٧ ص١٤٥] [تاريخ آل زرارة ـ أبو غالب الزراري ـ ص٤٦ ـ ٤٧]. (من ثمرات الحكمة).

(١) سبأ ١٨.

(٢) الحديث كما جاء في وسائل الشيعة؛ ج٢٧؛ ص١٥٢ عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث أنه قال للحسن البصري نحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عز وجل لمن أقر بفضلنا حيث أمرهم الله أن يأتونا فقال=

وإما أنك ذا فطانة صافية عالماً بالضروريات الملية فلا تحتاج إلى معرفة الرجال ولا إلى ضعف الرواية بل ولا صحتها(١)، لأن الرجال

=وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ـ والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا ـ وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا وقوله وقدرنا فيها السير فالسير مثل للعلم يسير به ليالي وأياماً مثلاً لما يسير به من العلم في الليالي والأيام عنا إليهم في الحلال والحرام والفرائض آمنين فيها إذا أخذوا عن معدنها الذي أمروا أن يأخذوا عنه آمنين من الشك والضلال والنقلة (إلى الحرام من الحلال فهم) أخذوا العلم (عمن وجب لهم بأخذهم عنهم المغفرة) لأنهم أهل ميراث العلم من آدم ـ إلى حيث انتهوا ذرية مصفاة بعضها من بعض فلم ينته الاصطفاء إليكم بل إلينا انتهى ونحن تلك الذرية لا أنت ولا أشباهك يا حسن.

(١) التعليقة ١١: أقول: علم الدين يشكل منظومة علمية ربانية ذات نواميس وسنن محكمة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ * ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾. ويقول الشيخ رحمه الله في [شرح الزيارة الجزء الرابع ص٥٥] في بيان هذا الموضوع وتخويفا للمنكرين التالي: ((أقول: وهذا الحديث مشتمل على ما هو من هذا النوع وغيره مما هو صريح في كثير مما نذكره وذكرناه في هذا الشرح مما قد تشمئز منه القلوب من أسرار محمد وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليه وآله وإنما تشمئز منه القلوب من ضعف الايمان وإلا فالواجب على المحب الذي يدعي إمامتهم ووجوب طاعتهم وانهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم إنه إذا ورد عليه منهم الخبر الوارد بالطريق الذي ورد به خبر الوضوء فعمل به على جهة الوجوب في كتاب واحد أن يقبله ويعتقد مضمونه فان أنكره عقله لدليل معمول عليه رده إلى أهله وقال هم أعلم بما قالوا وإن انكره لا لدليل فعليه أن يخالف هوى نفسه إذ الواجب أن يعتقد أنهم اعلم منه ولا يقولون بآرائهم وإنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البصائر بسنده عن عنبسة قال رجل أبا عبد الله عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل إن كان كذا وكذا ما كان القول فيها فقال له مهما أجبتك فيه بشئ فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله لسنا نقول برأينا من شيء وروي في البحار عن سليم ابن قيس في كتابه أن علي بن=

=الحسين عليه السلام قال لآبان بن ابن ابن أبي عياش يا أخا عبد قيس فإن وضح لك أمر فاقبله وألا فاسكت تسلم ورد علمه إلى الله فإنك في أوسع مما بين السماء والأرض، والأحاديث بهذا المعنى مستفيضة في ذلك فإذا لم تقبل عنهم عليهم السلام إلا ما قبله عقلك لم تقبل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا من الله سبحانه وتعالى، فليس لك عذر مع دعوى التشيع في عدم القبول إلا ان تحتمل عدم صحة الورود بان ترد الخبر بضعف السند وبمخالفة المذهب وبجهالة الكتاب وهذا قد يتفق لك في خبر لا دائما فإذا ورد في كتاب الكافي مثلاً حديث في وله معارض إلا أن سند الأول أصح مثلاً عملت بالأول ولاتتوقف في ذلك وليس لك مرجح إلا صحة السند والحال أنك لا تدرك الصحة بعقلك ليكون ما رددته غير موافق لعقلك وإذا ورد حديث في الكافي بل عشرة أحاديث في الكافي صحيحة السند وليس لها معارض إلا أن عقلك لا يدرك معناه فينبغي منك كما قبلت حديثاً له معارض مع أنك لم تدرك معناه وإنما قبلته لصحة سنده أن تقبل العشرة الأحاديث الصحيحة التي لا مانع لها إلا عدم إدراكك لها وهذا كحديث الوضوء الذي قبلت مع وجود المعارض وعدم الإدراك بل هذه العشرة أولى بالقبول لعدم المعارض ووجود المعارض في حديث الوضوء مع أنك في أحكام الشريعة التي لا تعرف بعقلك منها شيئاً تثبت الحكم بحديث واحد له معارض وتدين الله به وتقول هذا حكم الله في حقي وحق مقلدي وتؤسس حكما تقول هو حكم الله وتجريه عليك وعلى غيرك وتنكر أحاديث متكثرة لنفسك خاصة فإن قلت العقل ينكرها قلت أن أردت عقلك أنت ومثلك فقل أنا لا أعرفه ولا تقل اضرب به عرض الحائط أو هذا من أحاديث الغلاة أو المفوضة لأن من يؤمن به ويعرفه أكثر من أن يحصي فإن أردت معرفته فاطلبه منهم وتعلم منهم ولاترى في نفسك أنك كبير مستغن عن التعلم كما يرونك العوام والجهال وأنت في نفسك وعند الله سبحانه صغير محتاج للتعلم وذلك لأنك تقر بتلك الأحاديث وتصدق كل حديث يؤيدها على جهة الإجمال فإذا فصل لك ما صدقت بمجمله أنكرته وذلك أنك تسمع من الأحاديث الصحيحة الواردة في الكتب المعتبرة أحاديث كثيرة لا ينكر مجملها أحد بل كل أحد يقبلها على سبيل الإجمال وتقبلها بلا شك منك ولا تردد وذلك مثل قولهم عليهم السر وسر المستتر وسر مقنع بالسره ، بهذا المعنى=

=أحاديث كثيرة ومثل قولهم أن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان وقولهم إن حديثنا صعب مستصعب وعر وفي آخر أجرد ذكوان ثقيل مقنع لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان قيل فمن يحتمله قال عليه السلام نحن وفي رواية من شئنا أو مدينة حصينة قيل فما المدينة الحصينة قال القلب المجتمع وفي آخر أن حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش فانبذوا إلى الناس نبذا فمن عرف فزيدوه ومن أنكر فامسكوا لا يحتمله إلا ثلاث ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وفي حديث آخر في معاني الأخبار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال حديث تدريه خير من ألف ترويه ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف علي سبعين وجها لنا من جميعها المخرج وفي البصائر عن أبي جعفر أو عن أبي عبد الله عليهما السلام قال لا تكذبوا بحديث آتياكم به أحد فإنكم لا تدرون لعله من الحق فتكذبوا الله فوق عرشه وفيه عن أبي الحسن عليه السلام أنه كتب إليه في رسالته ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه فإنك لا تدري لم قلنا وعلى أي وجه وصفة ، وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول أما والله أن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا وأن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إلي الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه أشمأز منه وجحده وكفر بمن دان به وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند فيكون بذلك خارجا من ولايتنا بالأمر العظيم فتضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه قال فقال أبوعبد الله عليه السلام أليس عني يحدثكم قال قلت بلى قال فيقول لليل أنه نهار والنهار أنه ليل قال فقلت له لا قال فقال رده إلينا فانك إن كذبت فإنما تكذبنا وفيه عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام بأي شيء علمت الرسل أنها رسل قال قد كشف لها عن الغطاء قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام بأي شيء علم المؤمن أنه مؤمن قال بالتسليم لله في كل ما ورد عليه ، والأحاديث بهذا المعنى كثيرة جدا وأنت تقبلها وتنكر تفصيلها وما معناه إلا انه يرد عنهم الحديث الذي لا يدرك العقل معناه فيقبله المؤمن بالتسليم ويرده من ليس بمؤمن وليس معنى المقبول هو ما يدركه العقل فإن ما يدركه العقل يقبله وإن=

يعرف بالحق لا الحق بالرجال، وهو قول مولانا الصادق عليه السلام للحارث الهمداني لما سأله عن اختلاف الشيعة قال عليه السلام: (يا حارث إنك امرؤ ملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله الرجال تعرف بالحق لا الحق بالرجال)(١) انتهى.

---

=كان حديث كافر ودهري لأن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها وإنما المراد به ما يقبله من باب التسليم لهم والرد إليهم باعتقاد أنه ليس كلما قالوه تدركه عقولنا وإن لم يجب علينا اعتقاده إذا خالف ظاهر الاعتقاد وليس لك أن تقول هذا الذي نرده مخالف لظاهر الاعتقاد لأن الذي نرده موافق في الإجمال كما تعتقده ويخالف تفصيلك لأنك تفصل على ما يخالف الإجمالي الذي تعتقده مثلاً قالوا عليهم السلام اجعلوا لنا ربا نؤب اليه وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا الحديث، ومعناه في كل ما تنسب إليهم أي اجعل لهم ربا يرجعون إليه في كل ما تنسبون إلينا لا مطلقاً يعني ليس المراد اجعلوا لنا ربا نرجع اليه في العلم بمعني لا نعلم إلا به إلا إنا نقدر بدونه ونسمع بدونه وهكذا بل المراد إنا لا نعلم شيئاً حتى في إلا إن الثاني مما علمنا إلا به ولا نقدر على شيء إلا به ولا نحكم على شئ إلا به ولا نريد شيئاً إلا به ولا نترك شيئاً إلا به ولا يكون لنا من الأمر شيء في قليل ولا....إلخ)). إذا نلاحظ قيمة المنظومة العلمية في تدعيم ورفد تصحيح أي حديث بناء على بلاغته وصحته القرآنية والعلمية.

(١) في حديث طويل ذكر في إرشاد القلوب إلى الصواب للديلمي؛ ج٢؛ ص٢٩٦ روى الشيخ المفيد ره عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين ع في نفر من الشيعة وكنت فيهم فجعل يعني الحارث يتأود في مشيته ويخط الأرض بمجنته وكان مريضا فأقبل على أمير المؤمنين وكانت منه منزلة فقال أمير المؤمنين ع كيف تجدك يا حارث فقال نال الدهر مني يا أمير المؤمنين وأرداني غليلا اختصام شيعتك ببابك فقال وفيم خصومتهم قال في شأنك والبلية من قبلك فمن مفرط غال ومن مقتصد قال ومن متردد مرتاب لا يدري أيقدم أو يحجم فقال حسبك يا أخا همدان ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق القالي قال لو كشفت فداك أبي وأمي=

ويؤيد هذه الرواية ما ذكره سيدنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كما في بصائر الدرجات قال أبو بصير سمعت عنه عليه السلام يقول (لا تكذبوا الحديث أتاكم به مرجئي ولا قدري ولا خارجي نسبه إلينا، فإنكم لا تدرون لعله من الحق، فتكذبون الله عز وجل فوق عرشه)(١) انتهى، لأن الراوي لا مدخلية له بعد معرفة مطابقة الرواية مع المذهب والدين.

---

=الريب عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا فقال فإنه أمر ملبوس عليك إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق واعرف الحق تعرف أهله يا حارث إن الحق أحسن الحديث والصادع به مجاهد وبالحق أخبرك فأعرني سمعك ثم خبر به من كانت له حظوة من أصحابك ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول صدقته وآدم بين الروح والجسد ثم صدقته في أمتكم حقاً فنحن الأولون ونحن الآخرون ألا وأنا خاصته باختصاصه يا حارث وخالصته محمد نبيه وأنا وصيه ووليه وصاحب أمره ونجواه وسره أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب استودعت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب يفضي كل باب ألف ألف عهد وأيدت أو قال وأمددت بثلاثة إن ذلك ليجري لي ولمن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها وأبشرك يا حارث ليعرفني والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وليي وعدوي في مواطن ليعرفني عند الملمات [الممات] وعند الصراط وعند المقاسمة قال وما المقاسمة يا مولاي قال مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحاحا أقول هذا وليي وهذا عدوي ثم أخذ أمير المؤمنين ع بيد الحارث ثم قال يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صبيدي واشتكيت عليه حينئذ قريشا والمنافقين فقال إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله أو بحجزته يعني عصمة من ذي العرش تعالى وأخذت أنت يا علي بحجزتي وأخذت ذريتك بحجزتك وأخذت شيعتكم بحجزتكم فما ذا يصنع نبيه بوصيه خذها إليك قصيرة من طويلة أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت أو قال ما اكتسبت قالها ثلاثاً فقام الحارث يجر رداءه جذلا وقال ما أبالي وربي بعد هذا متى لقيت الموت أو لقيني.

(١) مختصر البصائر؛ ص٢٣٥.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن الروايات المستشهدة بها في المسائل الاعتقادية والمعارف الربانية وغيرها فلا يحتاج فيها إلى معرفة الراوي(١) وإن كانت لها مدخلية في زيادة الفضيلة إلا أنها لا مدخلية لها في المدعى نفسه.

---

(١) التعليقة ١٢: أقول: كلامه رحمه الله صحيح مئة في المائة ولكن بشروط كالتالي:
١ ـ وجود هذه الرواية في الكتب الموثوق نسبتها لرواة محمد وآله، أو أعطيت شرعية ثبوت بأنها مروية فعلا بغض النظر عن الآراء في صحة سندها من عدمه كوجودها مثلاً في الأصول الأربع مائة التي عرضت على أئمة الهدى عليهم السلام وليس مطلق كونها رواية حتى ولو جدت في صحراء أو بيت عتيق.. وهذا واضح لكل ذي لب.
٢ ـ من جهة: أن لا تصنف هذه الرواية أنها شاذة إلا إذا تعارضت مع محكم كلمات أهل العصمة عليهم السلام. بهذا نستيطع وضعها ضمن الشذوذ الفكري عن مذهب أهل البيت عليهم السلام. ومن جهة أخرى إذا تعارضت الرواية مع إنتاج فلاسفة الشيعة العقليين، فلا تعتبر شاذة، فهؤلاء توفيقيون، أي يوفقون بين الدين والفلسفة، بمعنى أن صدور وصف تلك الرواية بالشذوذ فقط لأنها تخالف محكمات كلمات أهل العصمة عليهم السلام الرئيسية حصرا مثلاً أن تأتي رواية تنكر شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام أو تنكر ولايته التكوينية أو تنكر الرجعة وهكذا من محكمات كلمات أهل البيت عليهم السلام التي لا تقبل التأول تحت أي مبنى مدرسي فلسفي أو التقاطي.
٣ ـ أن توافق في تفسيرها وتأويلها منفردين أو مجتمعين حقائق الكتاب الآفاقي والأنفسي والتدويني بلا تناقض أو تعارض أو شذوذ يعجز الحكيم الرباني توفيقه مع تلك الكتب الثلاثة، بمعني يستطيع الحكيم أن يجد الدليل لإثبات صحة تلك الرواية بسهولة ويسر بلا تكلف.
٤ ـ أن توافق تلك الرواية بنصها وبلاغتها وحقائقها نص القرآن بصريحه أو بملازماته بمنطوقه ومفهومه، بإشارته وفحواه، ويكون الحكيم المصحح للرواية عالم بالقرآن وتفسيره وتأويله وبلغته العربية الفصيحة وقوانينها على اعتبار الرواية صادرة من عدل القرآن محمد وآله، فهي ليست من النصوص=

# تنبيه [١]

ينبغي لك ألا تعمل بالنقل مطلقاً في المعارف الإلهية إلا عند اعتضاده بالعقل(١)، إلا إذا كان من الأخبار المجمع عليها أو من

---

=الميتة أو العادية أو التي لا تتضمن سرا وعلما إلهيا.

٥ ـ ألا تخالف تلك الرواية فطرة عوام المؤمنين التي لم تتلوث بالأفكار المسبقة، من خلال التربية المدرسية أو الاجتماعية المضادة للفطرة الإسلامية والجعفرية الحقة التي نشأت عليها أمهاتنا في حب أهل العصمة عليهم السلام يقول الشاعر:

لا عذب الله أمي أنها شربت     حب الوصي وغذتنيه باللبن
وكان لي والد يهوى أبا حسن     فصرت من ذي وذا أهوا أبا حسن

٦ ـ أن يمتلك ذلك الحكيم الرباني منظومة علمية حكمية مكتملة، أي مدرسة فكرية مستنبطة من أسس وثوابت القرآن الكريم وأقوال المعصومين عليهم السلام بحيث اتضحت لديه الرؤية الوجودية بكامل جوانبها، فلا تجد تناقضا في أسلوب بحثه وكتابته وتفكيره واستنتاجاته في جميع العلوم، فهذا النظام العلمي يشكل مخ تفكيره وعملياته العلمية والمنطقية فلا تكاد تجد خللا في جميع منتجه العلمي. مثال ذلك مدرسة شيخنا الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رحمه الله مناط بحثنا تجدها صرحاً علمياً منطقياً صلباً أمام التشكيك يقنعك بأسلوبه الفطري القرآني وكذلك بأسلوبه الجدلي في جميع العلوم التي تمت التشاركية معها في المجهود العلمي سواء أكان في التأسيس أو التطوير لهذه العلوم. (من ثمرات الحكمة).

(١) التعليقة ١٣: أقول: قصد المؤلف هنا ليس قصد فلاسفة المشاء الشيعة من=

=حيث تحكيم العقل في النقل وتقديمه على الكتاب والسنة، بل قصده قصد أستاذه في الحكمة السيد كاظم رحمه الله وقصد أستاذهما الحكيم الكبير الشيخ الأوحد الأحسائي رحمهم الله جميعاً حيث صرح أن العقل المستنير بالكتاب والسنة لا يختلف ولا يتناقض معهما..لذلك إن وجد التطابق والاعتضاد بينهما فهي الحجة القوية وكذلك التأييد من الدليل الكوني والأنفسي، فهي الحجة القاطعة على صحة النقل وليس مجرد صحة السند، فكلما ترقى الحكيم في معرفة الكتاب والسنة والكتاب الآفاقي والأنفسي كان أضبط في معرفة صحة الحديث من غيره. وهذا كلامه صريحا في هذا الكتاب حيث قال: ((نعم لا بد من المسترشد المستبصر الرجوع إلى النقل من باب التنبه والاستبصار فإن ذلك منحصر في الكتاب والسنة، وأما ما قلنا من العمل بالأخبار المجمع عليها والآيات المستجمع على تأويلها فهو قول مولانا الكاظم عليه السلام في حديث زبرقان الدامغاني قال إنه سأل هارون الرشيد مولانا الكاظم عليه السلام أن اكتب لي حديثاً جامعاً للأصول والفروع ويكون سماعك عن أبي عبد الله عليه السلام جامعاً فيه جميع الأحكام فكتب عليه السلام [بحار الأنوار؛ ج٢؛ ص٢٤٠]: (أمور الأديان أمران أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجتمع عليها المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وأمر يحتمل الشك والإنكار وسبيل استيضاح أهله الحجة عليه فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من استوضح تلك الحجة ردها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها وما لم يثبت لمنتحليه به حجة من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله وسع خاص الأمة وعامها الشك فيه والإنكار له كذلك هذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه إلى أرش الخدش فما دونه فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته وما غمض عنك ضوؤه نفيته ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل)). وقال أيضاً: ((اعلم أن العقل مخلوق من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو دليله في الإنسان لكن بشرطه، وذلك الشرط هو خضوعه وخشوعه لربه تعالى لأن العقل على ماقال أمير المؤمنين عليه السلام هو (ما عبد به الرحمن واكتسبت به الجنان)، وهو حينئذ=

الآيات المستجمع على تأويلها، لأنها حق لا شك فيها، وأما أخبار الآحاد والضعاف منها فكذلك، لا سيما إذا لم يكن لها معارض فإنها معمولة مقبولة بشرط مطابقتها مع المذهب، وإلا فلا يعتمد عليها ولا يركن إليها وإن كانت صحاحاً، لأن الاعتقادات لا يجوز فيها التقليد أبداً[١]، نعم لا بد من المسترشد المستبصر الرجوع إلى النقل[٢] من

=مستنير بنور الله أي بنور العبادة والتوجه إليه.

ثم اعلم أن كل ما يدركه يجب على المكلف أن يزنه بميزان الشرع، وإليه الإشارة في قوله تعالى: (وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً).

وهناك ميزان آخر لصحة ما أدركه العقل وهو اتفاق العقول عليه، ولما ثبت أنه تعالى لا يظلم العباد لغناه المطلق، وثبت أن الله تعالى خلق الخلق لغرض وذلك إيصالهم إلى الدرجات العالية والكمالات الأبدية والنعم السرمدية الباقية، وثبت أنه عادل حكيم، وجب في الحكمة أن لا يرتكب القبيح بوجه من الوجوه ولا يصدر عنه تعالى شر ولا نقص نريد به أنه تعالى لا يصدر عنه الشر أولا وبالذات، وأما ثانياً وبالعرض باعتبار اختيار العباد فيصدر عنه تعالى الشر والقبح، لأنه تعالى خالق كل شي وليس خالق سواه تعالى)). (من ثمرات الحكمة).

(١) التعليقة ١٤: قد تم التعليق على موضوع التقليد في العقيدة مفصلا في التعليقة رقم (٤) فراجع. (من ثمرات الحكمة).

(٢) التعليقة ١٥: أقول: قد مر في تعليقة رقم (١٣) جزأ من الجواب ونضيف أن اللابدية من الرجوع لصاحب العقل المسترشد المستنير بالمحكمات من الكتاب والسنة للنقل مع عدم الاستطاعة في التواصل مع المعصوم عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى حتى يتم مطابقة نتائجه بمحكماتهم لأن الكتاب والسنة هما الحاكمان على عمل العقل، فالعقل تلميذ لهما والتلميذ دائماً يحتاج الاسترشاد من أستاذه أو يضل طريقه، فالنقل بمثابة المصباح للعقل في ظلمة الجهل والحيرة والشك، وقصة الشامي مع الصادق عليه السلام صريحة في ذلك حيث ورد [عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عمن ذكره، عن يونس بن يعقوب=

=قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عندي فقال أبو عبد الله: فأنت إذا شريك رسول الله؟ قال: لا. قال: فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟ قال: لا، قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلي فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل ان يتكلم ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته، قال يونس: فيالها من حسرة، فقلت: جعلت فداك انى سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون، هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت: فويل لهم ان تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون. ثم قال لي: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فادخله؟ قال: فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاما، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليهما السلام فلما استقر بنا المجلس ـ وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحج يستقر أياما في جبل في طرف الحرم في فازة له مضروبة ـ فال: فأخرج أبو عبد الله رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخب فقال: هشام ورب الكعبة، قال: فظننا أن هشاما رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له. قال: فورد هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا الا من هو أكبر سنا منه، قال: فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثم قال: يا حمران كلم الرجل، فكلمه فظهر عليه حمران، ثم قال: يا طاقي كلمه فكلمه فظهر عليه الأحول، ثم قال: يا هشام بن سالم كلمه، فتعارفا، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام لقيس الماصر: كلمه فكلمه فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما مما قد أصاب الشامي. فقال للشامي: كلم هذا الغلام ـ يعنى هشام بن الحكم ـ فقال: نعم فقال لهشام: يا غلام سلني في امامة هذا، فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال للشامي: يا هذا أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي انظر لخلقه، قال: ففعل=

=بنظره لهم ماذا؟ قال، أقام لهم حجة ودليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم قال: فمن هو؟ قال: رسول الله ﷺ، قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟ قال: الكتاب والسنة، قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم، قال: فلم اختلفنا انا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك؟ قال: فسكت الشامي، فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي: ما لك لا تتكلم؟ قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت: ان الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه وإن قلت: قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة الا ان لي عليه هذه الحجة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سله تجده مليا. فقال الشامي: يا هذا من انظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل أقام من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله ﷺ والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال، ويخبرنا باخبار السماء [والأرض] وراثة عن أب عن جد، قال الشامي: فكيف لي ان اعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك، قال الشامي، قطعت عذري فعلي السؤال. فقال أبو عبد الله عليه السلام يا شامي: أخبرك كيف كان سفرك؟ وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا، فاقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، ان الإسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يثابون، فقال الشامي: صدقت فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وإنك وصي الأوصياء. ثم التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى حمران، فقال: تجري الكلام على الأثر فتصيب والتفت إلى هشام بن سالم، فقال: تريد الأثر ولا تعرفه، ثم التفت إلى الأحول، فقال: قياس رواغ، تكسر باطلا بباطل إلا أن باطلك أظهر، ثم التفت إلى قيس بن الماصر، فقال: تتكلم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله ﷺ أبعد ما تكون منه، تمزج الحق مع الباطل وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل، أنت والأحول قفازان حاذقان، قال يونس: فظننت والله أنه يقول لهشام قريبا مما قال لهما، ثم قال: يا هشام لا تكاد تقع، تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت مثلك فليكلم الناس، فاتق=

باب التنبه والاستبصار فإن ذلك منحصر في الكتاب والسنة، وأما ما قلنا من العمل بالأخبار المجمع عليها والآيات المستجمع على تأويلها فهو قول مولانا الكاظم عليه السلام في حديث زبرقان الدامغاني قال: إنه سأل هارون الرشيد مولانا الكاظم عليه السلام أن اكتب لي حديثاً جامعاً للأصول والفروع ويكون سماعك عن أبي عبد الله عليه السلام جامعاً فيه جميع الأحكام فكتب عليه السلام (أمور الأديان أمران أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجمع عليها والغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وأمر يحتمل الشك والإنكار وسبيل استيضاح أهله الحجة عليه فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من (لمن) استوضح تلك الحجة ردها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها وما لم يثبت لمنتحليه به حجة من كتاب مستجمع على تأويله أو سنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله وسع خاص الأمة وعامها الشك فيه والإنكار له كذلك هذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه إلى أرش الخدش فما دونه فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته وما غمض عنك ضوؤه نفيته ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل)(١). انتهى

---

=الزلة، والشفاعة من ورائها إن شاء الله] [الكافي ـ الشيخ الكليني ـ ج١ ـ ص١٧١ ـ ١٧٣].

فنلاحظ من المحاورة أعلاه قيمة وجود المعصوم عليه السلام (النقل عنهم كما في الزيارة الجامعة/من وحده قبل عنكم) فبدونهم عليهم السلام تمتد التفسيرات إلى ما لا نهاية ويسقط الدين لضياع معناه وهذا أعلى هدف تريد أن تصله نظرية التأويل المعاصرة. (من ثمرات الحكمة).

(١) بحار الأنوار ج٢؛ ص٢٤٠.

يا طالب إن كنت منصفاً ذكياً يكفيك الحديث فيما تحتاج من فهم الآيات والأخبار.

## [إثبات الصانع عقلاً ونقلاً]

ولما فرغنا من بيان المقدمة أردنا أن نشرع في معرفة إثبات الصانع وإثبات توحيده.

فنقول ولا حول ولا قوة إلا بالله: إن الحوادث كلها محتاجة وهذا أمر ضروري غير مفتقر إلى البرهان، ولا شك أن المحتاج لا يوجد نفسه وإلا يكون غنياً وهذا خلف، ولا يوجده من هو مثله(١)، وأيضاً لو كان الممكن أحدث نفسه لا يخلو إما أحدثها حين كان موجوداً أو أحدثها حين كان معدوماً، وكلاهما باطل، لأن الموجود مستغنٍ عن الموجد والمعدوم لا يكون موجداً وإلا لم يكن معدوماً، فلما بطل إحداث الممكن نفسه ثبت إثبات وجود موجد غني، وجوده بنفسه في نفسه لنفسه فهو الواجب تعالى، وهو تعالى علة الإبقاء والإمداد كما أنه تعالى علة الإيجاد بعينه(٢) خلافاً للعلامة رحمه الله حيث ذهب أن العلة الموجدة غير العلة المبقية وهذا بديهي البطلان عند من له عينان.

---

(١) مقتبس من قول ملانا الرضا عليه السلام المروي في الأمالي (للصدوق) ص٣٥٢ بما هذا نصه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رحمه الله قال حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثنا إبراهيم بن هاشم عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: (أنه دخل عليه رجل فقال له يا ابن رسول الله ما الدليل على حدث العالم قال أنت لم تكن ثم كنت وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك).

(٢) التعليقة ١٦: أقول قصد المؤلف (بعينه) أي بفعله لأن الهاء تعود على الفعل الإلهي وليس على الذات المقدسة، فالمؤلف يرفض وحدة الوجود في هذا الكتاب حيث قال: (وذلك أنا نقول ولا حول ولا قوة إلا بالله: إن الحق الذي لا يقربه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو أن الذات تعالى بفعله=

وأيضاً من الأدلة القاطعة على وجود الصانع مشاهدة تجدد الآثار آناً فآناً، فلو كان الواجب تعالى معدوماً بطلت تجدد الآثار بل بطل وجود الموجودين أيضاً، لما نرى في الأدلة الآفاقية من نور السراج، لأن نور السراج موجود ما دام السراج موجوداً، فعلى هذا وجود الموجودات دليل على وجود الصانع تعالى.

فإن قلت: إن الموجودات الممكنة الحادثة صدر كل واحد عن الآخر فلا تحتاج إلى الواجب تعالى.

قلنا: لو كان كذلك لزم الدور أو التسلسل، فالتالي باطل والمقدم مثله، أما بيان لزوم الدور والتسلسل فنقول: إن هذه الموجودات الممكنة لا تخلو إما أن يكون الواجب تعالى موجوداً معها أو لا،

---

=فاعل، وفعله فاعل بالله من دون فصل ولا وصل، لأن القول بأنه فاعل بذاته يستلزم الوصل ويستلزم الربط، أي ربط القديم بالحادث، والربط يستلزم الحدوث، والقول بالفصل يستلزم الاستقلال والشراكة والتفويض والاستغناء المحال للحادث، فعلى هذا إذا قلت الله فاعل معناه أنه بفعله فاعل، وإذا قلت فعله فاعل معناه أنه بالله فاعل، كالحديدة المحماة بالنار لأنها هي الفاعلة في تأثيرها بالنار والنار هي الفاعلة بالحديدة (الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد). وقال أيضاً: (وأن الممكن وجوده حادث أحدثه الله بفعله وأقامه بظله) وقال أيضاً: (فلما علمت أن الذات القديم تعالى شأنه لا يدرك قط فاعلم أن مرجع الصفات الثبوتية والسلبية المدركة للممكن آثاره وشئوناته لا ذاته تعالى، لما أثبتنا بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن ذاته تعالى لا يدركها غيره تعالى لعدم المناسبة بينه وبين خلقه كما سبق ويأتي، لأن الخلق حادث بفعله تعالى ولا شك أن حقيقة الخلق معدوم في ذات الحق تعالى). وكذلك المدرسة التي ينتمي لها ترفض وحدة الوجود وتقر الثنائية كأساس للتوحيد ومعنى الثنائية المقصودة أن الخالق غير المخلوق لا غير، أي ثنائية تفهيمية لا ثنائية اشتقاقية، والمؤلف أشبع الكتاب بما يكفي لتوضيح هذه المطالب. (من ثمرات الحكمة).

وعلى الثاني نحتاج إلى مؤثر بالضرورة، فمؤثرها لو كان ممكناً آخر افتقر هذا الممكن إلى مؤثر، فمؤثره لو كان ما فرضناه أولاً لزم الدور، ولو كان ممكناً آخر فننقل الكلام إليه وهكذا فيتسلسل، وأما بطلان الدور والتسلسل فنقول أما الدور فهو عبارة عن توقف الشيء على ما يتوقف عليه كما يتوقف (أ) على (ب) و(ب) على (أ) وهو باطل بالبديهة، إذا لم يكن الدور دوراً معياً إذ يلزم منه أن يكون الشيء موجوداً ومعدوماً معاً وهذا محال بالضرورة، وذلك لأنا نقول إذا توقف (أ) على (ب) كان (أ) متوقفا على (ب) وعلى جميع ما يتوقف عليه (ب) ومن جملة ما يتوقف عليه (ب) هو الألف نفسه فيلزم توقفه على نفسه والموقوف عليه متقدم على الموقوف، فيلزم تقدم الشيء على نفسه فيكون (أ) حينئذ موجوداً قبل نفسه فيكون موجوداً ومعدوماً معاً، يعني حينما يكون الألف موجوداً يكون معدوماً وحينما يكون معدوماً يكون موجوداً.

وأما التسلسل فهو عبارة عن ترتب علل ومعلولات بحيث يكون السابق منها علة في لاحقها وهكذا إلى غير نهاية وهو أيضاً باطل، لأن أفراد السلسلة كلها متصفة بالاحتياج فتحتاج إلى مؤثر، فمؤثرها إما نفسها أو جزؤها أو الخارج عنها، أما الأول فباطل لامتناع تأثير الشيء في نفسه وإلا لزم تقدم الشيء على نفسه فيكون موجوداً حينما كان معدوماً، وأما الثاني فيلزم تأثير الشيء في نفسه وهو أيضاً باطل، فلما بطل القسمان ثبت القسم الثالث وهو أن يكون المؤثر خارجاً عن السلسلة وهو الواجب تعالى، لأنه تعالى خارج عن الإمكان غير داخل فيه بذاته، وغير الممكن واجب إذ لا واسطة بينهما.

وأيضاً نقول في بطلان التسلسل أنا لما رأينا أن أفراد الممكنات موجودة لدينا علمنا أن السلسلة منتهية بدءاً إلى المؤثر الذي هو الواجب وإلا يلزم ألا يكون شيء موجوداً أبداً لما قلنا أن السلسلة لا

نهاية لها، وقد ثبت أن ما لا أول له لا آخر له، وأنت علمت في الفرض أن اللاحق من آحاد السلسلة متوقف على سابقه، وسابقه على سابقه وهكذا، فلما ظهر بطلان الدور والتسلسل بان تحقيق إثبات وجود الواجب تعالى.

# تنبيه [٢]

الموجود عند التعبير قسمان أحدهما الواجب تعالى والثاني الممكن ولا ثالث[١]، ولا يتوهم أن الوجود ينقسم إلى الواجب والممكن بحيث يكون الوجود المطلق أمراً خارجاً عن الواجب والممكن، ويكون الواجب والممكن فردين للوجود المطلق، لأنه لو

---

(١) التعليقة ١٧: أقول المؤلف تبعا لمدرسته ومؤسسها الحكيم القرآني العملاق الشيخ الأحسائي يرفض الشراكة في الوجود، فهو يرفض وحدة الوجود، بل يرفض جميع نظريات الوحدة للوجود بين الخالق والمخلوق والقسمة المتفرعة عن هذه النظريات، والسبب لأنها تنافي صريح محكمات القرآن الكريم وصريح محكمات العقل التي تؤسس وحدة الإله في ذاته سبحانه، بل توجب حق التوحيد لله حتى في أوهامنا، فلا شراكة لله مع أحد مطلقا وترى هذه المدرسة المبارك قصور العقل المشائي نسبة للفلسفة المشائية عن إدراك حقيقة التوحيد الصافي بسبب استخدامها عقلها المضلل في توصيف الله، وشبهات البشر هي واحدة على مر العصور لأن حواسه التي تقود تفكيره واحدة والله خاطبهم جميعاً على نحو القضية الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. على هذا هي تؤسس لثنائية الوجود بين الخالق والمخلوق كما قال عليه السلام: (حق وخلق ولا ثالث بينهما) [اللمعة البيضاء ـ التبريزي الأنصاري ـ ص١٥٢]. فتدبر جيداً قبل اتباع نظريات وحدة الوجود الباطلة ومقدماته الفاسدة. (من ثمرات الحكمة).

كان كذلك للزم اتحاد الواجب والممكن في الوجود، ويلزم أيضاً تركيب الواجب مما به الاشتراك وما به الامتياز، وكلاهما باطل.

أما الأول فلأنه يقتضي أن يكون الأثر مؤثراً باعتبار حقيقة الوجود، وهذا خلف.

لا يقال أنه لو لم يكن الوجود في الواجب والممكن واحد يلزم الاثنينية، فحينئذ إما الاثنان متماثلان أو متباينان، فإن كانا متماثلين يكون لهما جهة جامعة والجهة الجامعة هو الوجود، وإما أن يكون الاثنان متباينين فعلى هذا لزم أن يكون أحد المتباينين عدم بحت، لأنهما واقعان في طرفي النقيض، فعلى التقديرين يكون الوجود واحداً.

لأنا نقول: إن فرض الاثنينية ولزومها إنما يتحقق عند كون الواجب والممكن في صقع واحد، وقد ثبت بالضرورة أن الأثر والمؤثر ليسا في صقع واحد وإلا لم يكون الأثر أثراً ولا المؤثر مؤثراً، وإنما الأثر صفة فعل المؤثر، وصفة الشيء لا يكون ثانياً للشيء، بل تكون الصفة عدماً صرفاً عند موصوفه كانعدام القيام عند القائم، ولذا لا تقول رأيت زيداً وقيامه، ولا تقول أن القائم والقيام اثنان بل ولا يخطر ببالك، فنحن إذا قلنا أنه تعالى وجوده قديم عين ذاته، وأن الممكن وجوده حادث أحدثه الله بفعله وأقامه بظله، لا نريد بوجود الممكن إلا الوجود الصفتي، وأنت ترى اضمحلال الصفة لدى موصوفها فلا يلزمنا الاثنينية حتى يقال أنهما متباينان أو متماثلان، فتفطن فإنه دقيق.

وأما الثاني فلأنه قد ثبت عند أهل العلم بأن الفرد عبارة عن الكلي مع ضم قيد زائد وهو التشخص، كزيد لأنه إنسان مع التشخص، فلو كان الواجب فرداً من الوجود المطلق لزم أن يكون مركباً من الوجود ومن التشخص الواجبي.

والقول بأن ما به الامتياز في الواجب عين ما به الاشتراك فليس بصحيح.

لأنا قد عرفنا بالضرورة أنه لا اشتراك لشيء في الوجود معه تعالى حتى يحتاج إلى مميز حتى يؤول بهذا التأويل البارد الباطل وهو عينية ما به الاشتراك مع ما به الامتياز.

أيها الطالب المستبصر أين يفرض هناك شيء حتى يكون شريكاً معه تعالى في الوجود، ليس إلا الله وحده لا شريك له، قل الله واسكت، ألا تسمع قوله عليه السلام لما سئل الرجل عن معنى الله أكبر قال الرجل: يعني الله تعالى أكبر من كل شيء قال عليه السلام: ويلك وهل ثمة شيء حتى يكون تعالى أكبر منه قل الله أكبر من أن يوصف[١].

والحاصل مما زبرنا أن الوجود واحد وهو وجود الواجب تعالى، وأما الممكن فوجوده أثر إشراق فعل الواجب وصفته، وهذا الوجود الإمكاني الحادث ليس ثانياً لذلك الوجود الثابت المتأصل بنفسه لنفسه، نعم قولنا وجود الممكن هذا تعبير لا تقسيم لفقدان المقسم بين الواجب والممكن كما عرفت، هذا الذي ذكرنا من الاستدلال على وجود العلة بوجود المعلول دليل إني، وأما الدليل اللمي على وجود العلة فنقول: إنه حيث كان الواجب تعالى موجوداً كان أثره موجوداً، يعني لولاه سبحانه لما كان كائن أبداً، كما أنه لولا زيد لما كان أثره من قيامه وقعوده وغير ذلك مما يصدر عنه من الآثار والأفعال.

---

(١) الكافي ج١؛ ص١١٧ باب معاني الأسماء واشتقاقها علي بن محمد عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رجل عنده الله أكبر فقال الله أكبر من أي شيء فقال من كل شيء فقال أبو عبد الله عليه السلام حددته فقال الرجل كيف أقول قال قل الله أكبر من أن يوصف).

وهناك دليل آخر لسنا بصدد بيانه وهو أن كل شيء يعرف بنفسه، كما يعرف الأحمر بالأحمر أو بالحمرة، والأصفر بالأصفر أو بالصفرة، والأبيض بنفس الأبيض، والسواد به لا بغيره، وهذا النوع من الدليل لعله نذكر فيما بعد في محل يناسب المطلب إن شاء الله، وليكن منك ذكر لأنه كثير الفائدة ما أدركه إلا الأقلون.

وأما الدليل النقلي على إثبات الصانع تعالى فكثير منها قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(١) وقوله تعالى في الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾(٢)، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير)(٣)، انتهى.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: بما عرفت ربك؟ فقال عليه السلام: (بفسخ العزم، ونقض الهمم، لما أن هممت حال بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، فعلمت أن المدبر غيري»(٤). انتهى.

وسئل أبو الحسن الرضا عليه السلام ما الدليل على حدوث العالم فقال: (أنت لم تكن ثم كنت وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك)(٥) انتهى.

سئل أبو عبد الله عليه السلام ما الدليل على أن للعالم صانعاً فقال: (أكثر

(١) الذاريات ٢٠ ـ ٢١.

(٢) الأعراف ١٨٥.

(٣) جامع الأخبار(للشعيري)؛ ص٤.

(٤) مختصر البصائر؛ ص٣٤٧.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج١؛ ص١٣٤.

الأدلة في نفسي لأني وجدتها لا تعدو أحد أمرين إما أن أكون خلقتها وأنا موجود وإيجاد الموجود محال وإما أن أكون خلقتها وأنا معدوم فكيف يخلق لا شيء فلما رأيتهما فاسدتين من الجهتين جميعاً علمت أن لي صانعاً ومدبراً)(١) انتهى.

واعلم أن معرفة وجود الواجب الصانع للموجودات من البديهيات لكنه خفي لشدة ظهوره، وغاب لفرط نوره، واستتر لعظم طوره، وفي الدعاء: (يا خفياً من فرط الظهور).

## فائدة [في ذكر بعض المذاهب الفاسدة]:

لا بد أن يذكر بعض المذاهب من أهل الأهواء لتنبيه المستبصر.

منها؛ قوم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، وهم الذين حكى الله تعالى عنهم في القرآن: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٢)(٣)، وهؤلاء أحالوا الصنع على طبائع الأشياء، وهم محجوبون بأهوائهم وميولاتهم النفسانية، وظلمة الهوى أشد من كل ظلمة؛ ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(٤) وهؤلاء المعطلة(٥) وهم أصناف:

---

(١) روضة الواعظين وبصيرة المتعظين ج١؛ ص٣١.

(٢) الجاثية ٢٤.

(٣) التعليقة ١٨: أقول هذا منهج كل كافر جحد البعث وهذه نتيجة طبيعية للنكران، فالكفر واحد مهما تعددت صوره، فلا يوجد عنده سوى هذه الحياة يحاول الاستفادة منها، فغاية الكافر التمتع بالدنيا ما استطاع لذلك سبيلا وعدوه هو الوحي والفناء. (من ثمرات الحكمة).

(٤) الجاثية ٢٣.

(٥) التعليقة ١٩: أقول التعطيل في العقيدة حقيقته واحدة هي تحريف الوحي عن معناه، وهي مهمة خطيرة لجأ لها الكافرون بالله لإلغاء الدين، فالتعطيل في=

صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة كما ذكرنا.

وصنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه تعالى وأنكروا البعث والإعادة وإليه ناظر قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1].

---

=اللغة: (اسم) مصدر عطل فتقول: حاول تعطيله عن موعد سفره: أي تأخيره. وفي(القانون) معناه بطلان العقود وانفساخها بطروء حدث جديد، وتقول: التعطيل الرسمي: توقف العمل في الدوائر الرسمية في ظروف مناسبات معينة، ومذهب التعطيل: في (الفلسفة والتصوف) الذي ينكر أصحابه صفات البارئ تعالى. عطل: (فعل) عطل يعطل، تعطيلا، فهو معطل، والمفعول معطل ونقول: عطل الإبل ونحوها: خلاها بلا راع ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾. عطل البئر: ترك وردها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾. وتقول: عطل المرأة نزع حليها وتقول: عطل الشيء أي أخلاه. وتقول: عطله المرض عن عمله: أوقفه عن العمل، عوقه وأخره، بطأه عطله المطر عن إنهاء عمله في الحقل وتقولك عطل الشريعة أي أهملها ولم يعمل بها وعطل الثغور ترك حراستها وإقامة الجند فيها، وتقول: عطل الأرض لم يعمرها ولم يحرثها، وتقول: عطل الأجير أي تركه بلا عمل عطل الآلة: أحدث بها عطبا وتقول: عطله عن إتمام عمله أخره وتقول عطل العمال لم يعودوا يعملون، توقفوا عن العمل، وتقول: عطل القوانين الجارية: أوقف تطبيقها وصار لا يعمل بها.وفي الاصطلاح: هوعدم تمكين الذات من صفاتها أي يمنعوها عنها، أي يقولوا هي لا توصف وعدم الوصف يستلزم عدم المعرفة، ويتضمن التعطيل جبرا تحريف معاني أسماء الله وصفاته عن معانيها التي أوقفها الله سبحانه.إذا نستخلص من التعريف اللغوي للتعطيل أن حقيقة التعطيل اللغوية هو عدم الاستعمال فيما وضع له وكذلك إفراغ الشيء وإخلائه ويجمع كل ذلك هو التوطئة لتحريف المعاني والألفاظ عما وضعت له. والمعطلة أصناف كما ذكرهم المؤلف في النص، ومن أبرز وجوه التعطيل في عصرنا الحالي هي بروز نظريات التأول ونظريات اللسانيات في تفسير اللغة العربية وأسقاطها على تفسير القرآن وهي كثيرة لا نريد الحديث عن واحدة بعينها، فراجع. (من ثمرات الحكمة).

(١) يس ٧٨ ـ ٧٩.

وصنف اعترفوا بالخالق ونوع من الإعادة لكنهم عبدوا الأصنام فزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١).

ومنهم من يجعل الأصنام على صور الملائكة ويتوجه بها إلى الملائكة.

ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾(٢) هؤلاء محجوبون بظلمة الحس.

وهناك طائفة أخرى يسمونهم المحصلة(٣) في مقابلة المعطلة،

---

(١) يونس ١٨.

(٢) سبأ ٤١.

(٣) التعليقة ٢٠: وهذا نوع آخر من تحريف الدين وإلغاء الوحي، وهي بروز نظريات القوانين الوضعية لنسف شريعة الإله تحت مسميات كثيرة ومن أبرز هذه النظريات النظرية الوضعية لأوجست كونت وإنعكاسها على مجمل الفكر البشري المعاصر وملخصها: (الفلسفة الوضعية (بالإنجليزية: Positivism) هي إحدى فلسفات العلوم التي تستند إلى رأي يقول أنه في مجال العلوم الاجتماعية، كما في العلوم الطبيعية، فإن المعرفة الحقيقية هي المعرفة والبيانات المستمدة من التجربة الحسية، والمعالجات المنطقية والرياضية لمثل هذه البيانات والتي تعتمد على الظواهر الطبيعية الحسية وخصائصها والعلاقات بينهم والتي يمكن التحقق منها من خلال الأبحاث والأدلة التجريبية. كما تعد قسم من أقسام «نظرية المعرفة» (إبستمولوجيا). وهي نشأت كنقيض لعلوم اللاهوت والميتافيزيقيا الذين يعتمدان المعرفة الاعتقادية غير المبرهنة. وضع الفيلسوف والعالم الاجتماعي الفرنسي الشهير أوغست كونت هذا المصطلح في القرن التاسع عشر وهو يعتقد بان العالم سيصل إلى مرحلة من الفكر والثقافة بأنه سوف تنفي كل القضايا الدينية والفلسفية وسوف تبقى القضايا العلمية التي أثبتت بالحس والخبرة الحسية أو بالقطعية والوضعية (positive). وفي ذلك العصر سوف يمح الدين من ساحة المجتمعات البشرية. تهتم هذه=

منهم البراهمة من أهل الهند مدار طريقتهم على التحسين والتقبيح العقليين، والرجوع في كل الأحكام إلى العقل، وأنكروا الشرائع رأسا واستدلوا على طريقتهم وعملهم بالعقل، وقالوا إن النبي عن الله إما شرعه على ما لا تعرفه عقولنا أو تعرفه، فالأول تكليف بما لا يطاق والثاني يلزم منه تحصيل الحاصل، لأن العقل يدرك ما أتى به النبي فلا يحتاج إلى النبي أبداً، وانتساب هؤلاء إلى رجل يقال له براهام.

---

=المدرسة بإجراء الأبحاث الكمية، وتعتمد عادة في دراساتها للظواهر الاجتماعية على تصميم استبيانات بحثية بهدف إجراء البحث على عينة كبيرة من الناس واستخراج النتائج بصورة سريعة يمكن تعميمها على قطاعات أوسع من المجتمع.. لاحقا تعرضت هذه المدرسة الكلاسيكية لنقد كبير أدى إلى ظهور مدارس اجتماعية أخرى، مثل فلسفة ما بعد الوضعية، والفلسفة التأويلية، والظاهراتية، والحركة النقدية) ولعل كثير من المتشرعين ردها وهدم أساساتها ولكن ما دامت قوى الشر ودولة الباطل تدعمها بالفكر الشرير والمال الرأس مالي الملوث فهي ستتجدد باستمرار لتشكل نقيض الوحي المزعج للمتشرعين. ومنها نظرية الوضعية المنطقية: (في القرن العشرين الميلادي سمى فريق من الفلاسفة الألمانية والإنجليزية حلقتهم التي كانت تعقد في فينا بـ «الوضعية المنطقية». أصحاب حلقة فينا (وقد يطلق عليها اسم مدرسة فينا الوضعية) كانوا يعتقدون بأن قضايا كل العلوم البشرية غير المنطق لا بد أن تؤيد بالحس والتجربة. ولكن القضايا المنطقية ـ التي تحدد طريقة تفكير البشر وتعصمه عن الخطأ في الفكر ـ هي القضايا والأصول العلمية الوحيدة التي لا يجب أن تثب بالحس والخبرة لانها تعملنا طريقة التفكير الصحيح.

دامت نجمة الوضعية المنطقية في العقود الأولى من القرن العشرين مضيئة ومتلألئة في سماء فلسفة العلم إلا أنها أفلت بعد ظهور الجيل التالي من الفلاسفة من أمثال كوهنوويلارد فان أورمان كواين) [الموسوعة الحرة/ الانترنت]. (من ثمرات الحكمة).

ومن المحصلة أصحاب البددة البد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يموت.

ومنهم عبدة الكواكب، ومنهم عبدة الشمس، ومنهم عبدة القمر.

ومن المحجوبين طائفة احتجبوا بظلمة الخيال، وهؤلاء جاوزا الحس وأثبتوا وراء المحسوس شيئاً ولكنهم لم يهتدوا إلى مجاوزة الخيال إلى معرفة الرب المتعال، فعبدوا موجوداً قاعداً على العرش وقالوا أنه تعالى وضع رجلاً على رجل واستلقى وهو جلسة الرب، ورووا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة، وقالوا أنه يتصور بصورة آدم ويحاسب الناس في القيامة، ورووا أنه جالس على العرش قد فضل منه أربع أصابع من كل جانب، ورووا أن النار تتزفر وتتغيظ بغيظ شديد فلا تسكن حتى يضع الرب قدمه فيها فتقول قط قط أي حسبي حسبي.

ومن المحجوبين من الفرق الباطلة الغلاة والصوفية، أما الغلاة فقالوا أنه تعالى حل في أمير المؤمنين عليه السلام ثم في أولاده واحدا بعد واحد، وزاد بعضهم وقال ثم منهم عليهم السلام إلى شيعتهم وأوليائهم، قاسوه على جبرئيل لما كان يأتي على صورة دحية الكلبي وهو روح لطيفة.

وأما الصوفية كالحلاجية والبسطامية وغيرهم قالوا أنه تعالى وتقدس حال في جميع المخلوقات، ومنهم من أوضح هذا المذهب وقال أنه تعالى سار في هذا العالم سريان نفس الواحد منا في بدنه.

أقول كما قال عليه السلام: (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيأة فشبهوك وجعلوا بعض آياتك أربابا ومن ثم لم يعرفوك يا سيدي)(١)،

(١) في النسخة التي بين أيدينا من مصباح المتهجد وسلاح المتعبد؛ ج١؛ ص١١٥ بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة فشبهوك يا سيدي واتخذوا بعض آياتك أربابا يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي.

وقال عليه السلام: (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)[١]، انتهى، وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٣].

وبالجملة إن المنصف المستبصر يعقل أن ذاته مفقودة في رتبة ذات الأزل تعالى فكيف لا يكون إدراكه مفقوداً هناك، مع أن إدراكه تحت رتبة ذاته، فمن ادعى إدراكه تعالى بذاته فقد ادعى أمرا عظيما تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض، وادعى أنه تعالى محاط لإدراكه ـ تعالى ربنا عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ.

## [الفرق بين المعرفة الفطرية والنظرية للخالق تعالى]

بناء على هذا كل ما قاله الجهلة من الفرق الباطلة من الخرافات المذكورة هنا وما لم يذكر كلها ناشئة من خيالاتهم الظلمانية وأهويتهم الفاسدة الشيطانية، وكلها تحت رتبتهم ترجع إليهم، فلا يكون الخالق تعالى إلا ما لا يدركه الإمكان، نعم ما يدركه الممكن هو أنه فقير يحتاج إلى غني يسد فقره وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى البرهان عند من له عينان، ولذا قلنا أنه ليس في الوجود ذرة إلا وهي تنادي بلسان حالها وكينونتها وذاتها أنها ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها، وأنها تحتاج إلى موجد صانع، وهذه المعرفة فطرية للخلائق كلها وإلى ذلك نص أبو جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) يعني المعرفة، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٤].

---

(١) الوافي ج١ ص٤٠٧.

(٢) الأنعام ١٠٣.

(٣) الشورى ١١.

(٤) لقمان ٢٥.

ها هنا دقيقة ما عرفها إلا الأقلون وهي أن معرفة الله تعالى لها مراتب.

الأولى: أن يعرف العبد أن للعالم صانعاً.

الثانية: أن يصدق بوجوده.

الثالثة: أن ينزه العبد الصانع عن الشريك.

الرابعة: أن ينفي له تعالى الصفات التي تعتبرها الأوهام الباطلة.

والأولتان من الأربعة فطريتان للإنسان بل لكل شيء، ولذا لم يدع الأنبياء عليهم السلام إليهما مع أنهما لو توقفا على الدعوة لزم الدور، وإنما الذي دعا إليه الأنبياء هي الثالثة والرابعةلأنهما نظريتان ولذا وردت: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)، وقال عليه السلام: (لا يشبهه تعالى شيء) فالأول إشارة إلى التوحيد، والثاني إشارة إلى التنزيه.

فإذا علمت الفرق بين المعرفة الفطرية البديهية وبين المعرفة النظرية يسهل عليك فهم الأخبار الواردة في أن معرفة الله فطرية والواردة في أنها نظرية يجب تحصيلها بالبحث النظري.

ومما بيننا علم أن المعرفة قسمان أحدهما هو أن المعرفة فطرية وقد عرفت ذلك مما ذكرنا في إثبات وجود الصانع، وثانيهما هو أن المعرفة نظرية وذلك كما سنبينه في بيان إثبات توحيده تعالى وتنزيهه تعالى عن الشريك، وإثبات صفاته اللائقة له تعالى بما وصف به نفسه على ألسنة أوليائه وحججه عليهم السلام.

فإن قلت: كيف يكون معرفته تعالى بديهيا مع إنكار المعطلة ذلك، واستدلالك [على] وجوده تعالى، لأن ذلك ينافي البداهة.

قلنا: أما المعطلة فإنهم أنكروا وجود الصانع الذي هو خارج عن طبائع الأشياء، لأنهم يقولون بالطبع المحيي والدهر المفني كما ذكرنا فراجع، وأما استدلالنا على تحقق وجود الصانع فليس المراد منه

مطلق إثبات وجوده، وإنما المراد إثبات وجود الصانع الذي هو خارج عن الإمكان كما علمت مما سطرنا وستعلم في بيان إثبات صفات الصانع اللائقة لجنابه تعالى، لأن الشيء يعرف بصفاته.

# تنبيه [٣]

## [في معنى دخول الواجب تعالى وخروجه]

اعلم أن مرادنا بالخروج في قولنا الصانع الذي هو خارج عن الإمكان ليس هذا الخروج هو الخروج الذي يقابله الدخول، لأن ذلك لا يوصف به تعالى قط، بل إنما المراد منه هو أنه تعالى حقيقة وجوده نفسه بنفسه لنفسه، وأن الإمكان أثره وظهوره، والمؤثر ليس عين أثره ولا غيره ولا خارج منه ولا داخل فيه، بل ولا يتصور ذلك كما لا يتصور أن نور الشمس داخل فيها أو خارج عنها.

والسر في ذلك أن الأثر معدوم عند وجود المؤثر، والتعبير عن الأثر بالموجود لا يحقق له تأصلا بحيث يكون ثانياً لوجود المؤثر حتى يقال أي نسبة بين الأثر وبين المؤثر، ويقال أنه متصل به أو منفصل عنه، أو غير ذلك كما نفصله في مقامه إن شاء الله تعالى.

## [إثبات توحيده تعالى عقلاً ونقلاً، وصفاته سبحانه]

وأما إثبات توحيده تعالى فنقول: إن توحيده تعالى وكونه تعالى واحدا هذا داخل في صفاته، وصفته تعالى ذاتية وفعلية.

فأما الذاتية: فتوحيده نفس ذاته وعين هويته تعالى، لأن التوحيد والموحد ـ بالكسر ـ والموحد ـ بالفتح ـ هناك شيء واحد بلا تعدد لا ذهناً، ولا خارجاً، ولا فرضاً، ولا اعتباراً، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ﴾(١) لا يدرك هذا التوحيد إلا هو تعالى فقط، لما حققنا أن المناسبة لازمة بين المدرك ـ بالكسر ـ والمدرك ـ بالفتح ـ ، وإلا لزم أن يدرك كل شيء كل شيء، والثاني باطل وهو إدراك كل شيء كل شيء، وبطلان ذلك في غاية الظهور والانكشاف، وهو أنه من البديهي أن المسموعات لا يدركها البصر، والمبصرات لا يدركها السمع، وكذلك ما لا يدركه الحواس الظاهرة لا تدركه الحواس الباطنة كالعكس، وكذلك لا يدرك بالحواس الظاهرة والباطنة ما يدرك بحاسة ليس من الظاهرة ولا من الباطنة وهو الفؤاد كما يأتي تفصيله عند ذكر المشاعر.

فإذا علمت إثبات نوع المناسبة بين المدرك والمدرك تعلم أن الواجب تعالى ليس مدركا لغيره، وأن الممكن يمتنع له أن يدركه تعالى، كيف لا وإن الممكن مع تناسب مشاعره من حيث الإمكان ترى أن الحواس الظاهرة لا تدرك ما تدركه الحواس الباطنة، كما أن السمع لا يدرك ما يدركه البصر، والذوق لا يدرك ما يدركه الشم كالعكس، فإذا كان كذلك وجب ثبوت المناسبة فإذ ليست بطل الإدراك رأساً، فعلى هذا لا يدركه تعالى كنهه إلا هو، ولو ادعى معرفته من خلقه بالكنه أو بوجه ما على وجه سواء كان نبياً مرسلاً، أو ملكاً مقرباً، أو مؤمناً ممتحناً، فقد ضل وغوى وكذب وافترى.

نعم؛ ما يدركه الخلق من صفاته تعالى من توحيده وسائر صفاته هو الصفات الفعلية الحادثة الإمكانية لوجود المناسبة.

إذا فنقول: أن الواجب تعالى حيث ثبت أنه في غاية الكمال يجب أن يكون وحيداً بالذات لما يأتي أن الكثرة نقص، لأنه لا شك أن الواحد بالذات والصفات أكمل ممن يكون له شريك في الذات

(١) آل عمران ١٨.

والصفات والكمالات، ولا شك أنه تعالى في غاية الكمال في جميع الكمالات فيجب أن لا يكون له شريك، وإلا لما كان في غاية الكمال، ولا شك أن وجوده تعالى سرمدي لا بداية له ولا نهاية، لأنه إذا كان كذلك أكمل من أن يكون معدوماً أو يطرأ عليه العدم.

ولا شك أنه تعالى يجب أن يكون عالماً، قادراً، سميعاً، بصيراً، لما قلنا أنه تعالى كامل وفقدان واحدة من هذه الصفات نقص في حقه تعالى.

ويجب أيضاً أن يكون هو تعالى منزه عن جميع الصفات الإمكانية من العجز والجهل وغيرهما، لاتصافه بغاية الكمال.

ولا شك أن صفاته ليست بزائدة على ذاته تعالى لأنه ينافي الكمال المطلق بل هي عينه تعالى كما يأتي بيانه بعبارة أخرى مفصلاً.

لا يتوهم أحد أنا نقول بإدراك ذات الواجب تعالى بذاته ونتكلم فيها بإثبات هذه الصفات المذكورة له تعالى التي هي عين ذاته تعالى، لأنا قد حققنا أنه لا يعرف بذاته وإنما يعرف تعالى بآثاره ومصنوعاته.

فعلى هذا نقول حيث رأينا الحياة والحي في المصنوعات قلنا أنه حي، وكذلك العلم والقدرة والسمع والبصر لأن الآثار هي التي تدل عليه تعالى أي على فعله بما ظهر للآثار بالآثار، إذ الذات بمعزل عنها كلها، علمنا أنه تعالى إذا لم يكن له هذه الصفات لم يصدر عنه هذه الصفات، كما ترى أن النار لا تبرد والماء لا يسخن، لأن النار فاقد البرودة وإن الماء فاقد الحرارة، وهذا بديهي لمن له أدنى تأمل وإدراك.

فلما علمت أن الذات القديم تعالى شأنه لا يدرك قط فاعلم أن مرجع الصفات الثبوتية والسلبية المدركة للممكن آثاره وشئوناته لا ذاته تعالى، لما أثبتنا بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن ذاته تعالى لا

يدركها غيره تعالى لعدم المناسبة بينه وبين خلقه كما سبق ويأتي، لأن الخلق حادث بفعله تعالى ولا شك أن حقيقة الخلق معدوم في ذات الحق تعالى، فكيف إدراكهم الذي تحت رتبة ذاتهم، ألا ترى أن الكتابة التي أثر لفعل الكاتب مجعولة بحركة يده التي هي فعل الكاتب لا تدل على ذاتي الكاتب على أنه إنسان أو حيوان مؤمن أو كافر، عرب أو عجم رومي أو حبشي، رجل أو امرأة، كبير أو صغير، أعمى أو بصير، وإنما تدل الكتابة على هيئة حركة يد الكاتب من الاستقامة والاعوجاج والاستدارة وغيرها، كما أن الألف تدل على أن حركة يد الكاتب على نحو الاستقامة، والجيم يدل على أن حركة يد الكاتب على نحو الاعوجاج، والهاء تدل على أن حركة يد الكاتب على نحو الاستدارة، والباء تدل على أن حركة يد الكاتب على نحو الانبساط، وهكذا باقي الحروف، وهذا المثال من الآيات الآفاقية التي يستدل بها المستبصر المنصف على ما هنالك، فعلى هذا لا يعرف الأثر من المؤثر إلا بما ظهر له به من صفات فعله، وهذا هو الذي نقول أنه تعالى يعلم بما وصف به نفسه على ألسنة أوليائه وحججه عليهم السلام، وما وصف به نفسه على ألسنتهم عليهم السلام هو أنه تعالى صفاته عين ذاته بلا اختلاف مفهوم ولا تعدد مصداق بوجه من الوجوه، كما في الكافي عن هشام بن الحكم قال في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام أنه قال له عليه السلام: (فتقول إنه سميع بصير قال هو سميع بصير سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه ليس قولي إنه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسئولا وإفهاما لك إذ كنت سائلاً فأقول إنه سميع بكله لا أن الكل منه له بعض ولكني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع

البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى)[١] انتهى.

أقول: أي بلا اختلاف في المصداق ولا اختلاف في المفهوم لأن المفهوم إن كان غير المصداق لم يكن مفهوما لذلك المصداق، لأن المباين لا يدل على مباينه فلا بد أن يكون المفهوم عين المصداق لفقدان الواسطة بينهما، وأما من فسر من العلماء الصفات الذاتية وقال أن مفهوم العلم غير مفهوم القدرة وكذلك مفهوم السمع والبصر[٢] وغيرهما من الصفات الذاتية فقد ادعى معرفة كنه الذات وجعلها متكثرة من حيث لا يشعر، وبذلك خالف ضرورة المسلمين كافة بل ترك ضرورة المليين قاطبة، وما أتى العلم من بابه، ولم يأخذ بما خرج عن البيت بيت النبوة، قال عليه السلام كما في الكافي: (كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل)[٣] فيكون حكما بخلاف ما أنزل الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله على ألسنة حججه وأمنائه عليهم السلام فأولئك هم الكافرون.

---

(١) الكافي ج١؛ ص٨٣.

(٢) يقول الملا صدرا رحمه الله: (فهذه الأسماء والصفات وإن كانت متحدة مع ذاته تعالى بحسب الوجود والهوية، فهي متغايرة بحسب المعنى والمفهوم) الأسفار، ج٦ ص١٤٨.

(٣) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم؛ ج١؛ ص٥١١.

# تنبيه [٤]

نشأ هذا القول أي القول بعدم مطابقة المفهوم للمصداق من قول الأشاعرة، حيث ذهبوا إلى أن صفات الله زائدة على ذاته تعالى، وقالوا أنه تعالى عالم بعلم، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمع إلى غير ذلك من الصفات، واستدلوا على كونها زائدة على الذات بأن الصفات إن كانت عين الذات لزم حمل الشيء على نفسه المتفق على بطلانه، فيجب أن تكون الصفات غير الذات، هذا أعظم أدلتهم.

ومنها أنهم قالوا أنه إن كانت الصفات متحدة المفهوم لزم خرق اتفاق جميع أهل العلم من أهل التدقيق والتحقيق، وخرق اتفاقهم بديهي البطلان، مع أنه ما ورد في اللغة ذلك أيضا.

وأما نحن فنقول: أما قولهم أنه يلزم حمل الشيء على نفسه فهذا أول المسألة، لأنا لو سلمنا أن هناك موضوع ومحمول ونسبة، ثم نقول أن المحمول عين الموضوع يلزم حمل الشيء على نفسه، وأما إذا قلنا أن الحمل هناك سقط، بمعنى أنه ليس في ذاته موضوع ولا محمول ولا نسبة ولا إضافة ولا تغاير بوجه من الوجوه حتى يقال يلزم حمل الشيء على نفسه، بل نقول أن قولنا الله عالم أي الله لأن عالم عين الله.

وأما قوله أن القول باتحاد مفهوم الصفات يستلزم مخالفة أهل العلم وأهل اللغة، فنقول: إنا لا نخالف أهل العلم وإنما نقول بقولهم وذلك أنهم اتفقوا على أن هذه الصفات عين الذات، واتفقوا أيضاً

على أن الذات لا يدركها أحد من الممكنات، وقالوا إن عدم إدراك الذات للممكن بديهي، حتى أن بعضهم قال من ادعى معرفة كنه الذات فاحث التراب في فيه فإنه ضل وغوى وكذب وافترى، ليت شعري إن القوم لماذا يخالفون ما هم عليه ولما يقولون ما لم يعلمون كبر مقتاً عند الله.

وأما قولهم أنا خالفنا أهل اللغة فقد اتهمونا بذلك أيضاً، لأن أهل اللغة قد قالوا ذلك ودونوه في كتبهم وهو قولهم بالترادف بين معنى أسد وليث ودلهاث وضيغم وغضنفر.

فإذا عرفت الترادف وقلت به في صفاته الذاتية واستعملته هناك فقد نجوت من الوسواس الذي يوسوس في صدرك قول هؤلاء أشباه الناس.

وبالجملة حيث انتفت الكثرة في ذات الحق جل وعلا جاءت الوحدة حتى في المفهوم أيضاً كما ذكرنا، نعم الكثرة تعبيرية لفظية وذلك عند التعرف والتعريف لأجل التفهيم، قال الرضا عليه السلام: (أسماؤه تعبير وصفاته تفهيم) فهو تعالى واحد أحدي الذات والصفات، وإن توحيده تعالى ظاهره في باطنه، وباطنه في ظاهره بلا مغايرة، وصفته عين ذاته، وذاته عين صفته بلا تعدد، قريب في بعده، بعيد في قربه، عال في دنوه، دان في علوه، لا قريب ولا بعيد ولا دان ولا عال، يطلب في كل مكان وليس في مكان، وهو قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كما في معاني الأخبار عن الصدوق قال: قال علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ظاهره موصوف لا يرى وباطنه موجود لا يخفى يطلب بكل مكان ولم يخل منه مكان طرفة عين حاضر غير محدود وغائب غير مفقود)[1] انتهى.

---

(١) معاني الأخبار؛ ص١٠.

لا يقال إذا كان الله علمه عين ذاته وكذلك سائر صفاته الذاتية، وأنه تعالى لا تكون له حالات، فكيف يعلم بالأشياء الحادثة التي تحدث آنا فآنا، فإن كان يعلم بعلمه الذاتي لزم ثبوت التعلق للذات، والتعلق حادث، فتختلف حالاته تعالى وهذا كفر في حقه، لأن مختلف الحالات حادث، وإن كان يعلم هو سبحانه الأشياء بعلمه الفعلي الحادث يلزم أن لا يكون هو تعالى عالم بالأشياء بذاته، لأن علمه الحادث غيره تعالى، وهذا خلاف ضرورة العقل والنقل.

لأنا نقول: أنه تعالى عالم بالأشياء قبل حدوثها وبعد حدوثها وحين حدوثها بلا اختلاف ولا حصول حالات للذات، قال عليه السلام: (وكان تعالى عليماً قبل إيجاد العلم والعلة) لكنه يعلم بلا نسبة ولا تعلق ولا ربط ولا اتصال ولا انفصال ولا كيفية لهذا العلم، وليس لأحد أن يعرفه، إلا أنه تعالى يعلم الأشياء ولا يجوز له أن يتكلم فيه، وإنما التكلم والمعرفة في علمه الإشراقي الفعلي المتعلق بالمعلومات حين وجودها، وذلك العلم ليس متصلا بذاته حتى يلزم قدمه أو يلزم حدوث الذات، ولا منفصلا عنه تعالى وإلا يلزم الاستقلال في الممكن ويستلزم الفصل عن الواجب سبحانه، مع أن الممكن يستمد من الواجب من نفس الإمكان لا من نفس الوجوب، ثم إن الفاصل بينهما على هذا الفرض هل هو وجود أو عدم؟، فإن كان عدما لم يكن فاصلا، وإن كان وجوداً هل هو قديم أو حادث، فعلى الأول يلزم تعدد القدماء وذلك باطل كما نحققه في أدلة التوحيد، وعلى الثاني فننقل الكلام إلى ذاك الحادث فنقول بينه وبين الواجب تعالى اتصال أو لا، فأما الأول يستلزم منه حدوث الواجب أو قدم الحادث كما ذكرنا، وأما الثاني فنقول أن الفاصل هل هو أمر عدمي أو وجودي وهكذا، فلا يكون علمه الحادث الإشراقي بالمعلومات منفصلاً عنه تعالى ولا متصلا به، وإن شئت قل متصل به تعالى

بالاستمداد منه بنفس ذلك العلم ومنفصل عنه تعالى بذاته لأنه حادث أحدثه تعالى بنفسه لا بأمر آخر.

إذا أردت آية معرفة ذلك من الآيات الآفاقية فتدبر في الشمس ونورها، لأن نورها ليس متصلاً بها ولا منفصلاً عنها، وقد أخبر عن هذا العلم الإشراقي مولانا الصادق عليه السلام حيث قال: (كان ربنا عز وجل والعلم ذاته ولا معلوم، والقدرة ذاته ولا مقدور، والسمع ذاته ولا مسموع، فلما أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم، والقدرة على المقدور، والسمع على المسموع)(١) انتهى، مثاله أنك أنت بصير ولا مبصر فإذا جاء جائي يقع بصرك الإشراقي عليه وكان يصدق عليك أنك بصير ولا مبصر ثم وقع الإبصار على المبصر، والواقع فعل لا ذات، لأن الذات لا توصف بالوقوع واللاوقوع.

ولما فرغنا من ذكر بعض صفاته تعالى أردنا أن نذكر توحيده بدليل عقلي آخر، فنقول: إنه تعالى واحد لا شريك له قط وإلا لزم فساد نظام الوجود من الغيب والشهود، وذلك أنه لو تعلقت إرادة أحدهما على إيجاد زيد مثلاً فحينئذ لا يخلوا إما أن يمكن للآخر إرادة إعدام

---

(١) علي بن إبراهيم، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متحركا؟ قال: فقال: تعالى الله إن الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: قلت: فلم يزل الله متكلما؟ قال: فقال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلم) أصول الكافي، ج١ ص١٠٧، باب صفات الذات.

زيد أو لا ، فعلى فرض الإمكان نقول هل يقع مرادهما معاً فيلزم أن يكون زيد موجوداً ومعدوماً وهذا هو اجتماع المتناقضين، أو لا يقع مرادهما معاً فلا يكونان إلها، وإما أن يقع مراد أحدهما دون الآخر فيكون أحدهما إلها لعجز الآخر عن إيقاع مراده[١]، وذلك هو قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢]، وأيضاً إنا قد قلنا سابقاً وسنقول لاحقا بأن الإدراك لا يكون إلا بالأثر، وحيث ما رأينا الأثر إلا واحدا على نظم واحد علمنا أن المؤثر واحد.

وأيضاً لو كان في الوجود واجبان لزم حدوث الواجب وإمكانه، لأنهما يشتركان في الوجود والأزلية فحينئذ نقول أنهما إما يتميزا أم لا ، فعلى الثاني لم تتحقق الإثنينية، وعلى الأول فيلزم التركيب، لأن ما به الامتياز غير ما به الاشتراك.

فإن قلت: إن ما به الامتياز عين ما به الاشتراك.

قلنا: إذا لم يكن الواجب متعددا لما تحقق أن الإثنينية إنما هي بالتميز فإذ ليس فليست.

---

(١) هذا الدليل مستفاد من هذا الحديث الوارد في كتاب التوحيد (للصدوق)؛ ص٢٤٣ عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام فكان من قول أبي عبد الله عليه السلام له لا يخلو قولك إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني وإن قلت إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة ـ فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جاريا واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد.

(٢) الأنبياء ٢٢.

وبالجملة إن القول بوجود الواجبين يستلزم القول بوجود الممكنين لما قلنا من لزوم التركيب، والتركيب صفة الحدوث، لاحتياج المركب إلى أجزائه، فكل من كان كذلك لم يكن إلها.

# تنبيه [٥]

## [الأقوال في الوجود وتحقيق الحق منها]

اعلمن أن من قسم الوجود االمطلق إلى الواجب والممكن، سواء كان المقسم مفهوم الوجود المطلق أو مصداقه فقد ذهب إلى تركيب الذات تعالى، لما قلنا باتحاد المفهوم والمصداق، لأن الذات فرد من الوجود المطلق، والفرد مركب من الكلي ومن التشخص الفردي وإلا لم يكن فرداً.

وكذلك من قال أن الوجود يصدق على الله وعلى الخلق بالتشكيك لأنه يستلزم التحديد الذي أحاله العقل والنقل، لأنه تعالى ليس متصلا مع خلقه حتى يكون صدق الوجود عليه وعلى خلقه على سبيل التشكيك بالأولية والأولوية والشدة والضعف، ولا منفصلا عن خلقه، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (ليس بينه وبين خلقه فصل، ولا له عليهم فضل، فيستوي الصانع والمصنوع)[١].

قوله عليه السلام: (ولا له عليهم فضل) رد على من ذهب بالاشتراك المعنوي على التشكيك، فلا يكون مطلق الوجود قدراً مشتركاً بين

---

(١) في الاحتجاج، ج١ ص٣٠٣: (ولا يقال له كان بعد أن لم يكن فتجري عليه صفات المحدثات ولا يكون بينه وبينها فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع).

الحق والخلق على التشكيك بكلا قسميه من الذاتي والعرضي، لأنا نقول إن الخلق إما مباين للحق تعالى أم لا، فعلى الأول يلزم الاستقلال في الحدوث أولا، ويلزم البينونة المستلزمة للضدية المستلزمة لعدم صدوره عن الحق تعالى ثانياً، لأن صدور المباين عن مثله يستحيل عقلاً كصدور الإحراق من الماء والتبريد من النار.

وعلى الثاني فلا يخلو من الاتحاد على نحو التشكيك أو على نحو التواطي، أما التشكيك فقد عرفت أنه يستلزم التحديد، وأما التواطي فهو التطابق في الحقيقة والذات المتغاير في التعين، وذلك أيضاً يستلزم التركيب وهو في البطلان مثل التشكيك، هذا إذا كان التشكيك ذاتيا، وأما إذا كان عرضيا فذلك أوضح البطلان لاستلزام التركيب من العارض والعروض الذي قام البرهان على بطلانه، فثبت أنه تعالى لا مباين لخلقه ولا مماثل معهم.

وكذلك قولهم بأنه تعالى ذاته سارية في الأشياء، فقد ذهبوا إلى حدوث الذات من حيث لا يشعرون، منهم البسطامية والحلاجية، سئل بعضهم عن معنى وحدة الوجود فقال: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، يعني كما أن الواحد الذي هو المصدر وهو موجود في ضمن جميع المشتقات، كذلك أصل الموجودات الذي هو الباري تعالى، لأنه تعالى موجود في أبدان المخلوقات وأرواحهم ونفوسهم على نحو السريان، كسريان الحياة في الأبدان ـ تعالى عما يقوله المشركون الملحدون علواً كبيراً ـ لأن الأبدان والأرواح إن كانت شيئاً حادثا وهو تعالى يسري فيها يلزم اقتران الباري مع الحدوث، فيكون تعالى حادثا، والحادث ليس بإله، فمن قال بألوهية الحادث فقد أشرك وكفر.

نعم؛ فعله تعالى سار في المخلوقات بتعلقاته ورؤوسه كنور الشمس بالنسبة إلى الأشياء التي ظهر فيها.

وما قيل في جواب لزوم الاقتران مع الحدوث بأن الحدوث ليس بموجود، وتمسك بقول القائل:

كل ما في الكون وهم أو خيال
أو عكوس في المرايا أو ظلال

مكابرة في مقابلة الحس، ومصادمة مع الضروري فلا يصغى إليه ولا يعتمد عليه.

اعلم أن القول بوحدة الوجود يستلزم القول بأن الممكنات الموجودة المتعينة لا تكون ممكنة، بل تكون إما معدومة أو تكون واجبا، لما قالوا أنها لو كانت موجودة لزم الاقتران والعروض لذات الواجب تعالى فتكون معدومة.

وأما نحن فنقول: أنه لا سبيل للأول لأن المعدوم لا يتعقل أن يكون مصدراً للآثار أبداً، ونحن نرى أن الأشياء قد يترتب عليها الآثار والشئون الكثيرة، ولا طريق إلى الثاني لأنه ينافي الوحدة الصرفة الإلهية مع ظهور تعدد أنواع الموجودات وأجناسها وأشخاصها، فيلزم من هذا القول بأنه تعالى كل الأشياء وكل الأشياء هي هو، وهناك قوم التزموا بذلك وقالوا لولا كذلك يلزم التحديد المستلزم للتركيب الذي ينافي الوحدة الحقة، وما قال بعضهم أن الحادث عرض قائم بذات القديم تعالى باطل، لأنه يستلزم أن يكون القديم محلا للعوارض، وذلك معلوم لما سبق ويأتي.

وكذلك بطلان قول من ذهب إلى أن الأشياء الحادثة مستجنة في غيب الذات استجنان الشجرة في النواة، لاستلزام التوليد الذي [هو] علامة الحدث، ، ثم يلزم أن يكون هو تعالى مادة للأشياء كالنواة للشجرة، وكذلك في البطلان قول صاحب الأسفار حيث قال: (واعلم أن كل ممكن من الممكنات ذا جهتين، جهة يكون بها موجوداً واجباً لغيره من حيث هو موجود وواجب لغيره، وهو بهذا الاعتبار يشارك

جميع الموجودات في الوجود المطلق من غير تفاوت، وجهة أخرى بها يتعين هويتها الوجودية وهو اعتبار كونه في أي درجة من درجات الوجود قوة وضعفاً كمالاً ونقصاناً)[١]، وقال فيه: (قد تحقق وتبين عند المحققين من العرفاء والمتألهين من الحكماء أن وجود كل شيء ليس إلا حقيقة هويته المرتبطة بالوجود الحق القيوم)[٢].

وقالت طائفة أن الأشياء هي هو تعالى من جهة وغيره من أخرى، وهذا القول يستلزم تركيب الأشياء من الحدوث والقدم، وذلك يستلزم حدوث الذات سبحانه.

وذهب آخرون من الحكماء أن نسبة الوجود الحق إلى الأشياء نسبة الكلي الطبيعي إلى أفراده، وهذا في الفساد كالأقاويل المتقدمة، فسبحان ربنا عما يقوله الظالمون الملحدون.

وقولنا أنه لا مباينة بينه وبين خلقه ولا اتحاد، هذا القول رد على من قال أن الوجود يطلق على الله وعلى الخلق بالاشتراك اللفظي والاشتراك المعنوي، إذ الأول يستلزم البينونة العزلتية المنفية عقلاً ونقلاً، والثاني يستلزم تركيب الواجب مما به الاشتراك ومما به الامتياز، لأن اتحاد الوجود في الواجب والممكن إما من مقولة التواطي أو من مقولة التشكيك، وقد سبق أن الفرد مركب من الكلي الذي هو المقسم ومن القيود المتخالفة المنضمة به، وما قيل أن ما به الامتياز عين ما به الاشتراك كلام نشأ عن قلة التدبر، لأنه لا اشتراك إذا مع أنهما متمايزان بالضرورة، ويلزم أيضاً أن يكون هناك شيئاً أعم من الحق والخلق وهو في الحقيقة لا يكون واجباً ولا ممكناً، وهذا يخالف العقل والنقل، أما العقل فلما عرفت من لزوم التركيب، ومن

---

(١) الأسفار، ج٧ ص٣٢٠، وكلمة (واعلم) لا توجد في الأسفار.

(٢) الأسفار، ج٢ ص١١٦.

لزوم أن يكون الواجب تحت كلي فيكون محاطاً مقهوراً لديه، وهذا هو شأن الفرد هذا إذا كان ذلك المقسم موجودا، وأما إذا لم يكون موجوداً فلا مقسم إذا ولا أقسام، لأن القسم هو المجموع المركب من الكلي والتشخص، فإذا لم يكن هناك كلي أي جنس لم يكن فصل، لأن ما لا جنس له لا فصل له.

وأما النقل فلقول مولانا الرضا عليه السلام: (حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما)(١) انتهى.

وأما من قال بأن إطلاق الوجود على الحق والخلق على سبيل الحقيقة والمجاز تفصياً عن بطلان الاشتراكين فهو أيضاً باطل للزوم المناسبة بين الحقيقة والمجاز، وقد تحقق أن النسبة والربط لم يصح بين الواجب ذاته وبين الممكن لعدم الجهة الجامعة بينهما، وأنت خبير بأن النسبة تجمع المنتسبين فيلزم المحذور المذكور مراراً.

فالحق أن الإطلاق عليهما، أي إطلاق الوجود على الحق والخلق ليس من قبيل الاشتراك مطلقاً، ولا من قبيل الحقيقة والمجاز، وإنما إطلاق الوجود عليه تعالى تعبير عن كونه موجوداً، وإلا ففي الحقيقة ليس له تعالى اسم ولا رسم قط، لما حققنا في محله أن المناسبة لازمة بين الاسم والمسمى لكون الواضع سبحانه حكيماً، فلو وضع الاسم للمسمى من دون ملازمة بينهما لزم الترجيح من غير مرجح، فلما ثبتت المناسبة بطل أن تكون الذات من حيث هي مسماة، وإلا لزم اقتران الاسم الحادث مع القديم تعالى، والاقتران من صفة الحدوث، وإنما هو تعالى مسمى من حيث ظهوراته الفعلية وتجلياته الحادثة، فلما تجلى ظهر بكل تجل فعلي اسم، فتجلى لكل شيء من

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام: (إنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٥٦.

الأشياء بظهور خاص على حسب ذلك الشيء، ولذا قلنا أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، يدعو الله كل على ما ظهر له به، وهو في الحقيقة وصف لذلك الشيء، أي وصف لحقيقته التي هي ظهوره تعالى له بها، كما أن النملة تزعم أن لله زبانيتين(١) لأنهما كمال عندها فأثبتتهما له تعالى وكذلك سائر الموجودات في توحيدهم، قال علي عليه السلام: (إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها)(٢)، وقال عليه السلام: (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله لأن السبيل إلى الله إلى ذاته مسدود والطلب مردود)(٣)، كما أن الكتابة لا سبيل لها إلى معرفة الكاتب ذاته، وإنما معرفتها راجعة إلى ظهور هيئات يد الكاتب للكتابة، فالألف يعرف الكاتب بالاستقامة، والباء يعرفه بالانبساط، والجيم بالاعوجاج وهكذا، فإذا عرفت المثال التفت إلى معرفة الرب المتعال بتجلياته للعباد بفعله، وفعله مشيته التي حلت في محمد وآله، وهي مشية حادثة كما يأتي بيانها.

والحاصل ذاته تعالى لا تعرف من نحو ذاته ولا اسم لها ولا رسم، أحدي لا يدركه شيء وهو يدرك الأشياء، ولا يمسكه ظل بل

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: (لعل النمل الصغار تزعم أن لله زبانيتين) شرح إحقاق الحق، ج١٢ ص١٨٦.

(٢) الاحتجاج، ج١ ص٣٠٥.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (رجع معنى الوصف في الوصف وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الاستنباط، ودوام الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص إلى العجز، والبيان على الفقد، والجهد على اليأس، والبلاغ على القطع، فالسبيل مسدود، والطالب مردود) جزء من الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، راجع كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٨.

هو أمسك الأشياء بأظلتها(١) وأقامها بها، لا خلقه فيه ولا هو فيهم، وهو مع ذلك معلوم عند كل أحد معروف بصنعه، مجهول بذاته مشهود بآياته مفقود بحقيقة ذاته، لا معلوم ولا مجهول، لأن المعلومية والمجهولية راجعان إلى خلقه لتضايفهما، ولا ريب أن المتضايفين لا يكون أحدهما إلا مع الآخر، وهو تعالى ليس معه شيء غير ذاته تعالى وتقدس، ولا يشاركه أحد أبداً، ولذا قلنا أن وجوده تعالى المعبر عن ذاته هو ذاته، ليس بينه وبين خلقه اشتراك قط، وليس ذلك الوجود فردا من الوجود المطلق حتى يلزم أن يكون هو سبحانه يندرج تحت كلي ويقترن به فيكون حادثاً.

وأيضاً إن تقسيم الوجود واندراج الواجب تعالى تحت الكلي تشبيه والتشبيه شرك، كما عن الرضا عليه السلام: (من شبه الله بخلقه فهو مشرك، ومن وصفه بالمكان فهو كافر) الحديث، وقال علي عليه السلام: (من وصفه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد ألحد فيه) إلى آخر الخطبة.

فهو تعالى لا يوصف بصفات المخلوقين أبداً كما ورد عن علي عليه السلام في تأويل الصمد قال: (لا اسم ولا جسم ولا مثل ولا شبه ولا صورة ولا تمثال ولا حد ولا حدود ولا موضع ولا مكان ولا كيف ولا أين ولا هنا ولا ثمة ولا ملأ ولا خلأ ولا قيام ولا قعود ولا سكون ولا حركة ولا ظلماني ولا نوراني ولا روحاني ولا نفساني ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع ولا على لون ولا على خطر قلب ولا على شم رائحة منفي عنه هذه الأشياء)(٢) انتهى.

---

(١) عن حماد بن عمرو النصيبي قال سألت جعفر بن محمد عليهما السلام عن التوحيد فقال: (واحد، صمد، أزلي، صمدي، لا ظله يمسكه، وهو يمسك الأشياء بأظلتها) بحار الأنوار، ج٤ ص٢٨٦.

(٢) بحار الأنوار ج٣؛ ص٢٣٠.

ولقد أكد هذا المعنى سيدنا الرضا عليه السلام كما في العيون في خطبته إلى أن قال: (فقد جهل الله من استوصفه وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنهه ومن قال كيف فقد شبهه ومن قال لم فقد علله ومن قال متى فقد وقته ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال إلى م فقد نهاه ومن قال حتى م فقد غياه ومن غياه فقد غاياه ومن غاياه فقد جزأه ومن جزأه فقد وصفه ومن وصفه فقد ألحد فيه)[١]. الخطبة.

فإذا علمت أن الله تعالى وتقدس منزه عن الشبيه والشريك تعلم أن التقسيم يستلزم التشبيه والتشريك، فيكون التقسيم شركاً، وأيضاً يستلزم التحديد والتركيب، والمحدود المركب حادث.

فإن قيل: إن التقسيم، أي تقسيم الوجود المطلق باعتبار المفهوم لا باعتبار المصداق، والمفهوم لم يكن موجوداً في الخارج حتى يلزم ما يلزم.

قلنا: إن المفهوم شيء أم لا؟، فإن كان شيئاً حادث أو قديم، وعلى أي فرض يكون موجوداً، وإن لم يكن شيئاً لم يكن مقسماً، إذ اللاشيء لا يصلح للتقسيم، وما قيل أنه لا شيء ولا لا شيء لا واجب ولا ممكن، لا حادث ولا قديم، مردود بالعقل والنقل.

أما العقل فإنا نقول هل هو فوق مرتبة القديم أو تحتها، والأول محال، وأما الثاني فلا يكون تحت رتبة القديم إلا الحادث.

وأما النقل فيقول مولانا الرضا عليه السلام: (حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) انتهى.

قوله عليه السلام: (لا ثالث غيرهما) إشارة إلى بطلان الممتنع الذي جعله القوم قسيماً للواجب تعالى، لأنه لو كان شيئاً لم يكن ممتنعاً ولا يكون ضداً للواجب، وإن لم يكن شيئاً أصلاً فلا عبارة عنه فضلاً

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج١؛ ص١٥١.

عن كونه قسيماً للوجود وضداً له، مع أن الضدين أمران وجوديان، وقولهم بأن الامتناع باعتبار الوجود في الخارج كشريك الباري دون الذهن، لأنه موجود في الذهن، باطل مردود لقوله عليه السلام أن المتصور ممكن قبل التصور خلقه الله حتى لا يقال أنه ليس قادراً على ذلك، ولأن الذهن إما هو أصل للموجود الخارجي، كتصور الكتابة، أو الخارج أصل للذهني، كتصور زيد الموجود في الخارج ولا ثالث، والثاني هو الحق المطابق للعقل الصحيح والنقل الصريح، لأن التصور هو قبول التصوير من مصور صورة الشيء، فلولا الشيء لم يكن للصورة الذهنية وجود كالشاخص والمرآة والأول، فلا بد من تنزله إلى الخارج كتصور الكتابة لما ثبت أن الأصل الذي بمعنى العلة بينه وبين أثره ومعلوله تضايف وإلا لم يكن علة، فلا بد من تنزله وظهوره في الخارج، وأما الشريك لله فلا يتصور بل المتصور شيء حادث سمي شريكاً كذباً، فليس للشريك وجود لا ذهناً ولا خارجاً.

نعم؛ تصور الأذهان الضعيفة صار علة لنفي الشريك كـ (لا شريك له) و(لاإله إلا الله) يعني أن النفي راجع إلى المتصور في الذهن من التصور الباطل لا أنه في الحقيقة شريك ينفيه.

وبالجملة تقسيم مفهوم الوجود إلى الأقسام الثلاثة أو إلى الخمسة باطل، لأن المقسم إن كان صرف الوجود فكيف يكون فرده ممتنعا عدما بحتا، وإن كان المقسم عدماً صرفاً كيف يكون فرده واجباً فاعتبروا يا أولي الأبصار، وإن كان الممتنع وجوداً إضافياً فيكون قسماً من الوجود لا قسيماً.

ثم نقول ليت شعري كيف يكون مفهوم الوجود حقيقة للواجب وهو غير موجود في الخارج، وإن كان مرادهم بالمقسم حقيقة الوجود لا مفهومه فكيف تنقسم الحقيقة على قسمين، لأن الحقيقة والذات من حيث الذات لو تقبل التقسيم تقبل التغيير فيكون المتغير حادثاً.

# تنبيه [٦]

ما قلنا في الفرق بين المفهوم والمصداق نظراً إلى قولهم بأن المفهوم غير المصداق، وأما نحن فنقول أن المفهوم مطابق للمصداق، بل هو هو إلا أن المصداق هو الأصل والمفهوم فرعه كالشاخص والصورة.

وما قالوا بأن العلم والقدرة والحياة وغيرها مختلفة باعتبار المفهوم متحدة باعتبار المصداق ممنوع، لأن المفهوم إن لم يطابق المصداق لم يكن مفهوماً له وإنما هو كذب، وإن كان مطابقاً مع المصداق وحكاية له ودليل عليه فهو حينئذ مفهومه، فعلى هذا الكلام في المفهوم هو الكلام في المصداق كالعكس.

## [دليل الفرجة]

والحاصل كان الكلام في إثبات أدلة توحيد الملك العلام.

فنقول: من الأدلة الدالة على وحدته تعالى دليل يسمى بدليل الفرجة وتقريره: أنه لو فرض إلهان تلزم فرجة بينهما لتحقيق الاثنينية، وتلك الفرجة لا تخلو من أنها قديمة أو حادثة، فعلى الأول يلزم تعدد القدماء الثلاثة، فننقل الكلام إلى القدماء الثلاثة فنقول إن الثلاثة لا تتحقق إلا بفرجتين، فعلى فرض كون الفرجتين قديمتين يلزم أن يكون القدماء خمسة ولا شك أن الخمسة لا تتحقق إلا بأربعة فرج، وعلى فرض كون الفرج قديمة يلزم أن يكون القدماء تسعة، وهكذا إلى أن

يلزم إثبات وجود آلهة قديمة غير متناهية وهذا باطل، ولا يقال إن الفرجة أمر اعتباري لأنا نقول إن كان المراد بالاعتبار أمراً عدمياً كما هو المستفاد من قولهم نقول إن لفظ الفرجة مهمل أو موضوع، وقد ثبت أن الواضع هو الله سبحانه فيكون موضوعاً، وأما الإهمال فقد ينافي حكمة الحكيم فلا يكون هو سبحانه عابثاً وهذا واضح البطلان، فلما ثبت أن يكون لفظ الفرجة موضوعاً لا يكون اعتبارياً عدمياً، يا ليت شعري كيف يكون العدم فاصلا بين أمرين وجوديين إن هذا إلا من سوء الفهم وقلة التدبر والنظر، هداهم الله إلى فهم نقاد وإنصاف تام بحق محمد وآله عليهم السلام.

وإن كانت الفرجة حادثة بين القديمين يلزم إمكانهما لتأثرهما من الفرجة الحادثة، وهذا الذي ذكرنا هو قول مولانا الصادق عليه السلام عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق كما في الكافي قال: أتى الزنديق أبا عبد الله عليه السلام وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام: (لا يخلو قولك: «إنهما اثنان» من أن يكونا قديمين قويين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا، فإن كانا قويين، فلم لايدفع كل واحد منهما صاحبه، ويتفرد بالتدبير؟ وإن زعمت أن أحدهما قوي، والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول؛ للعجز الظاهر في الثاني.

فإن قلت: إنهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظما، والفلك جاريا، والتدبير واحدا، والليل والنهار والشمس والقمر، دل صحة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد.

ثم يلزمك ـ إن ادعيت اثنين ـ فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثا بينهما، قديما معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت

ثلاثة، لزمك ما قلت في الاثنين حتى يكون بينهم فرجة، فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لانهاية له في الكثرة)(١)، انتهى.

## [الدليل النفساني على وحدته تعالى]

ومن الأدلة الدالة على وحدته تعالى دليل نفساني وهو دليل ذوقي كشفي، وهو معرفة النفس التي من عرفها فقد عرف الله، لأن النفس آية الله خلقها دليلا عليه وهو أنموذج سبحاني ونقش فهواني لا يدل إلا على الله خالقها إذا لوحظت مجردة عن النسب والجهات والاعتبارات، معراة عن السبحات الإمكانية، لأنها حينئذ آية الله وصفته فمن عرف الوصف عرف الموصوف، وهو قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)(٢) انتهى.

ولا يتوهم أحد أن هناك معرفتين؛ معرفة النفس، ومعرفة الرب، لأن معرفة النفس بعد كشفها عن الإضافات والنسب حتى عن التجريد هي عين معرفة الرب الظاهرة لها بها، ولذا أتى بـ (قد) التحقيقية، والنفس هو وصف الله الذي وصف بها نفسه للشخص بحقيقته، كما أن الصورة في المرآة وصف الشاخص، فإذا عرفت نفسها من جهة الشاخص عرفت الشاخص لا فرق بينها وبين الشاخص إلا أنها نوره وظهوره، وقولنا معرفة النفس بعد كشفها عن الإضافات والنسب حتى عن التجريد هي معرفة الرب معناه وكيفية كشف النفس عن الحجب والإضافات هو أنك إذا ألقيت ملاحظة الشئون والاعتبارات عن النفس من كونها متحركة أو ساكنة، مركبة أو بسيطة، ومن الأعلوية والأسفلية، ومن قد، وإذ، ومتى، وأين، ومن، وعن، وفي، وعلى، وعند، ولدى، ومن الكم، والكيف، والجهة، والرتبة، ومن كونها

---

(١) كافي ج١؛ ص١٩٩.

(٢) عوالي اللئالي ج٤ ص١٠٢. بحار الأنوار ج٢ ص٣٢ ب٩ ر٢٢.

متصلة أو منفصلة، مقترنة أو غير مقترنة، ومن كل صفة ونسبة حتى من كونها قديمة أو حادثة، ومن كونها مجردة عن المذكورات أيضاً، لم يبق إلا محض حقيقة الذات التي هي وصف إلهي وآية سبحاني، وهو المثل الذي ليس كمثله شيء، ولو كانت النفس بعد التجريد عن النسب كلها لها مثل لم يعرف بها الله، لأنه تعالى لا يعرف بالمثل وإلا لكان ذلك المثل شريكا له تعالى.

لا يقال أن النفس بهذا الاعتبار المذكور تكون إما هو الله أو شريكا له، لأنه تعالى هو الذي يلاحظ فيه هذه الملاحظات ويلقى عنه هذه الإضافات، ويسلب عنه تعالى هذه النسب والاعتبارات.

لأنا نقول: قد حققنا بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن الذات القديمة تعالى لا اسم له ولا عبارة عنه، وأنه تعالى لا يعرف بنفي ولا إثبات، إذ المعروف هما خلقه تعالى وأثره، وأنه تعالى لا يدركه بذاته أحد لفقدان المناسبة بينهما أي بين الذات وبين أحد، مع أنك علمت سابقاً من لزوم المناسبة بين المدرك والمدرك وإلا ـ أي وإن لم تشرط المناسبة في البين ـ لزم أن يدرك كل شيء كل شيء.

بيان الملازمة في غاية الظهور والانكشاف وهو أنا نرى عيانا أن المبصر لا يدرك بالسمع كالعكس، وهكذا جميع المشاعر، وأيضاً لا ريب أن ما يدركه الممكن ممكن وإلا لكان الذات تعالى مدركا وذلك باطل بالضرورة، فعلى هذا إذا أدركنا حقيقة مجردة عن جميع الصفات والأحوال، معراة عن جميع الشئون والجهات حتى عن التجريد، يكون هذا المدرك ممكنا، وهذا الممكن مع عدم ملاحظة إمكانه وحدوده صفة الله، ولاتكون الصفة صفة لله إلا عند عدم ملاحظة تلك الصفة نفسها، بل إنما الملحوظ هو الموصوف.

## هداية:

## [في معرفة الأدلة ومشاعرها]

ينبغي للعاقل معرفة الأدلة التي يستدل بها العارف على المدلول، وهي على ما في الكتاب ثلاثة: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وينبغي له معرفة مشعر كل دليل من الأدلة الثلاثة حتى يكون بصيراً في الاستدلال.

فنقول: إن الحكمة عبارة عن مشاهدة الأشياء على ما هي عليه في الواقع، يعني يعرف كل شي بنفسه، فيعرف الذات بها، والفعل به، ويعرف الكلي بالكلي، والجزئي بالجزئي، والعرض بالعرض، والجوهر بالجوهر، وما ليس كذلك بما ليس كذلك، وبعبارة أخرى إن الحكمة عبارة عن الدليل الذوقي العياني الذي يخبر به المستدل بعدما رأى في الخارج.

وأما الموعظة الحسنة فهي عبارة عن ترديد المستدل المستدل عليه بين الحق المقطوع به والباطل المشكوك فيه، كما فعل مولانا الصادق عليه السلام لعبدالكريم بن أبي العوجاء.

وأما المجادلة بالتي هي أحسن فهي عبارة عن ترتيب مقدمات لتحصيل النتيجة، كما هو مدون في الأصول والمنطق.

ولما فرغنا من ذكر نوع الأدلة الثلاثة أردنا أن نذكر وجه حصر الأدلة في الثلاثة إجمالاً، فنقول إنا لما تتبعنا في أفراد الموجودات

من الإنسان وجدنا بعضهم واقفين في مقام الفؤاد وباب المراد وعين الصاد، وهو مقام فوق مرتبة العقل المرتفع كما يأتي بيانه، وهؤلاء أولوا الأفئدة يعرفون الشيء مجرداً عن سبحات الجلال من دون مقدمة واستدلال، وهم نظرهم أبداً إلى الرب المتعال، وأولئك يعرفون من القرآن باطن باطنه.

ووجدنا أناسا واقفين في مقام العقل واللب يدركون المعاني الكلية المجردة عن الصور مطلقا، ويعرفون باطن القرآن، ويكتفون بالكليات ثم يستنبطون منها الجزئيات، من غير اتكال على النتائج والمقدمات والشرائط والمشروطات واللوازم والملزومات، وأولئك معروفون بأولي الألباب.

ووجدنا طائفة من أخس أفراد الإنسان واقفين في مقام النفس، يقسمون العلم بالتصور والتصديق، والوجود بالواجب والممكن، يدركون المعاني والصور، ولا يعرفون من القرآن إلا ظاهره اللغوي، وينكرون ما يعرفون أولئك الأعلام من أهل الباطن وباطن الباطن، فهؤلاء هم العوام في ذلك المقام من معرفة الرب العلام وفضائل النبي والإمام عليهم السلام.

فحيث كانت طوائف الإنسان ثلاثة في مقام الإدراك ومعرفة رب الأفلاك والأملاك صارت المشاعر على أنواع ثلاث.

قسم منها يدرك الشيء مجرداً عن المادة العنصرية، والمدة الزمانية، والشبح المثالية، والصور الكلية الملكوتية، والمعاني الجبروتية المجردة، وعن الحدود والجهات والنسب والإضافات وجميع القيود والصفات من صفة المجردات والماديات من الكيف، والكم، والجهة، والرتبة، والوضع، وسائر السبحات.

وقسم منها يدرك الشيء صورته ومادته دون معناه وحقيقته، والصورة سواء كانت حسية ناسوتية أو غيبية ملكوتية.

أما القسم الأول فمشعرهم الفؤاد الذي هو آية الله ونوره، والقسم الثاني مشعرهم العقل، والقسم الثالث مشعرهم النفس.

وإن شئت قل إن المشاعر إما غيبية، أو شهودية، أو ما ليس بغيبية ولا شهودية، فالأول هو الحواس الخمسة الباطنة، والثاني هو الحواس الخمسة الظاهرة، والثالث هو المشعر الإلهي والنور السبحاني الذي ليس له ثاني، وهو آية الله في ملك الإنساني، هذا المشعر قل من عثر عليه وندر من رجع إليه وعمل على مقتضاه، ولذا وقعت المشاجرة والنزاع بين العلماء، مع أن هذا المشعر هو علة الإيجاد وبه يعرف رب العباد ومنه سكن البلاد، ولولاه لما كان ما كان، إذ من المعلوم أن المشاعر المحدودة المكيفة لا تدرك الله بصفته التي وصف بها نفسه، وأما هذا المشعر فهو أعلى مشاعر الإنسان، وهو تعريف حالي كشفي، ودليل عياني ذوقي، بخلاف ما ذكرنا من أدلة التوحيد سابقاً لأنها كلها دليل مقالي لا تسكن بها النفوس، ولايطمئن منها القلوب في الواقع، فعلى الطالب الصادق استعمال هذا المشعر في معرفة الله وإلا لم يحصل له الدرجات العالية والمقامات المتعالية.

والمراد بالدليل المقالي في معرفة الله هو قول لا إله إلا الله ولا شريك له وليس كمثله شيء مع قطع النظر عن الحدود اللفظية.

وأما الدليل الحالي فنريد به معرفة الشيء العارف نفسه من دون ملاحظة الجهات والصفات والحدود الخلقية كما قلنا في المقالي، لأن كلمة لا إله إلا الله كما تدل عليه تعالى كذلك ذات الشيء حرفا بحرف، إلا أن ذات الشيء تعريف حالي ودليل كشفي عياني لا يتطرق فيه الشك والريب، بخلاف الدليل المقالي.

مثالهما هو: أن الواصف إذا وصف لك الفرس وقال إنه ذو قوائم أربع، هذا الوصف يسمى مقالياً يتطرق فيه الريب والشك والشبهة،

لأن هذا الوصف كثيراً ما يصدق على غير الفرس من البهائم أيضاً، وإذا وصف لك الفرس ينقش صورته ويقول أنه على هذه الصورة يسمى هذا الوصف وصفاً حالياً عيانياً لا يشك فيه العارف، أو نقول أن المقالي، كما إذا وصف لك الطهران بأنها بلدة كذا وكذا، والحالي كما إذا جاء بك الواصف ويريك الطهران بعينها، والفرق بين الوصفين واضح، وهذا الوصف الحالي هو حقيقة الشيء وهو النفس في قوله عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وهو آية الله، وهو نور الله، وهو الفؤاد أعلى مشاعر الإنسان، وهذا المشعر فوق مشعر العقل كما يدل عليه نص سيدنا الصادق عليه السلام في قوله حيث يقول: (نجوى العارفين يدور على ثلاثة الخوف والرجا والحب، فإذا تحقق العلم في الصدر خاف، وإذا صح الخوف هرب، وإذا هرب نجى، وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل، وإذا تمكن من رؤية الفضل رجا، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب، وإذا وفق للطلب وجد، وإذا انجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة واستأنس في ظلال المحبوب، وباشر أوامره واجتنب نواهيه واختارهما على كل شيء) إلى أن قال عليه السلام: (ومثال هذه الأصول الثلاثة كالحرم والمسجد والكعبة، فمن دخل الحرم أمن من الخلق، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية، ومن دخل الكعبة أمن من أن يشتغل عن ذكر الله).

# تنبيه [٧]

## [في معنى وحدته تعالى]

وحدته تعالى ليست وحدة شخصية، ولا نوعية، ولا جنسية، ولا شمولية، ولا انبساطية، ولا إطلاقية، ولا عددية، وإنما وحدته تعالى عين ذاته لا يدركها أحد غيره تعالى، وكذلك وحدة آيته وعنوانه، وإلا لم يكن عنوانا له تعالى.

وأيضاً إن وحدته تعالى لا ضد لها ولا شبيه وإلا لكان مركبا حادثا، وقولنا لا ضد لوحدتها نريد به أن العارف البالغ لما توجه إليه تعالى لا يرى غيره أبداً حتى يكون ضدا له تعالى أو شبها، ليس إلا الله وأسمائه وصفاته، والصفات مضمحلة لدى الموصوف تعالى، لأن الذات غيبت الصفات.

# [بحث العدل]

ولما فرغنا من مباحث التوحيد شرعنا في بحث العدل، والعدل قسمان:

أحدهما من الصفات الذاتية، والآخر من الصفات الفعلية، ونحن نذكر هاهنا القسم الثاني، فنقول:

إن العدل مرة يلاحظ في مقابلة الجور[1]، وتارة في مقابلة الجبر، فعلى الأول يكون العدل من أصول الدين، وعلى الثاني يكون من أصول المذهب، والعدل عبارة عن إعطاء الله سبحانه كل ذي حق حقه بما تقتضي كينونته ولا يظلم شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

وبعبارة أخرى إن العدل عبارة عن تنزيه الله سبحانه عن فعل

---

(١) التعليقة ٢١: أقول العدل الذي هو أساس المذهب هو الاعتراف أن الله لا يظلم عبيده لا تصريحا ولا ملازمة، فجميع المسلمين يؤمنون بالعدل الإلهي تصريحا ولا يقول أحد منهم بنكرانه صراحة نزولا عند صريح القرآن حيث صرح سبحانه: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾. إنما الإشكال في فهم النصوص القرآنية والنبوية والمعصومية، فمنهم مؤدى فهمه تكون ملازمة لنكران العدل الإلهي، وهذه الفئة من الطوائف تسمى بالجبرية في قبال العدلية التي منها الجعفرية والتي تقول بالمنزلة بين المنزلتين أي المدد من الله بطلب عبده والاختيار من العبد في كل الأحوال مطلقا كما صرح سبحانه: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. فراجع التفصيل في محله من الأبحاث. (من ثمرات الحكمة).

القبيح، لأن ارتكاب القبيح يستلزم العجز عن ارتكاب الحسن أولا، والجهل بفعل الحسن ثانيا، وترجيح القبيح على الحسن ثالثا، وكلها ينافي حكمة الحكيم الكامل على الإطلاق.

## [الحسن والقبح هل هما عقليان أم شرعيان]

وحيث ذكرنا الحسن والقبح ينبغي لنا أن نذكر خلاف العلماء في أنهما هل عقليان أو شرعيان؟.

فنقول: ذهب جمهور الإمامية والمعتزلة والحكماء على الأول، وقالت الأشاعرة بالثاني، والمراد بالحسن تارة هو الفعل الملائم كما أن القبح في مقابله هو الفعل الغير الملائم، ومرة يراد بالحسن الفعل الكامل، كما أن القبح في مقابله هو الفعل الناقص، وأخرى يراد بالحسن ما لا يستحق فاعله بسببه ذماً عقلاً، وبالقبح ما يستحق فاعله ذماً عقلاً، وهذا القسم الثالث هو المراد دون الأولين، لاشتماله مايشمله الأولين دون العكس.

وأما الأشاعره فقد ذهبوا إلى أن الأفعال ليست عند العقل بحسن ولا بقبيح، وإنما تكون حسنا وقبيحا بحكم الشرع فقط.

والحق أن العقل والشرع متطابقان، بمعنى كلما حكم به العقل حكم به الشرع، وكلما حكم به الشرع حكم به العقل، لأن العقل في الإنسان نبي باطني كما أن النبي ﷺ في الظاهر عقل ظاهري، وهو ﷺ العقل الكل.

# تنبيه [٨]

اعلم أن العقل مخلوق من نور محمد ﷺ وهو دليله في الإنسان لكن بشرطه، وذلك الشرط هو خضوعه وخشوعه لربه تعالى، لأن العقل على ماقال أمير المؤمنين عليه السلام هو: (ما عبد به الرحمن واكتسبت به الجنان)، وهو حينئذ مستنير بنور الله أي بنور العبادة والتوجه إليه.

## [الجواب عن إشكالية خلق الشر]

ثم اعلم أن كل مايدركه يجب على المكلف أن يزنه بميزان الشرع، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(١)، وهناك ميزان آخر لصحة ما أدركه العقل وهو اتفاق العقول عليه، ولما ثبت أنه تعالى لا يظلم العباد لغناه المطلق، وثبت أن الله تعالى خلق الخلق لغرض وذلك إيصالهم إلى الدرجات العالية والكمالات الأبدية والنعم السرمدية الباقية، وثبت أنه عادل حكيم، وجب في الحكمة أن لا يرتكب القبيح بوجه من الوجوه ولا يصدر عنه تعالى شر ولا نقص أبداً، بل يجب أن يكون فعله على نحو أكمل بحيث لا يقال لو كان كذا لكان هذا أحسن بالنسبة إلى فعله تعالى، وأما بالنسبة إلى اختيار الأشياء على حسب شهواتهم وميولاتهم

---

(١) الإسراء ٣٥.

فتختلف أفعالهم وصفاتهم وما ينسب إليهم من الخير والشر والنقص والكمال لكن صدورها عنهم بأمر بين أمرين، وقولي لا يصدر عنه تعالى شر ولا نقص نريد به أنه تعالى لا يصدر عنه الشر أولاً وبالذات، وأما ثانياً وبالعرض باعتبار اختيار العباد فيصدر عنه تعالى الشر والقبح، لأنه تعالى خالق كل شي وليس خالق سواه تعالى.

نعم؛ إن الشر حيث كان لم يتعلق به إرادته أولاً وبالذات ولم يكن محبوباً لله لا ينسب إليه تعالى، كما في الحديث القدسي قال تعالى: (يابن آدم أنت أولى بسيئاتك مني لأنها منك) الحديث، أي باختيارك وهواك، وأما من حيث الإيجاد فهو تعالى كما أوجد الخير أوجد الشر كما هو مشهود في السراج الذي هو من الآيات الآفاقية، لأنك ترى عياناً أن الأشعة والظل كلاهما صدرا عن السراج بحيث لولاه لما كانا، وأنهما يستمدان من السراج إلا أن الظل يستمد من السراج من جهته المخالفة والخلاف، ولم يكن منسوبا إلى السراج من حيث الظلمة، لأن السراج لا ظلمة فيه، والنور يستمد من السراج من جهة الموافقة، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(١)، فالسور سور المدينة وهي في الباطن رسول الله ﷺ، والباب باب تلك المدينة وهو في الباطن علي عليه السلام، باطنه فيه الرحمة وهي ولايته، وظاهره أي خلفه وخلافه من قبلهم العذاب، فالمؤمنون يستمدون منه عليه السلام وهو باب الله باب الفيض إلى المخلوقين من باطنه من جهة الموافقة، كالأشعة من السراج، والمنكرون يستمدون من الله به عليه السلام من ظاهره وجهة مخالفته، ولذا صار ذلك الجناب عليه السلام قسيما للجنة والنار، فإذا عرفت المثال في المثل الأعلى وفي السراج علمت

(١) الحديد ١٣.

تعلق فعل الله بالنسبة إلى العباد، لأنه تعالى جعل السراج آية لمعرفته حيث قال: ﴿ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ وقال سيدنا الرضا عليه السلام: (إن الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما ها هنا) انتهى.

وإن شئت مثالاً آخر أظهر من السراج من جهة، فانظر إلى الصورة في المرآة لأنك ترى عياناً أن الصورة موجودة ما دام وجود المقابلة من الشاخص بحيث لو أعرض عنها لم تكن في المرآة صورة أصلا، وترى أن الصورة تنسب إليها صفاتها وأوضاعها وأحوالها، من سواد وبياض واستقامه واعوجاج وصغر وكبر وغيرها، ولا تنسب هذه الصفات إلى وجه المقابل، لأن وجه المقابل واحد وتختلف الصور باعتبار المرايا التي هي القابلية، فتنسب الصفات المختلفة والأحوال المتكثرة إلى المرايا، وإن كانت تلك الصفات ليست شيئاً إلا بالمقابل، كذلك الأشياء كلها قائمة بفعل الله قيام صدور(١)، وتتغير

(١) ذكر العلامة الكبير المولى الميرزا حسن الشهير بكوهر في كتابه مخازن جواهر التنزيل ص٧٠.... فاعلم أن الربط هو القيام، وهو على أربعة أقسام:
الأول: القيام الصدوري وهو قيام الأثر بفعل المؤثر، وليس بينهما فصل ولا وصل، لأن الفصل يستدعي وجود واسطة، وهي تمنع عن صدوره، والوصل يقتضي الوحدة، فلا يكون المؤثر مؤثراً والأثر أثراً.
الثاني: القيام الركني وهو أن يكون المقوم ركن المتقوم كقيام المركب بالأجزاء وكقيام الشيء بالوجود والماهية، وكقيام المشتقات بالمصادر لا مطلقا، لأن المصدر هو المقوم للمشتق ومندرج فيه، لأن اشتقاق المشتق من المصدر عبارة عن انضمام المصدر بقيود متخالفة، فإذا عرفت هذا الكلام عرفت أن المصادر كلها أمور متحققة متأصلة، وليست كما زعمها القوم من أنها أمور اعتبارية، لأن المشتقات الاسمية كلها فروع للمصادر، متقومة بها قيام ركن، فلو كانت الأصول اعتبارية لكانت اعتبارية الفروع أشد من اعتباريتها، وبالجملة ليس هنا محل هذا الكلام، ومن هذا القبيل أي من=

باختلاف كينوناتها وقوابلها على حسب ميولاتها، وفعل الله والأشياء

---

=قبيل القيام الركني قيام الماهيات بالوجود.
الثالث: القيام الظهوري، وهو أن يكون المقوم مظهرا للمتقوم، كقيام نور الشمس بالجدار، وقيام ظهور كل عال بسافله، أي بآثاره وشئوناته، وهو ظهور الذات في الاسم الفاعل القائم بالمصدر قيام ركن.
الرابع: القيام العروضي، وهو قيام الأعراض بالجواهر كقيام الألوان بالأجسام، وجميع ذلك من حدود المخلوق، فلا يجري على الله لأنه هو أجراه (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله) (مخازن جواهر التنزيل طبعة دار الأميرة نشر مؤسسة الأحقاقي ص٧٠ ـ ٧١).
وقال قدس الله نفسه في كتابه شرح حياة الأرواح:
القيام الصدوري وهو قيام المفاعيل بالفعل أعني قيام الخلق بإرادة الخلق وقيام الأثر بالمؤثر والنور بالمنير وأما الفعل فهو قائم بنفسه بالله من دون ارتباط ولا كيف له كما أنه لا كيف له قال عليه السلام لصفوان بن يحي فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه بلا كيف وأما كونه قائما بنفسه بالله ما قال أمير المؤمنين عليه السلام (خلق الله الأشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها فليس بين الفعل وذاته المقدسة ربط ولا فصل ولا وصل وكذلك بينه وبين جميع المخلوقات وأما قولنا أنه قائم بنفسه بالله التقيد بالله لأجل نفي التعطيل كما يتوهمه البعض، فهو قائم بنفسه بالله مع عدم الربط بينهما ولا كيف لذلك.
والثاني: القيام الركني أعني قيام التحقيق الذي لا يتحقق الشيء بدون ذلك لأنه ركن لوجوده كقيام الماهية بالوجود وقيام السرير بالخشبة فلولا الوجود لم يتحقق الماهية ولولا الخشبة لم يوجد السرير فهما متقومان بالوجود والخشب.
والثالث: القيام الظهوري كقيام الوجود بالماهية فإن الوجود متقومة بالماهية تقوم ظهور كما أن الماهية متقومة بالوجود قيام ركن وتحقق فلولا الوجود لما وجدت الماهية ولولا الماهية لما ظهر الوجود كالبحر والموج فلولا البحر لم يوجد الموج ولولا الموج لم يظهر البحر.
والرابع: القيام العروضي وهو قيام الأعراض بالجواهر كقيام الألوان بالأجسام.

كصورة وجه المقابل في المرآة، وصورة وجه المقابل في المرآة ليست هي صورة وجهه التي متصلة به بل التي في المرآة شعاع صورة وجهة وظلها، فافهم.

## [التحقيق في مسألة الأمر بين الأمرين]

فلما أزلفت مسألة الأمر بين أمرين بهذا المثال، فاعلم أن أفعال العباد كلها على حد قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[(١)] وقوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[(٢)] لا كما قاله الجبرية والقدرية لأن الفعل ثابت للعبد وهو فاعل لفعله ومسلوب عنه من حيث أن وجود العبد قائم بأمر الله وإرادته قيام صدور، لأنه مع قطع النظر عن قيامه بأمر الله باطل مضمحل كما عرفت في الصورة ومقابلة الشاخص فعلى هذا لا جبر بحيث لا يكون للعبد مدخلية أصلا، ولا تفويض بحيث لا يكون لأمر الله وإرادته مدخلية، بل أمر بين أمرين، قال عليه السلام: (وإن من شي في الأرض ولا في السماء الا بسبعة بمشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب)[(٣)] انتهى، فهو تعالى يمسك الأشياء بأظلتها وذواتها وهو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه.

---

(١) الأنفال ١٧.

(٢) الإنسان ٣٠.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ولا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب وأجل فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر). وعن الإمام الكاظم عليه السلام: (لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أو رد على الله عز وجل) الكافي، ج١ ص١٤٩، باب أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة.

وما قالت الأشاعرة بأن العباد آلات، والآلات لا مدخلية لها قط مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١] وغيرها من الآيات ينافي حكمته تعالى وعدله، وإلا لارتفعت فائدة الثواب والعقاب ولكان، المسيء أولى بالنعم من المحسن والمحسن أولى بالعذاب والإساءة من المسيء.

والعجب كل العجب من الإمامية لما قالوا بالجبر في التكوينيات كما قالت الأشاعرة، لأن الأشاعرة قالوا بالجبر مطلقا سواء كان في التشريع أو في التكوين، وهؤلاء خصصوه بالتكوين وحده، ليت شعري هؤلاء الإمامية ألم يروا قول الصادق ﷺ: (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين)[٢] على سبيل الإطلاق من دون تقييد بشيء من التكوين والتشريع، مع أن الأدلة العقلية في نفي الجبر على الله لا تخصص.

نعم؛ فهم هذه المسألة أي مسألة القدر منوط بعناية خاصة من الله، وكذا قال ﷺ: (إن القدر سر من سر الله وستر من ستر الله وحرز من حرز الله مختوم بخاتم الله رفعه الله فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم)[٣] إلى آخر الحديث.

---

(١) الأنفال ١٧.

(٢) عن محمد بن يحيى عمن حدثه عن أبي عبد الله ﷺ قال: (لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية) الكافي، ج١ ص١٦٠باب الاستطاعة.

(٣) إشارة إلى الرواية الواردة عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ أنه قال في القدر: (ألا إن القدر سر من سر الله، وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله،=

وقال في رواية أخرى: (إن القدر بحر عميق لا تلجه طريق مظلم لا تسلكه سر الله لا تهتكه) فلا يعرفها إلا آحاد الناس لكنا نحن نشير إلى المقصود بعون الله الملك المعبود.

فنقول: أفعال العباد ـ فقد أشرنا إليه آنفاً ـ بأنهم فاعلون بأمر الله ولولا أمر الله لعدموا، لأن تحققهم بأمره تعالى وقدره قيام صدور، وقدر الله في أفعال العباد كالروح في الجسد، فلولا الجسد لم تظهر الروح ولولا الروح لا حراك للجسد، كما هو المأثور هذا في التشريع، وأما في التكوين فهو كذلك لأن الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما ها هنا، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾[٢] الآية، فعلى هذا يكون السعيد سعيداً بقبوله وفعله، والشقي شقياً بقبوله وفعله بقدر من الله وإرادته، والشقاوة والسعادة من قابليته واستعداده.

فإن قلت: إن القابلية من الله لأنها إن كانت من الشيء لزم أن يكون الشيء موجوداً قبل أن يكون موجودا.

---

=وضع الله العباد عن علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية، ولا بقدرة الصمدانية، ولا بعظمة النورانية، ولا بعزة الوحدانية، لأنه بحر زاخر خالص لله عز وجل، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، يعلو مرة ويسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطلع إليها إلا الله الواحد الفرد، فمن تطلع إليها فقد ضاد الله في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سره وستره، وباء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير) بحار الأنوار، ج٥ ص٩٧ ر٢٣، باب القضاء والقدر والمشيئة.

(١) القمر ٥٠.

(٢) الملك ٣ ـ ٤.

قلنا: إن القابلية عندنا هي الماهية الموجودة بالوجود حين إيجاد الوجود وهي اعتبار الشيء من نفسه، كما أن الوجود هو اعتبار الشيء من ربه، وهي انفعال الوجود وانوجاده، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الكثرات من السعادة والشقاوة كلها راجعة إلى الماهية أي الصورة لا إلى الوجود، لأن الوجود لا حكم له، كما أن الخشبة لا حكم لها باعتبار نفس الخشبة، وإنما حكمها باعتبار صورتها، فإن صنعها النجار على صورة الصنم يكسر ويحرق، وإن صنعها على صورة السرير له حكم آخر، فالأحكام ترجع إلى الصور لا إلى المواد لأنها لا حكم لها إلا بها، والحاصل أن السعيد سعيد بقابليته واستعداده، وكذلك الشقي في شقاوته، فتكون السعادة والشقاوة بالماهيات ومن الماهيات، إذ الوجود لا حكم له فلا يكون سعيداً ولا شقياً، وإليه أشار تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْۚ﴾[1] لأنه تعالى نسب الاختلاف إلى أنفس الخلق لا إلى نفسه تعالى، لأن ما من الله واحد لا كثرة فيه ولا اختلاف، هذا الذي ذكرنا في المسألة كاف للمستبصر المنصف.

وإن شئت بيانها بطريق آخر نقول: إن الاختلافات الموجودة في العالم قطعية بالبديهة، وتلك الاختلافات هل راجعة إلى الفاعل تعالى أو إلى القابل، فأما الأول فلا سبيل له وإلا للزم الترجيح من دون مرجح أولاً، والبخل ثانياً، والعجز ثالثاً، وارتكاب القبيح رابعاً، والجهل خامساً، والعبث سادساً، وترك الأولى سابعاً، وكلها منفية عنه تعالى بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية.

وأما الثاني أي القابل وهو أيضاً لا يخلو، إما أن يكون موجوداً قبل الوجود أي المقبول وقبل الإيجاد أو بعده أو معه، فالأول باطل

---

(١) يونس ١٩.

لما ثبت أن القابل هو الصورة للوجود، وهي صفة للوجود، والصورة لا توجد إلا بعد تحقق المادة، كما أن الصفة لا توجد إلا بعد وجود الموصوف.

وأما الثاني فهو كالأول في البطلان، لأن الشيء إذا وجد وتم لا يحتاج إلى شيء، ولا شك أن الشيء لا يتم إلا بالقابل، لأنا قد حققنا في محله أن كل شيء مركب من الوجود والماهية، ومن المادة والصورة، ومن القابل والمقبول، وإلا لم يوجد، لأن الحادث له جهتان، جهة تنسب إلى صانعه تعالى وهو المادة وهو الوجود، وجهة تنسب إلى نفسه وهي الصورة وهي الماهية.

فلما بطل القسمان تعين الثالث وهو معية وجود القابل والمقبول لا قبله ولا بعده، وهذه المعية إنما هي باقتضاء القابل، وهذا القبول ليس على نهج التفويض ولا على نهج الجبر، لأن التفويض يستلزم الاستقلال والاستغناء وذلك ممتنع في حق الممكن أبداً ولو في آن، وإلا للزم الاستغناء أبد الآبدين، والجبر يستلزم الظلم والقبح وترك الأولى والاضطرار، وإنما يكون على سبيل الاختيار، فثبت أن الاختلاف والقبول من نفس القابل حين وجود المقبول بالله تعالى.

## [الأدلة النقلية في مسألة القدر]

ولما ذكرنا الدليل العقلي في مسألة القدر ينبغي أن نذكر دليلا من النقل لما وعدنا في أول الكتاب، فنقول:

إن الأحاديث في القدر ما شاء الله، منها [ما] قال عليه السلام في جامع الاخبار: (الناس في القدر على ثلاثة أوجه رجل يزعم أن الله أجبر خلقه على المعاصي فهذا قد ظلم الله تعالى في حكمه فهو كافر ورجل يزعم أن الأمر مفوض إليهم فهذا قد وهن سلطان الله فهو كافر ورجل

يزعم أن الله تعالى كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهو مسلم)[١]، انتهى.

وفيه روي أن أبا حنيفة سأل موسى بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو شاب حدث فقال له ممن المعاصي يا فتى؟ فقال: (يا كهل لا تخلو من إحدى ثلاث؛ إما أن تكون من الله، أو من العباد أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله فالعباد منها براء، وإن كانت منهما جميعاً فهما شريكان أحدهما أقوى من الآخر وليس للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف فيشاركه في المعصية ويفرده في العقوبة، فما بقي إلا أن تكون من العباد.

فقام أبا حنيفة وقبل بين عينيه وقال: أنت ابن رسول الله حقا)[٢]. انتهى.

## [كيفية صدور الموجودات من مبدأ الكائنات وتحقيق مسألة الفصل والوصل]

لما فرغنا من بيان مسألة العدل الفعلي الحادث، أردنا أن نذكر صدور الموجودات من مبدأ الكائنات وكيفيته، فنقول:

إنه تعالى كان واحداً لا ثاني له، عليماً لا معلوم، قديراً لا مقدور، سميعاً لا مسموع، بصيراً لا مبصر، فلما أحب أن يعرف وهو غني عن المعروفية وكان واحداً خلق خلقاً واحداً جامعاً بذلك الخلق بنفسه حتى يدل ذلك الخلق بوحدته على وحدانيته تعالى، ولولا خلقه واحداً جامعاً لجميع الكمالات لما كان تعالى معروفاً بأنه كذلك، لما قلنا أن معروفيته تعالى بأثره لا بذاته، وهذا الأثر يجب أن يكون

(١) جامع الأخبار؛ ص٧.

(٢) جامع الأخبار (للشعيري)؛ ص٧.

بحيث كلما أراد من كمالاته تعالى يجده في نفسه وإلا لم يكن أثراً له تعالى، فحيث كان الله تعالى واحداً ما صدر عنه تعالى إلا واحداً، ولما كان ذلك الواحد حادثاً مركباً من جهة ربه ومن جهة نفسه ومن نسبة بينهما، وكان له نور وأثر لكونه أثرا للكامل ملأ الوجود من الغيب والشهود، فلا يرى نور إلا نور ذلك الواحد، ولا يسمع صوت إلا صوته، لأنه بظهوره كل الأشياء ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾(١) الآية، وهذا الصادر الواحد لا يفنى أثره ولا ينقطع مدده، بل يترامى إلى ما لا نهاية له وإلا لزم النقص فيه، ونقصه يستلزم النقص في موجده تعالى، وتعالى الموجد عن النقص والعجز.

ومرادنا من جهة نفسه هو كونه أثراً لله وعبداً له تعالى، فعلى هذا يكون هذا الخلق الأول الأكرم والنور الأسبق الأقدم كله دليلاً على الله، وأما أثره ونوره فدليل عليه كما سيأتي.

ولا يذهب عليك بالتوهمات النفسانية أن بين الموجد تعالى وبين الخلق الأول فصل أو وصل، لأنا قد برهنا بالبراهين القاطعة أنه لا فصل هناك ولا وصل، أما الفصل فنقول: أن الفاصل هل هو وجودي أو عدمي؟

ولا ريب أن العدم لا يصلح لذلك لأنه ليس بشيء حتى يكون فاصلاً.

ولو كان وجوديا نسأل هل أنه قديم أو حادث؟

والأول باطل لاستلزامه تعدد القدماء الذي أحاله العقل والنقل.

وأما الثاني فنقول: هل يكون بينه وبين الله من فصل آخر أم لا؟

---

(١) البقرة ١١٥.

فإن قلت بالفصل الحادث نقل الكلام إليه وهكذا إلى أن يتسلسل إلى ما لا نهاية له وهو باطل.

وإن قلت بعدم الفصل فثبت المطلوب.

وأما الوصل فنقول: إنه في البطلان كالفصل، لأن المتصلين متحدين في محل الاتصال، فيلزم من الاتصال إما حدوث الواجب لاتصال الحادث به، أو قدم الممكن، وكلاهما باطل.

فالقول الحق في المقام أنه لافصل بينهما ولا وصل، وإن شئت قل بينهما فصل ووصل، أما الفصل فبالنسبة إلى ذات الواجب لأن ذاته غناء بحت وقدرة محضة، وذات الممكن فقر بحت وعجز صرف، وأما الوصل يعني بإمداده تعالى وعنايته، لأن الممكن لو انفصل عن مدده تعالى في آن لانعدم واضمحل، وذلك الإمداد هو نفس الخلق الأول، لأنه تعالى أقامه بنفسه وأمده بنفسه، فافهم.

فإذا علمت ما زبرنا تعلم معنى قوله عليه السلام: (إن الله داخل في الأشياء لا بالممازجة، وخارج عن الأشياء لا بالمزايلة)، وكثير من الآيات والأخبار المتدافعة من هذا النوع، لأن هذه القاعدة الشريفة الإلهية مفتاح لشرح المشكلات وبيان المعضلات.

فإذا تحقق ما ذكرنا في الخلق الأول والصادر الأكمل من عدم الفصل والوصل يجري في جميع سلاسل الآثار والمؤثرات إلى ما لا نهاية له، لأن كل أثر بالنسبة إلى مؤثره ليس بينهما من فصل ولا وصل لما قلنا، ولأنه إن كان الأثر مفصولا عن مؤثره كان معدوما، وإن كان متصلا كان مؤثرا، كما أن بين القيام والقائم ليس اتصال ولا انفصال ولا يتصور ذلك، لأن الأثر معدوم عند المؤثر، ولذا إذا سئلت من في البيت تقول زيد ولا تقول زيد وقعوده أو زيد وكلامه، لأن القعود

والكلام أثر لزيد، والأثر صفة للمؤثر، وأنت تعلم أن الذات غيبت الصفات كما يأتي شرحه.

فلما ثبت في الجملة وحدة الصادر الأول نشرع في بيان كيفية صدوره، فنقول:

أنه تعالى حيث كان ولم يكن له كيف خلق الصادر الأول كذلك آية له ودليلاً عليه، ولا يكون شريكاً معه تعالى لأن الصادر الأول حادث لا كيف له، والحادث لا يصلح للشراكة إلا مع الحادث، ثم إن الذي تدركه بأنه لا كيف له حادث لأنه قد أحاطه إدراكنا فصار ذلك المدرك المحاط تحت رتبتنا، وما كان كذلك لايكون إلهاً وإنما هو أثر للإله ودليل عليه، ومرادنا من قولنا أن الصادر الأول لا كيف له هو أنه ليس هناك كيف خارج عن نفس الصادر الأول كما يتبادر في الذهن، وإنما هو نفس الكيف، والكيف بنفسه بلا مغايرة تقييدية، نعم مغايرته إنما هي بالاعتبار والتعبير.

فإذا علمت أنه لا كيف له بالمعنى الذي سطرنا اعلم أنه لا كم له بهذا المعنى، وكذلك الجهة والرتبة والوقت والمحل، إذ الكل نفسه ونفسه عين الكل بلا مغايرة، لأن كمه كيفه وكيفه كمه وهما جهته وهي رتبته والكل وقته والمجموع محله لاهو غير المجموع ولا المجموع سواه، سبحان من خلق ماخلق لما خلق كما خلق بلا نظير ولا شبيه أقامه دليلا عليه.

ولذا قلنا أن كاف في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) ليست بزايدة، لأن المثل بمعنى الصفة كما في الصحاح للجوهري، فيكون المعنى ليس مثل صفته شيء، وصفته هو الصادر الأول والنور الأكمل، وهو

(١) للشيخ الاوحد رسالة في تحقيق هذه المسألة فراجع.

الحقيقة المحمدية على من عرفه السلام والتحية[١]، هذا الخلق المقدس كمالاتها كلها في نفسه منه إليه، ليس له واسطة، ولا يحتاج إلى سبب من الأسباب غير نفسه، لأنه السبب الأعظم الأقدم.

ومرادنا ليس له واسطة أي في الوجود، وأما في غير الوجود كأسباب التدبير والتقدير والحملة من الملائكة، أو كالأسباب الدنيوية التي يناط العيش بها فهذه سبيلها سبيل افتقار الرجل إلى آثاره وشئوناته، أو إلى أجزائه وأعضائه، فعلى هذا لا يحتاج إلى غيره إلا الله بنفسه دون غيره، لأن من دونه أثر نوره وإشراق ظهوره، والمنير لا يحتاج إلى نوره وإلا لانقلب المنير نور والنور منيرا.

نعم؛ افتقاره إنما هو إلى الله وحده لا شريك له، ولذا قال ﷺ: (الفقر فخري وبه أفتخر)[٢].

والحاصل أن الحقيقة المحمدية ﷺ سبق الموجودات كلها، كان ولم تكن سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا شمس مضيئة، ولا قمر منير، ولا آدم، ولا حواء، ولا جنة، ولا نار، ولا خلق من

(١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (الحقيقة المحمدية لها عندنا إطلاقان: وقد نطلقها ونريد بها المقامات التي هم اسم الفاعل، كـ(القائم) الذي هو اسم فاعل القيام، والقائم مركب في الحقيقة من فعل متقوم بفاعله تقوم صدور ومن أثر فعل، وهو القيام الذي هو الحدث، وهذا المقام أعلى ما يحصل في الإمكان الراجح) إلى أن يقول: (وقد نطلقها ونريد بها أثر المشيئة الكونية، وهو أول صادر من مشيئة الله، وهو الوجود، وهو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو العنصر الأول لكل محدث، وهو نور الأنوار، والمادة الأولى التي خلق الله كل شيء من شعاعها، وهي بمنزلة القيام) شرح الفوائد ج١ ص٢٨٥ ـ ٢٨٦ الفائدة الثالثة.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٩ ص٤٩.

المخلوقات(١)، وثبوت سبقه بضرورة المسلمين، وبدليل الطفرة، لأن الإنسان الأكمل أشرف الموجودات، وأشرف الموجودات أقربهم إلى المبدأ صدورا وإيجادا، وإلا لزم نقض حكمة الحكيم الغني المطلق أو جهله أو تركه للأولى، فلما ثبت علمه وحكمته، وثبت أنه لا يرجح من غير مرجح، وجب أن يكون من اتفقت الأمة على سبقه على الخلق سابقاً على الجميع في الوجود.

وشبهة أنه وجد في عالم الأجسام ـ عالم الشهود المادي ـ في الألف السابعة، مدفوع بأن الظهور غير الوجود، وأن القوس الصعودي غير القوس النزولي، لما حققنا في محله أنه قد يكون الشيء موجوداً ولكن أسباب ظهوره متوقف على شرائط، تلك الشرائط مفقودة لا يحصل ظهوره إلا بعد تحقق الشرائط، كما إذا كان النور موجوداً ولم يكن هناك جرم كثيف يظهر فيه النور لم يظهر النور إذا إلا

---

(١) وردت عدة روايات تشير إلى هذا المعنى ومنها ما رواه جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: (نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثم جعله أقساما، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساما فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاء، فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين) بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢١ ب١.

بعد وجود المحل، كذلك نبينا محمد ﷺ، وذلك الشرط هو أنه لما كانت بنية العالم ضعيفة لم تتحمل ذلك النور القوي، بقي محتجباً بحجاب الجلال يعبد ربه المتعال، حتى نضجت بنية العالم بتتابع الأنبياء عليهم السلام وتعاقبهم واحداً بعد واحد، ونشرهم فضائله ﷺ ومقاماته شيئاً فشيئاً، فلما نضجت بنية العالم واستعدت وتهيأت ظهر ذلك النور على الطور وأتى بالصور فأحيى به من في القبور قبور الطبائع، فجاء للعالم رونق آخر، ذلك الرونق باق إلى يوم القيامة.

## [القوس الصعودي والنزولي]

وأما القوس فقوسان[١]، قوس نزولي، مبدأ ذلك القوس محمد

---

(١) التعليقة **٢٢**: أقول لكل كائن قوس (نزول) وهو مبدؤه وقوس (صعود) يكر راجعا من حيث بدأ كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. ومنها الإنسان أشرف فرد بين الكائنات حيث صرح سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. فقوس النزول للإنسان بالشكل التالي:

حيث يبدأ من عالم التكوين حين تحصصت هويته وفيه تعلقت به الإشاءة التكوينية فانتقل إلى عالم التكوين، ومر بمراحل هي كالتالي:

- (الفؤاد) وأخذ منه حقيقته.
- (العقل) وأخذ منه عقله.
- (الروح) وأخذ منه روحه.
- (النفس) وأخذ منها نفسه.
- (المثال) وأخذ منه شكله المثالي الشبحي.
- (الطبيعة) وأخذ منها طبيعته.
- (الملك) وأخذ منه جسده. وهو آخر العوالم والمراتب بالنسبة إلى المخلوق ومنه يبدأ الصعود.

أما قوس الصعود فهو نوعان: =

وآله، وهذا القوس إنما هو في السلسلة العرضية دون السلسلة الطولية، لأن النزول في الطولية محال وإلا لزم انقلاب المؤثر أثرا وهو باطل، نعم تنزل المؤثر بظهوره وأثره لا بذاته.

وقوس صعودي وهذا إنما يتحقق بعد تمام القوس النزولي وتحققه.

والفرق بين القوسين هو أن الأشرف يتقدم على غير الأشرف في النزولي، بخلاف الصعودي لتقدم الأخس على الأشرف، كما يشاهد في صعود الجماد إلى النبات، ثم منه إلى الحيوان، ثم إلى الملك، ثم إلى الجن، ثم إلى الإنسان.

---

= ـ (اختياري): ويكون بالمسافرة العرفانية كما في الحديث الشريف: (موتوا قبل أن تموتوا) وهذا يتم حين يسافر الإنسان إلى ربه باتباع السنن النبوية والنواميس الإلهية فيمتثل الواجبات وينتهي عن المحرمات ويكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ فإذا اعتدل مزاجه وصفت مرآته طوى العوالم التي نزل منها حتى يصل على باب حقيقته (فؤاده) فيتجلى له الله بلا إشارة وهو أجلى المعارف.

ـ وقوس صعود (إجباري): ويكون ذلك بالموت كما أخبر عنها سبحانه: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. ويبدأ ذلك بالموت حين تغادر الروح الجسد ثم يكمل الصعود الإجباري بالنفخ في الصور حيث يكمل تفكك جميع مركب الإنسان كل في عالمه، فالعقل في الجبروت والروح في الرقائق، وهكذا حتى يتم القانون القرآني حيث قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾. فتدبر. (من ثمرات الحكمة).

# تنبيه [٩]

## [بطلان انقلاب الحقائق]

لا يتوهم أن الجماد في الصعود ينقلب نباتا، والنبات ينقلب حيوانا وهكذا إلى آخر الصعود[١]، بل تظهر رتبته النباتي الكائن في

---

(١) التعليقة ٢٣: في هذا النص أعلاه المؤلف يرفض نظرية التطور بالفهم التغريبي الكامل لأنه نوع من انقلاب الحقائق وتجاوز مراتب السلسلة الطولية ومن المعلوم أن مدرسة الشيخ لأحسائي النابعة من صميم القرآن الكريم والذي ينتمي لها مؤلف الكتاب شاركت في الجهد العلمي النظري القرآني لهدم هذا الفكر التطوري المنكر لعملية الخلق وقد قسمت الرد على هذه النظرية لقسمين الأول علمي بحت وهو في هذه التعليقة وحكمي بحت وسيأتي في تعليقة رقم (٣٤) وإليك جزأ من مقال علمي مختار يهدم نظرية التطور بشكل ملخص:
بقلم د/ محمد برباب:
[يقول ألكس كاريل في كتابه الإنسان ذلك المجهول: " إن نظريات النشوء والارتقاء هي مصدر كل الهموم الإنسانية، وإنها ليست إلا حكايات خرافية وجدت من يحميها ومن يقدمها للجماهير بحلة خادعة لا يعرفها كثير من الناس".ويعتبر أنه من الصعب أن نسمي خط سير الحضارة الغربية ـ المتأثرة بهذه النظرية ـ وتوصلها إلى إمكانية تدمير الحياة على سطح الأرض وإنهاء ثلاثة ملايين سنة من تاريخ البشرية..لا يمكننا أن نسمي ذلك بحال من الأحوال تقدما، وهو بذلك يشير إلى القنابل النووية التي اخترعتها الحضارة الغربية، حتى أن منها من تفتك بالإنسان وتترك البنيان، وكأن البنيان أشرف من الإنسان. إذن فهل هذه النظريات خيالية وجدت من يروج لها؟ أم أنها=

=نظريات علمية قريبة من الحقائق العلمية؟ أم أنها اكتسبت صفة الحقيقة العلمية؟ قبل الجواب على هذه الأسئلة أود أولا أن أوضح نقطتين هامتين: ما هي النظرية؟ وما هو المنهج الأسلم لدراسة نظريات التطور؟

مفهوم الفرضية:

النظرية هي مجموعة من الفرضيات المتماسكة بعضها مع بعض، وتأتي هذه الفرضيات عن طريق مشاهدة أو ملاحظة ظاهرة ما، وتتطلب هذه الفرضيات لإثباتها القيام بتجارب ناجحة، أو المشاهدة المباشرة التي تبرهن على صحة الفرضية، فإذا كانت إحدى الفرضيات التي تنتمي إلى النظرية لا يمكن إثباتها لا عن طريق التجربة ولا عن طريق المشاهدة المباشرة فإن النظرية كلها يعاد فيها النظر.

أفضل منهج لتدارس هذه النظريات:

فإذا كانت الدراسات القديمة في هذا الميدان لم تعتمد إلا على الصفات الخارجية للأنواع الحية ـ من مظهر وطول ولون جلد، فإن الدراسات الحالية تعتمد على معطيات جديدة كعلم المناعة وعلم الكيمياء الحياتية أو علم الفصائل الدموية أو علم الوراثة، وهذه الدراسات التي برزت في العشرين سنة الأخيرة أعطت نتائج قلبت معطيات علم الأنتروبولوجيا القديمة، وذلك بشهادة جل مراكز البحث المختصة عالميا، فأقل ما يمكنه أن يقال عن فترات ظهور نظريات التطور؛ أن الوسائل المستعملة في ميدان العلوم الطبيعية آنذاك، وسائل بدائية إلى حد كبير، ومن هنا نستنتج أن أحسن منهج لدراسة نظريات التطور هو دراستها في قالبها التاريخي، لأنه يبين مدى موافقة أو تعارض هذه النظريات مع الحقائق العلمية المتجددة.

ظاهرة التشابه التصاعدي:

تتفق جميع نظريات التطور على أن كل أنواع الكائنات الحية قد نشأت عن نوع سابق لها في الوجود، والنوع السابق يكون دائما أبسط ممن يليه في التركيب وهكذا، فانطلاقا من الكائنات الوحيدة الخلية ومرورا بالأعقد فالأعقد من النباتات والحيوانات وانتهاء بالإنسان، حيث تصر هذه النظريات على أن الكائنات نشأت بعضها من بعض، وأصلها يعود إلى الكائنات الوحيدة الخلية. =

= كيف ظهرت الكائنات الوحيدة الخلية؟
(التفسير الأول): للعالم السويسري (إرينيوس) (١) الذي يقول بأن الكائنات الوحيدة الخلية مصدرها كائنات مجهرية توجد في فضاء الكون منذ الأزل، حيث انسلت إلى الأرض، ثم تطورت صدفة فأعطت حيوانات ونباتات صدفة، وعن طريق التطور.
(التفسير الثاني): (لأرنست هيكل) الذي يقول بأن الكائنات تطورت من جماد، بمعنى أنه في فترة ما من الزمن الماضي تحولت مواد غير عضوية إلى مواد عضوية صدفة ثم أعطت أحماض أمينية التي تحولت بنفسها صدفة إلى بروتينات ثم إلى صبغيات صدفة، فأعطت كائنات ذات خلية واحدة صدفة، ثم تكونت النباتات والحيوانات وهكذا..
نقد نظرية التطور التصاعدي:
ظاهرة التشابه التصاعدي: هذه الظاهرة حقيقة ثابتة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا لا يسع العين إنكارها فضلا عن العقل والفكر، وقد أشار إلى هذا ابن مسكويه في كتابه (الفوز الأصغر) وكذلك ابن خلدون في المقدمة حيث يقول: ((ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ بالمعادن ثم النباتات ثم الحيوانات)) فهذه حقيقة وصفية مشاهدة قائمة كما هي منذ أقدم العصور التي وعاها الإنسان؛ ولكن هذه الظاهرة ـ التشابه التصاعدي في الكائنات ـ لا علاقة لها بدعوى نشأتها من أصل واحد، فصفاة الكائنات تمكننا من تصنيفها نعم ولكن لا تمكننا من معرفة أصلها، وإلا فمن أين أتى حيوان منقر البط (٢) (Ornithorynque) الذي يتميز بكونه حيوان برمائي، زاحف ذو كفين، له وجنة لها تجعدان وجنة القرد ومنقار بط وقدم ثعلب الماء، وناب أفعى وذنب السمور أو القندس، وهو يرضع صغاره من غير ثدي، ويضع بيضا وحرارة جسمه غير ثابتة كالتي عند الثديات: فهذا الحيوان يمكننا مثلاً تصنيفه وبصعوبة، أما معرفة مصدره وإلى أي حيوان ارتقى فهذا مستحيل. وكمثال آخر فإن ذئب (Tasmanie) مثلاً يشبه كثيراً الذئب المعروف: نفس الجهاز العظمي، نفس الأسنان نفس الجمجمة، إلا أن الأول كيسي (له جيب بطني) والثاني مشيمي (Placentaire) فهذا يعني أن الأحياء المتشابهة لا تنتمي حتما لنفس الفصيلة. =

= الحفريات لا تفسر بل تزيد تعقيدا، والحلقات الوسطية مفقودة (٣):
حسب نظرية داروين فإن التغييرات تتعاقب ببطء، وتسفر في النهاية على الانتقال من نوع إلى نوع آخر. وإذا كان هذا صحيحا ـ يقول دنتون ـ فيجب أن نعثر على الحلقات الوسطية.
مثلاً: عام: ١٩٠٠ عثر علماء الحفريات على حفرية لدودة (Poganaphora) عملاقة ليس لها فم ولا أنبوب هضمي، فعوض أن تتموضع هذه الحفرية بين نوعين سابقين، كونت نوعا مستقلا بحد ذاته مضيفة تعقيداً جديداً للتفسيرات السابقة.
وفي ١٩٠٩ عثر الباحث الأمريكي (Charles Doolithes) على حفرية حيوانية ترجع إلى ٥٠٠ مليون سنة لها نفس التعقيدات.
وفي ١٩٤٧ عثر جيولوجي استرالي في أرض بلاده على حفريات أخرى (٧٠٠ ـ م س).
والحالتين معاً تمثلان حفريات لكائنات حية غير معروفة تماما، ولم تمثل أية منها الحلقة الوسطية المنتظرة. وعوض أن تنتظم شجرة التطور ـ يقول دنتون ـ تشعبت وتعقدت مع مرور السنين.
حقيقي أنه توجد استثناءات، فحفرية: (Archaeopteryx) (مجنح أثري) تمثل حلقة وسطية محتملة بين الزواحف والطيور، لأنه يحتفظ بالكثير من خصائص الزواحف (تموضع عظام الجمجمة، وجود أسنان، رقبة طويلة، غياب المنقر... الخ). ولكن بالإضافة إلى أن هذه الأنواع ضئيلة، كيف يمكننا أن نتيقن بأن المكان الذي تضعه بها في سلم التطور هو المكان المناسب؟ وذلك لأن ٩٩ في المائة من الخصائص البيولوجية للجسم توجد (في الجانب الغير الصلب للجسم): جلد، عضلات، أعصاب، أحشاء.. وهذه الأعضاء لا توجد مع الحفرية. أما المتحجرات العائدة لسلسلة الحصان فلم يعثر عليها في الفترات والأحقاب التي كانت تستوجب نظرية التطور، فهناك فجوات بين فترات ظهور الأنواع الرئيسية منها حيث أنها ظهرت دون حالات انتقالية.
وهناك تناقضات ملفتة للنظر في نمو وتكون الهياكل العظمية لهذه السلسلة: فلنفترض اختفاء الكيسيات من فوق سطح الأرض، وأن الوسيلة الوحيدة التي عثرنا عليها للتعرف عليهم هي جهازهم العظمي، فكيف يمكننا أن نعرف بأن=

=لها جيبا بطنيا بالاعتماد فقط على هيكلها العظمي؟ وكيف يمكننا إذا معرفة بأن طريقة الحمل (المرحلة الجنينية) عندهم تختلف عن باقي الحيوانات؟ الثدية المشيمية: Placentaire يبدأ النمو الجنيني عند الكنغر في مشيمة الأم ويتم النمو في جيب بطني والذي يحتوي على ثدي الإرضاع؟

سمكة السيلاكانت امتحان:

في عام ١٩٣٥، بينما كان أحد الصيادين يبلل شباكه في قناة موزمبيق في الشاطئ الإفريقي على ساحل المحيط الهندي اصطاد سمكة السيلاكانت (Coelacanth)، واعتبر هذا الصيد بمثابة معجزة؛ لأنه كان في الاعتقاد أن هذه السمكة اختفت منذ ما يقرب من ١٠٠ مليون سنة، وقد مكن هذا الصيد من اختبار مصداقية تكوين شكل الكائن الحي بالاعتماد فقط على البقايا الصلبة من جسمه، ولكن الخيبة كانت كبيرة عندما تبين أن الشكل الخيالي الذي افترض كان بعيداً عن حقيقة الأمر. وألغي القول بأنها وسطية بين السمك والفقريات البرية. الحقيقة إن علم الحفريات يبين أن أي نوع ما من الكائنات الحية يعيش فترة معينة فينقرض بعدها ويظهر نوع آخر أكثر تطورا منه، بحيث لا توجد أي حلقة وسطية (٥) بين النوع الأول والنوع الثاني، وهذا يخص عموم الكائنات الحية وبدون استثناء، فالحلقات الوسطية لا توجد بتاتاً على سطح كوكبنا، لا بين الإنسان وغيره من الأحياء ولا بين الكائنات الأخرى.

لقد كانت عصور ما قبل الكمبيري Precambrian خالية من المتحجرات، وعوض أن تظهر الكائنات الوحيدة الخلية كما يزعم التطوريون، ظهرت الملايين من الكائنات الحية في العصر الكمبيري Cambrian كلها من الأشكال المتطورة (مفصليات، لا فقريات، مرجان، ديدان، قناديل البحر) ظهرت بدون أي تطور تدريجي فأين ٥٠٠.١ مليون سنة التي زعم التطوريون أن الكائنات الحية الوحيدة الخلية احتاجتها للتطور. ومن هنا ظهرت مدرسة في الغرب تسمى مدرسة الخلق المباشر (creationism) تلح بأن الخالق سبحانه هو الذي يخلق النوع الجديد مباشرة بعد انقراض النوع السابق الذي يكون قد أنهى مهمته ورسالته في خدمة الحياة، أو أنهى التهييء لهذه الخدمة ليتسلمها النوع الجديد. وهذه المدرسة تستند على الأدلة التالية:

ـ التشابه التصاعدي ليس مصحوبا حتما بتطور في القوى العاقلة عند=

=الكائنات: فالعصفور مثلاً أذكى وعقله أكثر تطورا من عقل قرد، وإدراك القرد ليس أرقى من إدراك الكلب إلا قليلا. والحمار لا يزال حمارا منذ أن عرفته البشرية.
ـ عدم وجود الحلقات الوسطية بين الأنواع.
ـ عدد الصبغيات ثابت عند كل نوع من الأنواع الحية وأي تغيير فيه يؤدي إلى تشوه النوع لا إلى تحوله لنوع آخر.
مشكلة تفسير ظهور الحياة:
أهم ما يمكن أن نسجل هنا هو عجز العلوم بجميع تشعباتها عن تفسير ظهور الحياة، يقول العالم الروسي الشيوعي أوبارين: (إن كيفية ظهور الخلية إلى الوجود تشكل أظلم ركن في نظرية التطور مع الأسف) (٦) ولهذا السبب اعتمد العلماء، على خيالهم في تفسير ظهور الحياة أكثر مما اعتمدوا على معطيات علمية، فكان التفسيران المقترحان اللذان ذكرتهما، ولكنهما ما لبثا أن اصطدما مع الواقع العلمي.
العلوم الحديثة تكذب:
فالعالم (إرينيوس) لم يكن يعلم بظروف الفضاء، ولذلك قال بوجود الكائنات الحية المجهرية في الفضاء الخارجي للكرة الأرضية، ولكن تقدم الأبحاث العلمية أثبتت وجود درجة الصفر المطلق في الفضاء؛ التي لا تستطيع الكائنات المجهرية العيش فيه، وتتغير الحرارة في كواكب مجموعتنا الشمسية حسب قربها وبعدها عن الشمس، فقد تتراوح ما بين **٣٠٠** ليلاً و+**٤٣٠** نهاراً وحتى إن استطاعت العيش ـ وهذا مستحيل ـ فإنها لا تستطيع مقاومة الإشعاع الكثيف للموجة القصيرة القاتلة، وعوامل أخرى كثيرة كالضغط وغيره.. ومن هنا تصادم التفسير الأول وتعارض مع معطيات العلوم الحديثة. أما تفسير (أرنست هيكل) وقوله بأن المواد الغير العضوية تحولت يوماً ما إلى مواد عضوية صدفة، ثم أعطت أحماض أمينية صدفة، ثم تكونت بروتينات صدفة، وأعطت آلاف الأجزاء البروتوبلاسمية صدفة وأعطت آلافا من السلاسل DNA صدفة، ثم في الأخير أعطت خلية حية صدفة.. هذا التفسير يتعارض مع معطيات العلوم الحديثة، فأي نظرية يجب أن تخضع للمشاهدة أو للتجربة حيث يجب أن يتبين صحتها. =

= أما هذه النظرية فلم تثبت مشاهدتها ويستحيل الحصول عليها عن طريق التجربة، فالمواد العضوية التي ادعى (هيكل) أن الحياة الأولى قد انبثقت عنها انبثاقا كيماويا تلقائيا هي موجودة بين أيديهم ورغم ذلك لم يستطيعوا توليد الحياة وبالطريقة التي دعوا، فالاتحاد السوفيتي المنهار كان المروج الأكبر لهذا الطرح في غياب الموضوعية العلمية.

وأوبارين العالم الطبيعي الشيوعي السوفيتي هو ـ أحد خلفاء داعية الإلحاد (أرنست هيكل) ـ صاحب النظرية أوبارين هذا جوبه في موسكو بالسؤال التالي:

هل التفاعل الكيميائي في المادة غير العضوية قادر وبالطريقة التي ذكر (أرنست هيكل) على بعث الحياة كما انبعثت منذ ملايين السنين وعلى الصورة التي ادعى (أرنست هيكل).

فأجاب (أوبارين): بأن هذا ممكن ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا ـ يعني الأرض ـ ومع الأسف نجد مثل هذا الجواب في فكر كثير من الباحثين الغربيين، ولا يخفى على عاقل ما في هذه الإجابة من مراوغة وتمصل؛ لأن هذا الشيوعي لو قال أن هذا ممكن على ظهر الأرض؛ لوجه له السؤال: لم لم تقوموا بهذا الأمر؟! ومثله في ذلك مثل الذين يقولون بإمكان حدوث تحول المادة العضوية فوق سطح الأرض ولكن يجب أن تمر الملايين من السنين، فإن كان مرور الوقت يريدون به تبرير مرور مجموعة من العوامل التي تتدخل في تلك الفترة الزمنية فحاليا وفي المختبرات الحديثة حيث جميع الإمكانيات متوفرة، يمكننا أن نتدخل بجميع العوامل كالحرارة وأنواع الأشعة وأنواع المواد الكيميائية وغيرها، كل هذا ممكن في المختبر ولكن لم تستطع البشرية تجريبيا تحويل المادة الغير العضوية إلى مادة عضوية وخلق حياة.

إذن فلكي ينجو هؤلاء الملاحدة ـ الذين لا علاقة لهم بالعلم ـ من الوقوع في ورطة هذا السؤال المحرج، فإنهم يحيلون السائل إلى الكواكب الأخرى، أو إلى عامل الوقت الخارجين عن إرادة الإنسان وطاقته، مؤمنين في ذلك بالغيب الذي يدعون عدم الاعتقاد به، وحيث يجد السائل نفسه أمام درب مسدود أمامهم.

وتذكرنا هذه الإجابة المضحكة من الملحدين بجحا المشهور بالإجابات=

=السريعة المضحكة، فقد سأله أحد الناس: كم عدد نجوم السماء؟ فقال: خمسون ألفا، فقيل له: ولكن كيف عرفتها وأنت في بغداد والسماء محيطة بالأرض كلها؟ فأجاب: هذه حقيقة أعرفها وأجزم بها وأصر عليها، ومن لم يصدق فليصعد إلى السماء وليحصها. إن القول بأن الكائنات الحية (حيوانية أو نباتية) نشأت من خلية واحدة يتعارض ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ مع معطيات علم الوراثة؛ لأنه كان يجب أن تصبح كل كائنات عصرنا متشابهة ومتجانسة ومتناظرة، فإذا قيل بتدخل عوامل أخرى أثرت على الكروموزمات (وذلك بالاعتماد على نظرية أخرى) فهذا ما سنناقشه عند استعراض باقي النظريات.
الأبحاث الحالية تكذب: حسب السيناريو الذي تفترضه نظرية التطور عن تحول المواد الغير العضوية إلى مواد عضوية، فإن المحيطات البدائية احتوت خلال ملايين من السنين على أرضية غنية بالمواد العضوية.
هذه المواد التي يجب أن نجدها في الصخور الرسوبية التي تكونت آنذاك في قاع المحيطات، ولكن وكما يقول Denton: حتى الآن لم نعثر على أي أثر لهذه المواد.. مع العلم أنه عثر في جنوب Greenland كريلاندا على أقدم صخور في القشرة الأرضية يرجع تاريخها إلى ٣,٩ مليار سنة، علما أن عمر الأرض لا يتجاوز ٥ إلى ٦ مليارات سنة.
ومن جهة أخرى، عثر الباحثون الأستراليون في أحجار تاريخها ٣,٥ مليار سنة على طحالب مجهرية، وهذا يدل على أن توقيت ظهور الحياة المزعوم من طرف التطوريين خاطئ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المدة التي يعطونها لبرودة المواد المنصهرة فوق الأرض وتكون المحيطات الأولى. لن نكتفي بهذا فقط، فالشكل المقترح من طرف التطوريين لتفسير تكون مواد الحساء الأولي (Soupe primtive) خاطئ؛ لأنه يعني أن الفضاء الأولي لم يكن به أوكسجين، وإلا فإن المواد العضوية الأولى كانت ستتعرض بسرعة إلى التلف (Oxydation et Degradation) وهذا ضرب من الخيال الأحمق؛ لأن عدم وجود الأوكسجين يعني عدم وجود غشاء الأوزون الفضائي، مما سيكسر كل الاتصالات الكيميائية التي ستحاول المواد العضوية القيام بها، ويجب أن لا ننسى بأنه لهذا السبب تفسر الآن عدم وجود هذه المواد العضوية فوق أرضية كوكب مارس. وقبل استعراض باقي النظريات أريد أن أوضح مفهوم (الصدفة) الذي=

=ترتكز عليه هذه النظريات، والذي طالما ظن الكثير من الناس أنه لا يخضع لأي قانون رياضي ولا منطقي.

فصل عن المصادفة:

إن نتائج المصادفة مقيدة بقوانين رياضية وذلك مثل كون ١ +١= **٢**. وكمثل على ذلك خذ كيسا به مائة (١٠٠) قطعة رخام **٩٩** بيضاء وواحدة سوداء.

ـ إن نسبة سحب القطعة السوداء من الكيس مرة واحدة هي بنسبة واحد إلى المائة (١٠٠:١).

ـ أما سحبها مرتين متواليتين فهي بنسبة: (١٠,٠٠٠:١) ونسبة جلبها ثلاث مرات متتالية هي: (١,٠٠٠,٠٠٠:١) وهكذا نلاحظ أنه كلما تكاثرت الأعداد المنتظمة أصبحت الصدفة أمرا مستحيلا، وضربا من الخيال الأحمق، خصوصاً إذا ما حاولنا أن نفسر بها نشأة الظواهر الكونية الهائلة، والقوانين المتينة التي تربط بين عناصرها، فالحياة فوق أرضنا ترتبط بشروط جوهرية عديدة، فهل توفر هذه الشروط التي لا يحصى عددها جاءت من محض المصادفة؟ والأمثلة على هذا لا تعد ولا تحصى، فوجود الماء، والهواء، والشمس، والقمر، والسهول، والجبال، والأودية... ما هو إلا توفير للحياة وخدمة لها مما يجعل التكلم عن المصادفة في هذا المجال، أمرا صبيانيا.. وإلا لماذا لم تجعل المصادفة الأرض تدور حول نفسها (أربع وعشرين ساعة) بسرعة **١٠٠** ميل بدل **١٠٠٠** ميل؟ عندئذ يكون ليلنا ونهارنا أطول مما هما عليه فتحترق النباتات كل يوم أو تتجمد في الليل فتستحيل الحياة، والقمر هو المسؤول عن المد والجزر، وهو يبعد عن الأرض بـ: **٢٤٠,٠٠٠** ميل فلو أن قمرنا يبعد عنا بـ: **٥١,٠٠٠** ميل فإن المد كان يبلغ من القوة بحيث يدمر جبال الأرض كلها. ولو أن الهواء أصبح سائلاً لغطى الكرة الأرضية إلى عمق **٣٥** قدم.

الأمثلة في هذا المجال لا يمكن أن تستوعبها كتب الدنيا كلها إن البحث العلمي النزيه يقتضي إيجاد نظريات بعيدة عن إستراتيجية جهة من الجهات؛ لأن الزمن لا بد أن يكشف عن الحقيقة، إذ كيف يعقل مثلاً أن تصبح الخلية حيوانا، وأخرى نباتا، بالصدفة؟ فلماذا لم تجعل المصادفة الحياة كلها حيوانية؟ إذا لاستنفذ الأوكسجين. ولو بقيت الحياة كلها نباتية، لاستهلك=

=النبات ثاني أكسيد الكربون، ولو بقيت الحياة... إن هذه الترهات الفكرية وغيرها، جوانب لا تمت إلى العلم بصلة. وفي هذا الشأن أكد العالم الفرنسي (ألكونت دي تواي) أن الكون والفضاء اللانهائي، وكمية المادة التي يتطلبها تكوين جزئية بروتينية عن طريق الصدفة، هي أكبر بكثير من المادة والفضاء الموجودين حاليا. فمن أجل إيجاد جزيء بروتيني يمنح الحياة تقدر الصدفة برقم به **٢٤٣** صفراً أمام **١٠** بلايين(٧).
فكيف لنظرية تعجز عن تفسير ظهور جزئية بروتينية لا ترى بأحدث أجهزة التكبير أن تفسر ظهور مليون نوع من الحيوانات و**٢٠٠,٠٠٠** نوع من النباتات مع ارتباطاتها فيما بينها؟ إن الحياة فوق كوكبنا ترتبط بحسابات تنظم حتى مستقبل البشرية وأرزاقها إلى غير ذلك، ففي الوقت الذي تعطي فيه خلية ملتوية أربع حيوانات منوية لإنتاج ملايين الحيوانات المنوية تعطي المنسلية البيضاء عند المرأة أربع خلايا في كل شهر، ولكن واحدة منها فقط صالحة للإخصاب، ولو أن الخلايا الأربعة تخصبت جلها، لأنجبت كل امرأة على الأقل أربعة أولاد في كل مرة، وتخيل آنذاك مصير البشرية فوق كوكبنا.
نظرية لامارك: إن مضمون هذه النظرية، هو أن عدم ثبات الأنواع على حالها يعود أساساً إلى الظروف المختلفة ـ مثلاً كتأثير المناخ والغذاء وطراز الحياة.. ـ التي تؤثر على ثبات الأنواع، وتدفعهم حتما للتغيير، وبمعنى آخر فإن الكائنات نشأت عن غيرها من أخرى غير متشابهة لها في عملية تطور متعددة عبر أزمان طويلة، كان التغيير فيها أو في بعض أعضائها وفقا لظروف البيئة الخارجية، ثم انتقلت هذه التغييرات المكتسبة إلى الجيل التالي له بالوراثة.
واستدل لامارك بقانونين هما: أولا: قانون (الاستعمال) و(الإهمال): يعني أن بعض أعضاء الكائن الحي تتغير بالضمور، أو الزيادة، أو الضعف، أو القوة نتيجة لإهماله أو كثرة استعماله، ثم ضرب عدة أمثلة أهمها:
أ ـ نمو واستطالة رقبة الزرافة نتيجة لمحاولتها المستمرة للوصول إلى غذائها من أوراق الأشجار العالية بعد تعرية الفروع التي هي أدنى منها.
ب ـ نمو سيقان الطيور التي تعيش في المستنقعات والبحيرات واستطالة مناقرها ورقابها لاصطياد الأسماك منها.
ج ـ الفقاريات التي تتغذى بدون مضغ، تضمر أسنانها وتصبح خفية في=

=اللثتين مثلاً: الحوت، وآكل النمل.
د ـ والخلد، الذي يعيش في الظلام، له عينان صغيرتان جدا لا تكاد تنهضان بوظيفة.
ثانيا: توريث التغييرات المكتسبة: يعني أنه بعد ظهور المتغيرات الجديدة التي اكتسبها الأفراد، يتم توريثها للجيل الجديد.
نقد (اللاماركية):
أولا: ـ نقد فرضية توريث التغييرات المكتسبة: لقد فندت نتائج بحوث العالم (جريجول مندل) (١٨٢٢ ـ ١٨٨٤) ما جاء بهذه النظرية اللاماركية التي ادعت إمكانية توريث الأجيال التالية لتلك الصفات التي اكتسبها أسلافهم وكذلك العالم (طوماس مورجان). فختان أبناء المسلمين، وأبناء اليهود، لم تورث أية طائفة لنسلها هذه الخصائص، ويقال نفس الشيء بالنسبة لتلك الأطواق التي تمسكت بها نساء بورما لإطالة أعناقهن، وكذلك أحذية نساء الصين الصغيرة. ونشير لما قام به الباحث (وايزمان) في تجربة طويلة الأمد كان خلالها يقطع ذيل الفئران مباشرة بعد ولادتها، وبعد توالد هذه الأنواع لم يحصل على فئران بدون ذيل.
ثانيا ـ نقد قانون الإهمال والاستعمال: إن نوع الزرافات التي ضرب بها (لامارك) المثل على صحة هذا القانون ما زال موجودا، وما تزال إناثه تحمل رقابا قصيرة، فلماذا لم تمت إناث هذه الزرافات ذات الرقاب القصيرة وقت فناء الزرافات القصيرة الأعناق بسبب جوعها نتيجة لارتفاع مأكلها عن متناول أفواهها؟كذلك يجب أن نذكر بأن صغار الزراف تبقى قصيرة الرقاب بعد مرحلة الفطام لمدة طويلة لا تتمكن من الوصول إلى تلك الفروع، فلماذا لم تمت تلك الصغار؟ وبذلك يختفي هذا النوع من الحيوانات من على وجه الأرض إطلاقاً؟ ومن البديهي أن الأشجار الطويلة التي تنمو على مدار السنة تبدأ بالنمو الطبع قصيرة، إذا فكل حيثيات المسألة ضد فكرة (لامارك). أما صغر أعين الخلد وضمور أسنان بعض الفقاريات فذلك راجع إلى الصفات الوراثية الكامنة في الصبغيات (أو الناسلات)، فهذه صفات تكون موجودة قبل الالتقاء مع الظروف الخارجية، وكمثال على ذلك: اختلاف سمك الجلد عند المولود في أخمص قدميه وليونته في الوجه مثلاً. =

= ومن جهة أخرى لو كان قانون الإهمال والاستعمال يعمل لصالح الأنواع لما انقرضت بعض الحيوانات مثل الديناصور عندما تغيرت ظروفها، وهكذا فإن فقر هذه النظرية (اللاماركية) وتعارضها مع نتائج علم الوراثة، كان سببا في تناسبها والاعتماد على نظرية أكثر تماسكا منها وهي نظرية (داروين).. الذي تبنت الكثير من أفكار لامارك.
التطور عند (جورج كوفييه): يرى هذا الباحث أن ظهور الأصناف والأنواع يأتي عقب حدوث الكوارث التي كانت تبيد وتفني بعض أنواع الأحياء، لتظهر بدلا منها أنواع جديدة.
وبتكرار الكوارث، يتكرر خلق الكائنات الحية في كل مرة.
نقد هذه النظرية: لقد تجاوز العلماء هذه النظرية؛ لأنه لا يمكن أن تترك الكوارث أحياء إلا بتدخل عوامل خارجية لا دخل للناجين فيها. ولو افترضنا أن الكوارث تركت أحياء، فما هي القدرة الذاتية التي استطاع بها الناجون أن يقاوموا دون غيرهم ممن ماتوا؟
إن الدارس والمتمعن للكوارث التي حدثت هنا وهناك في أنحاء المعمورة منذ آلاف السنين وأبادت ملايين الأحياء لم ير أي أثر لحدوث أي نشوء أو ارتقاء بعد حدوث الكوارث. ولو افترضنا أن الكوارث أسفرت عن نشوء وارتقاء بعض الأحياء، فإن أبحاث العالم (منديل) وغيرها تدل على أنه يستحيل توريث هذه الخصائص المكتسبة للأجيال القادمة؛ لأن الخصائص التي تورث للأجيال عند نوع ما سواء كان نباتا أو حيوانا هي فقط تلك التي تكون مسجلة في كروموزومات أفراد ذلك النوع وهكذا تجوزت هذه النظرية.
الداروينية: تقوم نظرية (داروين) على مجموعة القوانين التالية:
أ ـ قانون البقاء للأصلح أو (تنازع البقاء) وقانون (الانتخاب الطبيعي): حيث يفترض (داروين) أنه عندما يدخل الأفراد في صراع مع الطبيعة من أجل الحياة يجري اصطفاء طبيعي يؤدي إلى بقاء أشد الأفراد كفاءة بما يمتاز به من صفات. (وهذه الصفات، قد لا تكون ذات أهمية في الظاهر). وكمثال على ما يقول، فإن أنثى الفيل تضع خلال حياتها ستة صغار، في حين كان يجب أن يصبح نتاج كل ذكر وأنثى واحدة بعد ٧٥ عاما عدد أكبر بكثير من هذا العدد؛ لأن فترة الحمل عند أنثى الفيل حوالي عامين، وواضح أن الواقع الطبيعي=

=بعيد كل البعد عن هذا الحساب، وذلك أنه إذا افترضنا وجود سرب من الفيلة تسير في غابة متحدة كعادتها لطلب الغذاء، فإذا رأت مرعى تزاحمت عليه، فالقوي منها يفوز بأطايب هذا المرعى، فيزداد قوة على قوته، أما أضعفها فيزداد ضعفا على ضعفه، ومع مرور الزمن يزداد القوي قوة واكتمالا، ويزداد الضعيف ضعفا إلى ضعفه، فلا يزال يتناقض حتى يتلاشى؛ مما يمكن من اختفاء الأنواع الضعيفة، وهذا ما يسمى بقانون البقاء للأصلح عند (داروين).

ب ـ قانون الإهمال والاستعمال. (تم الكلام عنه).

ج ـ قانون توريث التغييرات المكتسبة. (تم الكلام عنه).

د ـ فيما يخص الإنسان يعتبر (داروين) الإنسان واحداً من فرق الحيوانات البسيطة، كان من حظه امتلاكه لمجموعة من الصفات تقدم بها صعدا خلال التسابق من أجل البقاء. ويقول: بأن الإنسان والقرد يعودان إلى أصل واحد مشترك ومجهول سماه (الحلقة المفقودة) التي حدث لها تطور خاص، وتحولت إلى إنسان. ولم يقل كما يظن بعض السفهاء: إن القرد جد الإنسان. واعتبر (داروين) الجنين ونموه في الرحم طريقة ممثلة لكل الأشكال الحيوانية التي مر بها الإنسان في بدء التاريخ، وليست الزائدة الدودية إلا عضوا زائدا عن الحاجة، وهي من بقايا الكرش الحيواني، وستؤول إلى الانقراض.

نقد الداروينية: أولا: إن الواقع الذي نشاهده يتنافى مع ما أسماه (داورين) بالبقاء للأصلح؛ فالأرض بما قطعته من مراحل في عمرها المديد، تعج بالأصلح وغير الصالح من شتى أصناف الحيوانات، ولو كان قانونه صحيحا، لكان من أبسط مقتضياته الواضحة: أن يتجاوز موكب السباق بين الكائنات الحية نقطة البدء على أقل تقدير مهما فرضنا حركة التطور بطيئة، ولكن ها هي ذي نقطة البدء لا تزال تفور بكائناتها الضعيفة المختلفة، ولا تزال تتمتع بحياتها وخصائصها كما تمتعت بها الكائنات الحية السابقة مثلاً بمثل، وعلى العكس من ذلك نجد حيوانات عليا كالديناصورات، انقرضت بينما ظلت الحشرات الدنيا كالذباب والبرغوث باقية، وبقي من هم أضعف من هؤلاء. يقول البروفسور الفرنسي (Etienme Rebaud) في كتابه (هل يبقى الصالح أم غير الصالح) ص٤٠: «لا وجود للانتخاب الطبيعي في صراع الحياة بحيث يبقى=

=الأقوياء ويزول الضعفاء، فمثلاً: ضب الحدائق يستطيع الركض بسرعة لأنه يملك أربعة أرجل طويلة، ولكن هناك في نفس الوقت أنواع أخرى من الضب لها أرجلاً قصيرة حتى لتكاد تزحف على الأرض وهي تجر نفسها بصعوبة. وهذه الأنواع تملك البنية الجسدية نفسها حتى بالنسبة لأرجلها وتتناول الغذاء نفسه. وتعيش في البيئة نفسها فلو كانت هذه الحيوانات متكيفة مع بيئتها لوجب عدم وجود مثل هذه الاختلافات بين أجهزتها. وعلى عكس مفهوم الانتخاب الطبيعي فإن كل هذه الأنواع ما تزال حية وتتكاثر وتستمر في الحياة، وهناك مثال الفئران الجبلية التي تملك أرجلا أمامية قصيرة وهي لا تنتقل إلا بالطفر في (حركات غير مريحة)، ولا تستطيع كثير من الحشرات الطيران رغم امتلاكها لأجنحة كبيرة، فالأعضاء لم توجد في الأحياء كنتيجة لتكيف هذه الأحياء مع الظروف، بل على العكس فإن ظروف حياتها هي التي تتشكل وفقا لهذه الأعضاء ووظائفها».
ثانيا: إذا كان التطور يتجه دائما نحو الأصلح، فلماذا لا نجد القوى العاقلة في كثير من الحيوانات أكثر تطورا وارتقاء من غيرها، ما دام هذا الارتقاء ذا فائدة لمجموعها؟ ولماذا لم تكتسب القردة العليا من القوى العاقلة بمقدار ما اكتسبه الإنسان مثلا؟ فالحمار منذ أن عرف إلى الآن ما زال حمارا. لقد عرض (داروين) لهذه المشكلة في كتابه، ولكنه لم يجب عليها وإنما علق بقوله (أصل الأنواع) ص٤١٢: (إننا لا ينبغي لنا أن نعثر على جواب محدود ومعين على هذا السؤال إذا ما عرفنا أننا نعجز عن الإجابة عن سؤال أقل من هذا تعقيدا). ثالثا: وقد ثبت لدى الدراسة أن كثيراً من نباتات مصر وحيواناتها لم تتغير عن وضعيتها خلال قرون عديدة متطاولة، ويتضح ذلك من الأنسال الداجنة المنحوتة في بعض الآثار المصرية القديمة، أو التي حفظت بالتحنيط وكيف أنها تشبه كل الشبه الصور الباقية اليوم بل ربما لا تكاد تفترق عنها بفارق ما. والأمثلة كثيرة في هذا الموضوع. رابعا: هذه النظرية لا تخضع لتجربة أو مشاهدة: المشاهدة الإنسانية لم ترصد أي ارتقاء أو أدنى اعتلاء. فلم ترصد البشرية في أي وقت عبر الزمن أي كائن ما قد تحول إلى كائن آخر بالترقي أو بالتطور، خاصة وأنه يوجد علماء متخصصون يراقبون أدنى تغيير حديث في المظهر الخارجي لتلك الكائنات أو تركيبها الداخلي (انظر كتاب=

=الأسترالي ...Denton). فيما يخص الإنسان: أولا: يختص الإنسان باحتواء خلايا جسمه على ٤٦ صبغي، فإذا حدث أي تغيير في هذا العدد من زيادة أو نقصان فإن جسم الإنسان لا يتطور إلى جسم آخر بل يتعرض للتشوه، وهذا العدد الثابت للصبغيات عند جميع الأحياء لا يسمح بأي تطور من كائن حي إلى آخر أبداً، وأي تغيير في المادة الوراثية (الصبغيات) يؤدي إلى تغيير الملايين من البروتينات المتدخلة في تكوين الجسم، والذي يتكلم في تحول القرد إلى إنسان إما أن يكون جاهلا كمعظم الصحفيين الببغاوات الذين يرددون هذا القول بدون علم، أو هم معذورون لتكوينهم الأدبي غالبا وبعدهم عن الميدان العلمي، وإما أن يكون شيطانا يعلم الحقيقة ويظهر غيرها. ثانيا: لا يجب الاعتماد فقط على البقايا الصلبة من الجسم لتشييد وتشكيل الحالة الصحيحة الأصلية، وذلك لأنه ـ كما ذكر ـ تبين أن الشكل النظري المقترح لسمكة السيلاكانت بعيد كل البعد عن حقيقة أمرها. ولقد ذكرت أنه يستحيل معرفة أن للكنغر كيس بطني فقط من خلال هيكله العظمي، وأن المشاهدة المباشرة هي الوحيدة الكفيلة بإعطاء معالم الجسم التامة، فالهيكل العظمي للكنغر يشابه الهيكل عند الديناصور أو الكومودو. وزيادة على ما سبق فإننا إذا أعطينا جمجمة واحدة وقدمناها لعدة باحثين لا يرى بعضهم بعضا، فإن تصورهم لتشكيل وتغليف الجمجمة سيختلف حتما الواحد عن الآخر. ثالثا: إضافة إلى هذا توجد ٤ نظريات (أساسية) أخرى كلها متناقضة مع بعضها البعض في تفسيرها لأصل الإنسان:

١ ـ فرضية (وايت) وجوهنسون white et johanson.

٢ ـ شجرة (طوبياس) Tobias.

٣ ـ شجرة (ليكي) Leaky.

٤ ـ شجرة (كوبنس) Coppens.

فليس من النزاهة العلمية في شيء الجزم في موضوع كله افتراضات وافتراضات مضادة. وقد اعتبر بعض الداروينيين ما أطلقوا عليه اسم Ramapithecus هو الإنسان رسم لما زعم أنه إنسان Ramapithecus والذي تبين أنه كان عبارة عن القرد، وقد صدر هذا الحكم استنادا على بعض أسنان وقطع وشظايا من فك لا غير، وهذا هو كل ما يملكونه من متحجرات=

=(عظيمة)!. وكتب الدكتور Dr. Jolley في تقرير له: أن أنواعا من قرود البابون التي تعيش في أثيوبيا تملك نفس خصائص أسنان وفك Ramapithecus إذن فهذه الخصائص ليست خصائص إنسان، وقد اتفق رأي علماء متحجرات آخرون أن Ramapithecus لم يكن ببساطة إلا قردا.
ـ كان Dart أول من اكتشف ما أطلق عليه اسم Australopithecus سنة ١٩٢٤ وأشار إلى عدة أوجه شبه لهذه الجمجمة مع هيئة وقسمات القرود، وسجل في الوقت نفسه اعتقاده أن أسنان هذه الجمجمة تشبه أسنان الإنسان، وكان حجم الدماغ يبلغ ثلث حجم دماغ الإنسان المعاصر، أما طول هذا المخلوق فقد يبلغ ٤ أقدام فقط. وقد قام Rchard leaky بنشر مقالة تشير إلى أن Australopithecus لم يكن سوى قردا بأيد طويلة وأرجل قصيرة مشابهة للقرود الإفريقية: أي أن هذا المخلوق لم يكن سوى قردا كبيراً Ape. جمجمة Australopithecus والتي تبين فيما بعد أنها لا تبعد أن تكون جمجمة لقرد بالنسبة لإنسان (جاوا) فقد استدل عليه عند العثور على عظمة فخذ مع قحف وثلاثة أضراس، وقد اكتشفت هذه العظام ضمن مسافة ٥٠ قدم وفي فترة امتداد سنة كاملة، وقد كتم Dr. Dobois لمدة ثلاثين عاما حقيقة هامة وهي أنه وجد بالقرب من هذه العظام وفي نفس المستوى من الطبقة الأرضية جماجم بشرية عادية، وقبيل وفاته أعلن عن الحقيقة وقرر أن إنسان (جاوا) ربما كان قرد Gibbon وليس مخلوقا شبيها للإنسان على الإطلاق. أما ما يسمى (بإنسان بيكن) فيعتد العلماء الأنتروبولوجيون البارزون أنه لم يكن إلا قرداً ضخماً. يبقى أن أذكر باكتشاف Rchard leaky لجمجمة بشرية عمرها ٢,٥م س في حين لا يزيد العمر الذي أعطي لما سمي (إنسان افا) و(إنسان بكين) عن بضع آلاف من السنين، وتم اكتشاف مماثل في شهر يناير ٢٠٠١ بأستراليا تداولته وسائل الإعلام الدولية. رابعا: أين الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان؟ إننا قبل أن نتساءل عن الحلقة، يجب أن نعرف أولا أننا لن نجد في هذا الكوكب من يجيب أو يستطيع حتى التلميح لهذا الموضوع، لماذا لم يبق لها أي وجود أو أي أثر؟ ولماذا لم تبق كما بقيت تلك القردة؟ لماذا هنا البقاء لغير الأصلح؟ أما كانت هي الأحق أن تبقى لأنها كانت هي الأقوى والأفضل والأحسن، ألم تكن هي أحسن من النسانيس التي هي أدنى في الرتبة؟ خامساً: لماذا=

=وقف التطور عند الشكل الإنساني؟ عجيب حقاً أن تمر آلاف السنين ولم نر أي تطور ما قد حدث في جسم الإنسان؟ أو حتى أي بادرة تشير إلى تغيير في أي عضو فيه، بل يجب أن نتساءل أو نتخيل: ما هو الطور الذي سيلي طور الإنسان، بالرغم من أن المتغيرات حوله زادت لصالحه؟ سادسا: اكتشاف العلماء لعظام بشرية ترجع لملايين السنين: نشرت (صحف العالم) في أوائل نوفمبر **١٩٧٢** عن وكالات الأنباء العالمية في واشنطن: أن العالم رتشارد ليكي أحد أقطاب العالم الأنتربولوجي، الذي احتل منصب المدير العام للمتحف الوطني في (كينيا) قد تمكن من اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون عام، وهذا الاكتشاف يقلب كل ما قبل عن النظريات بشأن تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ. سابعا: بعد دراسة L'AND mitochondriale تبين حديثاً أن قردة الشامبانزي والغوريلا ظهرت بعد ظهور الإنسان على سطح الأرض.. وهذا الاكتشاف يقلب كذلك كل ما قيل عن النظريات بشأن تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ. ثامنا: إن الزائدة الدودية لن تنقرض، لأنها موجودة عند الحيوانات الأخرى، وأثبت لها العلم الحديث فوائد منها: المساعدة على الهضم لم يكن يعرفها (داروين)، وإلا فهل وجود الثدي عند الرجل يجعل أصل الذكور إناثا؟ وإن كان شعر الصدر عن الرجل من بقايا الحيوان، فلماذا لم يوجد عند الإناث؟ لعل أنصاره يقولون بخروج الرجل إلى الصيد، وبقاء المرأة في الكهف، ويعود الرد من جديد: ولماذا بقي الشعر في الرأس والعانة عند المرأة؟

ـ بالنسبة لـ (إنسان Neanderthalien) فهو يملك بنية هيكل عظمي شبيه تماما لإنسان المعاصر، وسعة جمجمته تزيد على مثيلتها لدى الإنسان المعاصر، ويعتقد جميع علماء الأنتربولوجيا حاليا أنهم كانوا أناسا عاديين مثلي ومثلك.

ـ بالنسبة لإنسان (كرومانيوم) وجد أن حجم دماغه كان أكبر من حجم دماغ الإنسان الحالي، ولو كان حيا اليوم ومشى في الشارع بملابس العمل لما جلب انتباه أحد.

الداروينية الجديدة: كان للانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى نظرية (دارون) أثر كبير في أن تتهاوى ويمر عليها عهد من السقوط والتردي، ولكن طائفة من الباحثين عادوا فشيدوا من أنقاضها نظرية أخرى جديدة، أطلق عليها فيما=

=بعد اسم: (الداروينية الجديدة) اعتبرت بمثابة نسخة مصححة لنظرية (داروين). وقد تزعم هؤلاء الباحثين (هوجودي فريس)، ثم دعمه طائفة من علماء الحياة أكثرهم إنجليزيون وأمريكيون، وأهم ما ينهض عليه هذا المذهب الجديد ويعتبر فارقا يمتاز به عن نظرية (داروين) هو: أن التطور إنما يقوم على أساس الطفرة التي تحدث فجأة وبالمصادفة، لا على أساس انتخاب الأصلح كما يقول (داروين). ويقولون: إن التغيرات بعد أن تتم فجأة وعلى سبيل الطفرة التي لا يستبين فيها سبب غائي، تتسجل فوراً في الذخيرة الوراثية. إذا فالمصادفة لها الدور الأساسي في تكون الأنواع وتكاثرها، مع الاعتراف بما للوسط الذي ينشأ فيه الحيوان من أثر ثابت على كمية التغيير ونوعيته.
نقد الداروينية الجديدة: إن هذه النسخة المصححة لمذهب (داروين) لم تجب على جميع الانتقادات التي وجهت للداروينية: ـ فالحشرات لم يتغير شكلها منذ أن وجدت فوق سطح الأرض إلى يومنا هذا، وسمك (السلاكانت) يعيش في المحيط الهندي، ولم يحدث عليه تغيير منذ أربعة مائة مليون سنة، مما جعل العلماء يطلقون عليه اسم (الحفرية الحية)، وتوجد أمثلة كثيرة للحفريات الحية، مثل ألزاحف النيوزبلاندي: (سيفنودون) والرخوي البحري: (نيوبيلينا) والشجرة اليابانية (جينجيكو)، وطائر (الكزوار)، و(حيوان الأكوندون)، وهذا النوع من الحفريات أوقع الداروينية الجديدة في ما يسمى بأزمة الداروينية الجديدة، خصوصاً وأن هذه الأخيرة تلح على أن جميع الأنواع النباتية والحيوانية تتطور وبدون استثناء.
ومن الانتقادات الأخرى لهذه النظرية أذكر: أولا: إن التطور المفروض الذي هو أصل البحث، تطور تقدمي ولا ريب، إذ هو التفسير المقترح لتدرج أصناف الحيوانات على ضوئه، فهل من شأن الطفرة أن تنطوي على هذا التطور التقدمي المطرد؟ المعروف أن الطفرة إنما تنطوي دائما على صفات الانتقاص والاضطراب. فكيف يفسر التطور التصاعدي بالطفرة التراجعية؟
ولماذا لا تتوجه الطفرة يوما ما في سيرها بالركب الحيواني نحو الانتكاس إلى الخلف بدلا من الصعود الشاق الدائب إلى الأمام؟ وإلا فإنها طفرات مبرمجة إلى الأمام؟! لا ريب أن اعتماد أي إجابة علمية موضوعية على هذه الأسئلة كفيل بأن يؤدي إلى انهيار هذه النظرية الجديدة من أساسها. ثانيا: إذا كانت=

=الطفرة هي التي تتحكم فيما يطرأ على الكائن الحي من تغير وتطور، فأي موجب يبقى لافتراض نشأة الكائنات الحية من أصل واحد، إذ من المعلوم أن هذا الافتراض إنما لاقى القبول من أصحابه بناء على ما لاحظوه من التشابه التصاعدي الملموس بين أصناف الأحياء، وعندئذ لا يبقى لافتراض وحدة الأصل الحيواني أي وجه مقبول، وهكذا فإن القول بالطفرة يحمل في طواياه عوامل التدمير لفكرة التطور من أساسها. ثالثا: إن القول باحتضان قانون الوراثة للدفع الطفري، الذي يفترض أنه ساق الكائن الحي في وقت ما من عمره النوعي أو (السلالي) إلى قفزة تطورية دون الإشارة إلى أي ما قد يعتبر شبه دليل على هذه القفزة، ليس أكثر من ستر لضعف هذا الرأي وراء نظام الوراثة، إذ من الطبيعي أن يتساءل الباحث عن أي معلمة من المعالم التي بإمكانها أن تشير لنا ولو عن بعد إلى أي حقبة تاريخية ظهرت فيها طفرة ما لحيوان ما، أي قبل أن تختفي في مكنون الغيب الوراثي.

خلاصة أولية: فرضية، لا حقيقة علمية ثابتة:

أولا: فكرة التطور وما يتبعها من انتخاب للأصلح لم تتجاوز بعد مرحلة الفرضية، وكل ما قيل أو كتب فيها، لا يعدو أن يكون محاولات مبتورة تثير مزيداً من مشكلاتها أكثر مما تحل شيئاً من معضلاتها. ثانيا: وبناء على ذلك، فإنه لا يجوز إقامة أي حكم علمي على شيء من هذه البحوث والآراء، ولا يجوز أن نعتبرها بحد ذاتها حقيقة علمية تجاوزها العقل بالقناعة والقبول، وإن في استمرار سلسلة النقض والنقد التي تلاحقها لأبلغ شاهد على ذلك، وإنه لمن الأسف أن يقوم بعض من مدرسينا في الثانويات والجامعات بتقديم النظريات للطلبة والباحثين على أساس أنها حقائق علمية ثابتة، والغريب أن بعض الأساتذة خصوصاً ممن توافدوا علينا من فرنسا يقدمون لنا الفرضية دون نقدها ويتعصبون لإحداها، ويعادون من يعارضهم، فتصبح قاعة الدرس كقاعة الاستخبارات الكاجيبي KGB في روسيا..! ومما سبق نستنتج كذلك ما يلي:

ـ الظهور الفجائي لجل الأحياء دون وجود الحلقات الوسطية مع أسلافها يعني الخلق المباشر لجل هذه الكائنات، وبنفي القول بالتطور ونشأة الكائنات الحية بعضها من بعض.

ـ عدم وجود هذه الحلقات الوسطية دفع بالداروينيين للجوء للغش والتزوير=

الجماد بكر الأفلاك وشعلات الكواكب وتدبيراتها على حسب استعداد تلك القوة على حسب توجهاتها إلى صانعها، والقوة الجمادية محفوظة في محلها موجودة في مقامها ظاهرة بآثارها وشئونها، ثم تظهر القوة الحيوانية المختفية الكائنة في النبات كما قلنا في النباتي، والقوة النباتية موجودة في رتبتها محفوظة المراتب والآثار، ثم تظهر القوة القدسية الإنسانية من أفق الفلك الجامع بعد كر الأفلاك وتدبير الأملاك وتأثير النجوم والكواكب على حسب إقبالها إلى خالقها جامعة المراتب مملكة تلك القوى الثلاثة المتقدمة بحقيقتها وآثارها كل في مركزها ومقرها ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾(١).

## [الصادر الأول]

والحاصل كان كلامنا في كيفية صدور الخلق الأول إلى أن خرجنا منه إلى ما سيأتي في محله بيانه، والآن نرجع إلى ما كنا فيه، فنقول: إن الصادر الأول يجب أن يكون واحداً جامعاً بحيث لا يقال لو كان كذا لكان أحسن، وإلا لزم أن يكون موجده تعالى ناقصا، فالتالي باطل بالعقل اللائح والنقل الساطع والمقدم مثله، فثبت أن يكون الخلق الأول بحيث لا يفرق بينه وبين موجده تعالى إلا بأن كمالاته كلها من صانعه، وكمالات الصانع من نفس الصانع غير مستندة إلى غيره، لافرق بينه وبين صانعه إلا أنه عبده وخلقه، خلقه آية له ودليلا عليه، وإن شئت قل إنه تعالى لما أراد أن يعرف نفسه لخلقه بالبيان الأجلى ولايكون بيان أجلى وأظهر منه بحيث كل من أراده تعالى

---

=فظهرت قضية إنسان (بلتدوان) وإنسان (نبرسكا)... وما يسمى بـ: نيودبرطال وكرومانيوم ليسا إلا أناس عاديون مثلي ومثلك، أصبغ عليهم الداروينيون صفات كاذبة تقربهم من القرود والبشر....إلخ]. (من ثمرات الحكمة).

(١) الصافات ١٦٤.

بنفسه، أو لكمال من كمالاته، يرجع إلى ذلك البيان، خلق الصادر الأول الحقيقة المحمدية ﷺ وقال له قل لهم: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾[١] وقال فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[٢]، وقال عليه السلام: (من اراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم)[٣]، وقال عليه السلام: (من عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله)[٤]، لأنهم وصف الله جعلهم الله آية في خلقه، إذا أرادوا أن يعرفوه تعالى عرفوه بهم عليهم السلام.

واعلم أنا قد برهنا أن كل أثر يشابه صفة فعل مؤثره، فإن كانت واحدة فالأثر واحد، وإن كانت كثيرة باعتبار الجهات والظهورات يكون الأثر كذلك.

ولما ثبت أن المؤثر تعالى شأنه واحد وجب أن يكون أثره واحدا، لما أراد المؤثر تعالى شأنه واحد وجب أن يكون أثره واحدا، لما أراد المؤثر تعالى أن يعرف نفسه له به، ولما كان المؤثر كاملا ذا نور وظهور وله آثار، وجب أن يكون ذلك الأثر الواحد كذلك، وإلا لم يكن دليلا على المؤثر فيكون ناقصا، ونقصه أي نقص الأثر يستلزم نقص المؤثر من عجز أو جهل أو ارتكاب قبيح من ترك الأولى والترجيح من غير مرجح أو عبث أو افتقار أو غير ذلك، فلما ثبت كمال الأثر وجب أن يكون لذلك الأثر أثر، وهكذا الكلام في أثر أثر الأثر إلى ما شاء الله، إلا أن الآثار كلها تنتهي إلى الأثر الأول والنور الأكمل، لأنه بالنسبة إلى ما دونه من الآثار وآثار الآثار كلها مؤثر

---

(١) آل عمران ٣١.

(٢) الفتح ١٠.

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٤) الزيارة الجامعة الكبيرة.

كالشمس للأشعة والأنوار، وذلك الأثر الأول الذي هو الشمس بالنسبة إلى الآثار هو الحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية ﷺ تنتهي إلى فعل الله، وفعل الله ينتهي إلى نفسه، أي نفس الفعل، لأنا قد أثبتنا أنه لا ينتهي شيء من الحوادث إلى ذات الله وإلا لزم الربط والاقتران، والاقتران من علائم الحدوث، وإنما ينتهي الحادث إلى مثله، وهو قول مولانا علي عليه السلام: (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله، الطريق مسدود، والطلب مردود)(١).

ومعنى مانقول أنه تعالى عرف نفسه لخلقه هو هذا الذي ذكرنا هاهنا من إثبات الآثار المترتبة بعضها على بعض، لأن كل شيء أثر للقدرة والعلم، فكل شيء له أثر يعرف به صانعه بكماله الذي جعله، فيه بل كينونته كمال صانعه، فالأشياء كلها كمالات إلهية وأنوار سبحانية من الحقيقة المحمدية إلى مرتبة الجماد.

## [علة اختلاف الأشياء]

فإذا علمت ذلك فاعلم أن اختلاف مراتب الأشياء وسلاسلها في كون بعضها نبيا، وبعضها إنساناً، وبعضها حيواناً، وبعضها نباتاً، وبعضها جمادا، وبعضها سماءاً، وبعضها أرضاً، وبعضها نوراً، وبعضها ظلمة، وبعضها جوهراً، وبعضها عرضاً، وهكذا، إنما صار هذا الاختلاف على حسب اقتضاءات الأشياء واختياراتهم بميولاتهم، وإلا فالأمر في الجميع واحد(٢)، لأن الناس كانوا أمة واحدة؛ أي

---

(١) مقطع من الخطبة اليتيمة، تقدم تخريج المصدر.

(٢) التعليقة ٢٤: أقول المؤلف هنا يتحدث بعموم الكلام دون تخصيص مراعاة للفهم العام للمبتدئين وإلا الحقيقة المحمدية لا يكافؤها أحد في رتبتها في جميع العوالم والشؤونات والتكونات حتى في مرحلة المحبرة والماهية الأولى ومنه قول زين العابدين عليه السلام في الصلاة على النبي ﷺ حيث قال: (... إلى=

=الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى في منزلة ولا يكافأ في مرتبة ولا يوازيه لديك ملك مقرب ولا نبي مرسل). وجاء أيضاً في قول النبي ﷺ: (أنا وعلي من شجرة واحدة وباقي الناس من شجر شتى). وورد أيضاً: (عن أحمد بن محمد عن الحسين بن محبوب قال حدثني شيخ من أهل المداين يسمى بشر ابن أبي عقبه عن أبي جعفر وأبى عبد الله عليه السلام قال إن الله خلق محمدا من طينة من جوهرة تحت العرش وانه كان لطينة نضح فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله ﷺ وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام وكانت لطينتنا نضح فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا فقلوبهم تحن إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد على الولد ونحن خير لهم وهم خير لنا ورسول الله ﷺ لنا خير ونحن له خير).

وقصد المؤلف كانوا أمة واحدة خلا محمد وآله لأنه المصطفى ﷺ وخلا الأنبياء عليهم السلام وأصيائهم لأنهم ليس لهم إنعكاس ظلماني مطلقا. ويقول شيخنا الأوحد في شرح الزيارة: [إلا بواسطة الحقيقة المحمدية التي هي الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي منها ولها وهي حقيقتهم عليهم السلام وهي السبيل الاعظم ووصف هذا السبيل بخصوص العظم دون الكبر لاختصاص الكبر بالظاهر وعموم العظم للظاهر والباطن وعلى جهة التفضيل لأنه في مقام من العظم يقصر عنه إدراك كل مخلوق سواهم كما قال تعالى: (وانك لعلى خلق عظيم) استعظمه الله سبحانه في الكون بل والإمكان] (ج٢ص٢٢٥) ويقول أيضاً في نفس الكتاب: [وقوله عليه السلام: وكرامتكم عليه الكرامة بمعني العزازة أي عدم النظير أو قلة النظير لا بمعنى ضد الذل فكرامتهم عليه أنهم عنده ليس لهم مثل ولا نظير] (ج٢ص٤٠٣) ويقول أيضاً: [فاذا عرفت هذا ظهر لك أن الحقيقة المحمدية قد ملأت الوجود المطلق الذي ليس وراءه إمكان وإنما وراءه وجوب فالحادث الممكن غير الحقيقة المحمدية وفلك الولاية ليس له مكان هناك أما قبله فليس قبل الوجود الراجح إلا الوجود الحق الواجب وأما معه فليس ثم فراغ لغيره حتي يكون فيه ولايدخل فيه إلا ما كان فوقه وإما بعده فله مكان تحته ويلزم أن الحال فيه انقص لأن ما فوقه أعلى منه وأفضل فيظهر من هذا التقرير أنه لا يمكن إيجاد شخص بشري أفضل منه أو قبله لا في دائرة=

=العقل لأن كل ما فيها تحته وهو فوقها والأعلى أشرف ولا فيما فوقها لأن ما فوقها ليس إلا الحقيقة المحمدية وليس فوق الحقيقة المحمدية رتبة لشيء يصدر عن مشية الله سبحانه فلو فرض وجود شخص هناك لم يكن إلا هذا ﷺ نعم قد خلق الله سبحانه مثله وأفضل منه في دائرة الدعوى والباطل المسماة بدائرة الجهل ومعنى هذا أن رؤوس الشياطين وأهل الضلالة وأصحاب الكبر والحسد والدعوى تميل ماهياتهم المظلمة بما تقتضيه من صفاتها الخبيثة بسبب دواعي فقرها وعدمية أصلها المجتث إلى دعوي تلك الرتب العالية والاستعلاء على أصحابها عليهم السلم فيخلق الله بمقتضى تلك الاوهام المنكوسة الخبيثة أمثالا وصورا قد كتبها قلم الجهل الكلي بمدد الخذلان في الثرى وما تحته تجد انفسها مثلاً للحقيقة المحمدية واعلى منها وأفضل وقبلها وليس لشي ء من ذلك أصل كما أنه سبحانه وتعالى أحدث في أوهام المشركين حين صنعوا حجراً على صورة شخص من نوعهم وقالوا هذا الهنا وهو شريك إله الخلق سبحانه فأحدث الله عز وجل من تلك سبحانه مثله وأفضل منه في دائرة الدعوى والباطل يعني أن في الوجود الظلماني العرضي شيئاً يدعيه أصحاب البعد من الخير بأنه مثل محمد صلى الله عليه] (ج٣ص٣١١). وقال أيضاً: [و الثاني أن الأبرار كانوا في أصل خلقهم كغيرهم قال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية، وبيان ذلك أن الخلائق في عالم الذر كانوا سواء في التكليف بمعنى أن كل واحد متمكن من الأستجابة والأمتناع باختياره على اختلاف مراتبهم في القرب والبعد من المبدأ الفياض وفي النور والظلمة فأمر الله نبيه ﷺ بأخذ الاقرار من الأنبياء فقال لهم يقول الله لكم ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم وامامكم والأئمة من ولده اولياؤكم وائمتكم قالوا بلى آمنا وصدقنا وسلمنا واشهد بأننا مسلمون ثم أمرهم أن يأخذوا من اممهم الاقرار بما أخذ منهم وكذلك الأوصياء والمرشدون والسفراء والمعلمون فمن اجاب بقلبه ولسانه وعمل بما امر به بجوارحه واركانه فهم أبرار والسابقون منهم المقربون وفي أمالي الشيخ باسناده إلى جابر عن أبي جعفر عن ابيه عن جده عليهم السلام أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام أنت الذي احتج الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى وقال محمد رسولي قالوا بلى قال وعلي أميرالمؤمنين فأبى الخلق جميعاً=

=إلا استكباراً وعتواً عن ولايتك إلا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين] (شرح الزيارة ج١ص٦٩).
لماذا لا يوجد مكافئ لهم ﷺ؟ الجواب يكمن في طبقات الإمكان، فالإمكان هو سلب الضرورتين منطقياً وهو العدم النسبي حكمياً أو الوجود الراجح أو النفي في رواية الصادق ﷺ وهو مقصودنا في هذه التعليقة، والآن يأتي هذا التساؤل، هل كل شيء له إمكان بما في ذلك أهل العصمة ﷺ؟ نقول نعم. حتى الحجر والشجر له إمكان، بل كل شيء دخل حيز التكوين مر سابقاً بإمكانه الخاص به، وهذا ما يثير تساؤلا أكبر من الأول، هل الإمكان واحد لجميع الموجودات أم متعدد؟ بمعنى هل هناك مادة خام أسمها إمكان خلق منها جميع الموجودات الحقير والشريف، العالي والداني، المعصوم وغيره، أم هي إمكانات متعددة، أي لكل طبقة من الموجودات طبقة إمكانية خاصة بها نظير طبقات السلسلة الطولية في حيز التكوين؟ هذا ما سنعالجه في هذه التعليقة، فنقول باسم الله:
من المحال وجود طبقة إمكانية واحدة لكل طبقات السلسلة الطولية، لماذا؟
١ ـ لأن طبقات السلسلة الطولية في حيز التكوين هي إنعاكس متواز لإمكاناتها الخاصة بها، وإلا لوجد مثلاً أشقياء في طبقة الأنبياء وحاشاهم من ذلك..لذلك نقول طبقة الأنبياء وقبلها طبقة الحقيقة المحمدية لا إنعكاس لهما أصلا..لخلوهما من غير المعصوم ﷺ بمطلقه نبيا أو وصيا.
٢ ـ من ناحية أخرى أن كل شيء لا يمكن أن يتطور أكثر من استعداده، فلا يمكن صناعة سيارة حديدية من خام الخشب، ولا صناعة الخبز من خام السجاد مثلاً، فلكل شيء قدر واستعداد يتطور إليه، فالفرد المؤمن خامته وإمكانه لا يمكن أن يكون نبيا معصوما، فهذا الإمكان الاستعدادي بديهي والله أقره في محكم كتابه الكريم كما سنورد ذلك لا حقا. فعلى هذا أيعقل أن تكون مادة الخلق الأولى واحدة الأساس فيكون منها النبي المعصوم والزنديق الكافر العلج، هذا لا يتصور بحال، فخامة(طينة) الأنبياء أعلى استعداداً من خامة ما دونهم قطعاً.
٣ ـ وفي ميزان العقل من المستحيل أن تقف العلة مع المعلول في طبقة إمكانية واحدة، فهل وقف رسول الله ﷺ معنا نحن معلوليه نوراً ووجوداً في طبقة=

حقيقة مطلقة لا بشرط شيء من الخصوصيات، فاختلفوا بهوياتهم ومشتهياتهم مع كون كل واحد من الأشياء صالحاً لكل شيء من جميع المراتب والمقامات، من دون تخصيص من الفاعل تعالى بشيء دون شيء، وإلا لزم الترجيح من غير مرجح وذلك على الحكيم القادر الغني المطلق محال، وإنما التخصيص من القابل، لأنه تعالى جعل إمكان الواحد الجزئي كلياً لايتناهى، كما أنه تعالى جعل إمكان زيد مثلاً صالحاً لأن يخلق منه عمراً، وبكراً، وخالداً، وأرضاً، وسماءاً، وفلكاً، وملكاً، وجبلاً، وجملاً، وحيواناً، وإنساناً، وشيطاناً، وكافراً، ومؤمناً، ونبياً، ووليّاً، ونباتاً، وجماداً، إلى غير ذلك مما لا نهاية له، ولما خلق تعالى كون زيد من إمكانه كان كونه زيداً فرداً من الأفراد الغير المتناهية من ذلك الإمكان، وإنما كانت هذه الخصوصية

---

=إمكانية واحدة، إذن كيف أنفصلنا إلى علة ومعلول؟!! وكيف وقف الشريف والخسيس في طبقة إمكانية واحدة، وكيف وقف النور والظلام والأضداد في طبقة إمكانية واحدة؟!

٤ ـ الروايات تتحدث صريحا عن طينات مختلفة، فللمعصوم عليه السلام طينة خاصة به، ونحن خلقنا من فاضلها، أو شعاعها.

٥ ـ يوجد دليل من كلام الشيخ على طبقات الإمكان، يقول شيخنا :[وكذلك فتح سبحانه بهم الوجود الإمكاني وذلك لأن الإمكان كله وإن كان في الوجود الراجح في الجملة إلا أن الممكنات فيه مرتبة قد ترتبت معلولاتها على عللها فمنها من أمكنه المبدع المريد جل وعلا بنفسه ومنها من أمكنه بواسطة إمكان آخر ومنها بوسائط، كما في الوجود الكوني حرفا بحرف بل الكوني شرح الإمكاني فكان إمكانهم صلى الله عليهم أجمعين بنفسه لم يتوقف في إمكانه إلا على خلق المشية فيه وهو قوله تعالى: (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور) [النور/٣٥]. وإمكان غيرهم متوقف على إمكانهم فبهم فتح الله الوجود الإمكاني وبهم يختم فيعودون حيث لا يكون خلق] [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج٣ص٣٠٣، مطبعة السعادة]. (من ثمرات الحكمة).

باختيار زيد، وزيد مع ذلك لم يخرج من صلاحيته وإمكانه الذي كان له قبل ذلك أي قبل إيجاده فرداً من ذلك الإمكان، ألا ترى أن أهل الصناعة يأتون شيئاً واحداً من الأحجار المصطلحة عندهم ويحلون مراتب ذلك الشيء الواحد ويخرجون منه الجسد والروح والنفس والعقل والحقيقة والولاية والنبوة، ويرون في ذلك الشيء الواحد بعد الحل والعلاج على الطريقة المرعية المودوعة عندهم جميع المشكلات من مسألة المبدأ والمعاد، ولذا يسمون هذا العلم بمرآة الحكماء وإلى هذا الذي قلنا من أن الجزئي الواحد مع كونه واحداً لم يخرج من إمكانه، ينظر قول سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (أنا الذي اتقلب في الصور كيف شاء الله)، وورد أيضاً أن الصادق عليه السلام رأوه في مجلس واحد على ثمانية عشرة صورة[(١)]، كيف لا وهو وجه الله الذي أينما تولوا فثم وجه الله، فيكون جميع صور أهل العالم، ومعانيهم، وذواتهم، وحقائقهم، وجواهرهم، وأعراضهم، كلها إذا توجهت إليها ترى أن هناك وجه الله بل الوجه ملأ الوجود من الغيب والشهود هو الأول والآخر والظاهر والباطن، هكذا يكون عبد الله المطيع، فما ظنك بربه تعالى وتقدس عن التمييز والتوصيف، إذا كان هكذا شأن الوجه الذي هو الأثر الأول الأكمل يكون أثره الدال عليه كذلك وإلا للزم نقص الوجه، ونقصه يستلزم النقص في الواجب تعالى، بل ورد أن العامل إذا عمل عملاً مطلقاً انتقش عمله في جميع ألواح السماوات وصفحات الأرضين وطبقاتها، بل لايبقى في الوجود شيء إلا وانتقش عمله هناك، ولأجل ذلك

---

(١) التعليقة ٢٥: أقول ذلك يتم من خلال استهلاك نور المعصوم عليه السلام للكثافة البشرية ولكون صورهم مطيعة لهم..لأنهم علتها والمعلول مستجيب لعلته دائما وبشريتهم لهم بمنزلة الغبار على المرآة لا أكثر. (من ثمرات الحكمة).

يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحار إذا كان عمله الطاعة والإقبال إلى الله المتعال، ويدعو عليه كل شيء إذا كان عمله المعصية والإعراض عن القهار ذي الجلال.

والحاصل كان الكلام في هذا المقام في بيان علة اختلاف الموجودات من العلويات، والسفليات، من جواهرها، وأعراضها، حيوانها، وإنسانها، ونباتها، وجمادها، ونورها، وظلمتها، بسائطها، ومركباتها، مادياتها، ومجرداتها.

## [إثبات وجود عالم الذر عقلاً ونقلاً]

فقلنا إن هذا الاختلاف إنما هو راجع إلى قبول الموجودات واختيارهم في عالم الذر، وعالم الظلال، وعالم الميثاق، والعالم الأول، هذا في لسان الشرع، وأما بعض الحكماء فقد سماه بالمثل الأفلاطونية.

وعالم الذر ثابت بالعقل والنقل، أما العقل فنقول أن الذر عبارة عن أجزاء صغار ترى في الشمس من كوة البيت هذا بالنسبة إلى هذا العالم، وأما بالنسبة إلى عالم الغيب فله ذر أيضاً على حسب ذلك العالم، والذر شيء واحد صالح لجميع الاقتضاءات الإمكانية التي تحت عالم الذر في ذلك العالم، لأن الذرات عديدة منها ذر عالم العقول، ومنها ذر عالم النفوس، ومنها ذر عالم الأجسام، وإلى هذا البيان أشار الله سبحانه في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾(١)، قوله: (فَاخْتَلَفُوا) إشارة إلى أن الاختلاف راجع إلى الناس على حسب اقتضاءاتهم وقبولاتهم باختيارهم عند التكليف حين قال لهم ربهم: ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم والأحد عشر

(١) يونس١٩.

من أولاده المعصومين أئمتكم وأولياؤكم، فإنهم اختلفوا على فرق خمس، منهم المؤمنون لساناً وقلباً، ومنهم المنكرون لساناً وقلباً، ومنهم من أقر لساناً وأنكر قلباً، ومنهم من أنكر لساناً وأقر قلباً، ومنهم توقفوا وهم المستضعفون لم تتم الحجة عليهم في الدنيا بل تتم في الآخرة بتكليف آخر[١]، وكيفيته أنه توقد نار ويؤمر بهم بالدخول فيها، فمن دخلها كان من أهل الجنة، ومن لم يدخلها كان من أهل النار، وهؤلاء هم الذين لم يعرفوا الحق من الباطل على بصيرة وإنما هم يقولون بشيء من أحكام الدين والإيمان عمياناً وتقليداً.

وبالجملة فلولا هناك عالم الذر للزم أن يكون تعالى خارجاً عن العدالة، ولزم أن يرتكب القبيح من التخصيص من دون مخصص، ويلزم أن يكون للناس على الله حجة، فلما بطلت اللوازم لما تحقق أنه تعالى عادل حكيم قادر عليم غني متعال من أن يتوهم في حقه تعالى

---

(١) في كتاب مختصر البصائر؛ ص٥١٩ رواية تفيد هذا المعنى وهو ما نصه من تفسير القرآن العزيز تأليف علي بن إبراهيم بن هاشم: وأما قوله وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فإنه قال الصادق ﷺ: «إن الله أخذ الميثاق على الناس لله بالربوبية، ولرسوله صبالنبوة، ولأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بالإمامة.

ثم قال: ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي إمامكم والأئمة الهادون أولياءكم؟

فقالوا: بلى ـ منهم إقرار باللسان، ومنهم تصديق بالقلب ـ فقال الله جل وعز لهم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين».

فأصابهم في الذر من الحسد ما أصابهم في الدنيا، ومن لم يصدق في الذر وبرسوله وبالأئمة في قلبه، وإنما أقر بلسانه أنه لم يؤمن في الدنيا بالله وبرسوله وبالأئمة في قلبه.

و الدليل على تكذيبهم في الذر قول الله عز وجل لنبيه ﷺ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل إلا أن الحجة كانت أعظم عليهم في الذر، لأن الأمر من الله عز وجل كان مشافهة.

ما لا يجوز عليه في الحكمة، ثبت أن يكون هناك عالم يسمى بعالم الذر والعالم الأول كلف في ذلك العالم جميع الذرات الصالحة للمقتضيات كلها حتى قبل من قبل بما قبل لما قبل كما قبل، وأنكر من أنكر بما أنكر لما أنكر كما أنكر، وحتى لا يقال لو كان كذا لكان أحسن.

وأما النقل فقال تعالى في الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(١)، وقال في الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٢)، وقال الباقر عليه السلام كما رواه الصدوق في قوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾(٣) قال: (عرف الله عز وجل إيمانهم بولايتنا، وكفرهم بتركها، يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذر في صلب آدم عليه السلام)(٤) انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية إلى قوله (بلى) قلت: معاينة كان هذا.

قال عليه السلام: نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ـ ولو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه. فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه ـ فقال الله «فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل)(٥).

وقال الصادق عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم

(١) الأعراف ١٧٢.
(٢) الأحزاب ٧ ـ ٨.
(٣) التغابن ٢.
(٤) مختصر البصائر ٤١٣.
(٥) تفسير القمي ج١ ص٢٤٨.

أظلة قبل الميلاد فما تعارف من الأرواح ائتلف وما تناكر منها اختلف)[١] انتهى.

وورد في علامة المؤمن أن يكون فيه حدة، ثم قال عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين وأنتم هم أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج فالحدة من ذلك الوهج وأمر أصحاب الشمال وهم مخالفوهم أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثم لهم سمت ولهم وقار)[٢].

وروى العياشي عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى أهبط ظللا من الملائكة على آدم وهو بواد يقال له الروحاء وهو واد بين الطائف ومكة ثم صرخ بذريته وهم ذر قال فخرجوا كما يخرج النحل من كورها فاجتمعوا على شفير الوادي فقال الله لآدم انظر ما ذا ترى فقال آدم ذراً كثيراً على شفير الوادي فقال الله يا آدم هؤلاء ذريتك أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبية ولمحمد بالنبوة كما أخذته عليهم في السماء قال آدم يا رب وكيف وسعتهم ظهري قال الله يا آدم بلطف صنيعي ونافذ قدري»[٣] انتهى.

والأحاديث الواردة في وقوع عالم العهد والميثاق متواترة لايمكن تأويلها أو جعلها من أخبار الآحاد أو حملها على التقية كما صار إليه جماعة من علمائنا منهم شيخنا المفيد رحمه الله، أول هذه الروايات برواية دونها الثقاة من الأصحاب بأن آدم رأى على العرش أشباحاً بلغ نورها فسأل الله عنها فأوحى الله إليه أنها أشباح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله عليهم، وأنه لولاهم ما خلقه ولا خلق سماء ولا أرضاً)

(١) علل الشرائع؛ ج١؛ ص٨٤.
(٢) علل الشرائع ج١ ص٨٥.
(٣) تفسير العياشي ج٢ ص٢١٩.

إلى أن قال: (إن الأشباح لم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحا ناطقة، لكنها كانت على مثل صورهم في البشرية)[١]، وقال: (فأما الأخبار التي جاءت بأن ذرية آدم عليه السلام استنطقوا في الذر فنطقوا، فأخذ عليهم العهد فأقروا، فهي من أخبار التناسخية)[٢].

ومنهم المفيد والمرتضى رحمهما الله لأنهما أنكرا عالم الذر وقالا لو كان الواقع كذلك لكنا على ذكر من ذلك العهد[٣].

---

(١) قال الشيخ المفيد رحمه الله: (والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها فسأل الله تعالى عنها فأوحى إليه أنها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وأعلمه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماء ولا أرضا والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم عليه السلام أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمة لا يفترضه من طاعتهم ودليلا على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة ولا أرواحا ناطقة لكنها كانت صوراً على مثل صورهم في البشرية) المسائل السرورية، ص٣٩.

(٢) المسائل السرورية، ص٤٦.

(٣) قال الشيخ المفيد نور الله ضريحه في شرحه على العقائد.... وأما ما ذكره أبو جعفر ورواه أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهو حديث من أحاديث الآحاد وخبر من طرق الأفراد وله وجه غير ما ظنه من لا علم له بحقائق الأشياء وهو أن الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بألفي عام فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر وما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر وليس الأمر كما ظنه أصحاب التناسخ ودخلت الشبهة فيه على حشوية الشيعة فتوهموا أن الذوات الفعالة المأمورة المنهية كانت مخلوقة في الذر وتتعارف وتعقل وتفهم وتنطق ثم خلق الله لها أجساداً من بعد ذلك فركبها فيها ولو كان ذلك كذلك لكنا نعرف نحن ما كنا عليه وإذا ذكرنا به ذكرناه ولا يخفى علينا الحال فيه ألا ترى أن من نشأ ببلد من البلاد فأقام فيه حولا ثم انتقل إلى غيره لم يذهب=

والجواب عن هذا فقد تقدم في حديث العياشي أنهم نسوه وسيذكرونه يوم القيامة.

وما استدل المرتضى رحمه الله على مدعاه هو أنه قال: (إن هذا مما يحيله العقل، وظاهر القرآن يشهد بخلافه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل من ذريته)[1].

---

=عنه علم ذلك وإن خفي عليه لسهوه عنه فيذكر به ذكره ولو لا أن الأمر كذلك لجاز أن يولد منا إنسان ببغداد وينشأ بها ويقيم عشرين سنة فيها ثم ينتقل إلى مصر آخر فينسى حاله ببغداد ولا يذكر منها شيئاً وإن ذكر به وعدد عليه علامات حاله ومكانه ونشوئه وهذا ما لا يذهب إليه عاقل (بحار الأنوار ج٥٨؛ ص٨٠).

(١) قال الشريف المرتضى رحمه الله: (قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وقد ظن بعض من لا بصيرة له، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته، وهم فى خلق الذر، فقررهم بمعرفته، وأشهدهم على أنفسهم. وهذا التأويل ـ مع أن العقل يبطله ويحيله ـ مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه؛ لأن الله تعالى قال: وإذ أخذ ربك من بني آدم، ولم يقل: من آدم، وقال: من ظهورهم، ولم يقل: من ظهره، وقال: ذريتهم، ولم يقل: ذريته؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة: إنهم كانوا عن ذلك غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم، وأنهم نشئوا على دينهم وسنتهم؛ وهذا يقتضي أن الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه؛ وأنها إنما تناولت من كان له آباء مشركون؛ وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بنى آدم؛ فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم، فأما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التى استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخوطبت وقررت من أن تكون كاملة العقول، مستوفية لشروط التكليف؛ أو لا تكون كذلك.

فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم،=

=وإكمال عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال، وما قرروا به، واستشهدوا عليه؛ لأن العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى، وإن بعد العهد وطال الزمان؛ ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا فى بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله.

و ليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير؛ لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم؛ لأن سائر ما عددناه مما ينفى العلوم يجرى مجرى الموت فى هذا الباب. وليس لهم أن يقولوا:

إذا جاز فى العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه فى حال الطفولية جاز ما ذكرناه؛ وذلك أنا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى لهم وهم كاملو العقول، ولو كانوا بصفة الأطفال فى تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه.

على أن تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض فى الآية، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنه إنما قررهم وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك، وسقوط الحجة عنهم فيه؛ فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجة وزوالها، وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم، وصار ذلك عبثاً قبيحاً؛ يتعالى الله عنه.

فإن قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم، فما تأويلها الصحيح عندكم؟ قلنا فى هذه الآية وجهان:

أحدهما أن يكون تعالى إنما عنى جماعة من ذرية بنى آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم، وقررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته، فأقروا بذلك، وأشهدهم على أنفسهم به؛ لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم. وإنما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن كاملا عاقلا؛ وليس الأمر كما ظن؛ لأنا نسمى جميع البشر بأنهم ذرية آدم؛ وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون، وقد قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [غافر: ٨].

و لفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملا عاقلا؛ فإن استبعدوا تأويلنا=

باطل، لأنا نقول: إن العقل لا يحيل ذلك بل يثبته لأن الله قادر على ذلك وهذا أرجح كما مر ذكره فيكون واقعا.

وأما تفسير الآية فنقول: إن الذرية لما كان بعضها بلا واسطة وبعضها مع الواسطة، وكان الكل من ظهور بني آدم لا من ظهر آدم، قال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وكذلك الذرية، وهذا ظاهر؛ يعني أنه تعالى أخرج من صلب آدم أولاده ثم أخرج من صلب أولاده أولاد أولاده وهكذا إلى آخر الذرية.

ومنهم أي من القائلين بالإنكار والتأويل كالشيخ الطبرسي رحمه الله، مع أن الأحاديث الواردة في الباب متواترة، والعقل لا يستحيله على

---

=وحملنا الآية على البالغين المكلفين؛ فهذا جوابهم.

والجواب الثاني أنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدلائل فى أنفسهم وفى غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، وكانوا فى مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده تعالى، وتعذر امتناعهم منه، وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف؛ وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة، ولا منهما جواب، ومثله قوله تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]. ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم؛ وإنما لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به؛ ومثل هذا قولهم: جوارحى تشهد بنعمتك، وحالى معترفة بإحسانك. وما روى عن بعض الخطباء من قوله: سل الأرض: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتباراً.

وهذا باب كبير، وله نظائر كثيرة فى النظم والنثر؛ يغنى عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها. (أمالي المرتضى؛ ج١؛ ص٢٨ ـ ٣٠).

الله تعالى إذ لا يلزم من إخراج الذرية في الذر من صلب آدم محال، بل إنما هذا يدل على نوع من قدرته تعالى وحكمته يعرفه من له حظ من العلم.

## [ثبوت الاختيار عقلاً ونقلاً]

فلما ثبت وجود عالم الذر عالم العهد والميثاق، وثبت إجمالاً أن الاختلافات الواقعة في العالم كلها بالاختيار، ناسب أن نذكر مسألة الاختيار ونبرهنه بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية.

فنقول: إن الله سبحانه وتعالى حيث كان كاملاً مطلقاً وجب أن يكون خلقه مختاراً، إذ المختار أشرف من المضطر وأرجح، فلو خلق الخلق مضطرين لكان جبراً ولزم عجزه تعالى أو جهله أو ارتكاب القبيح وكلها باطل، والاختيار في الشيء المختار هو عبارة عن مبدأ ميلين متضادين بحيث إن شاء فعل وإن شاء ترك، وذلك المبدأ عطاء سبحاني جعله في المخلوقات كلها ليس بنور ولا ظلمة، ولا سعادة ولا شقاوة، ولا إيمان ولا كفر، وإنما هو مبدأ المتضادين، وهذا الاختيار مساوق مع الوجود حين وجود الوجود، بل هو الوجود نفسه لأن الوجود كما برهن في محله كله شعور وإدراك واختيار، إلا أن اختيار كل شيء على حسبه على قدر إدراكه وشعوره في الشدة والضعف، كما أن نور السراج كلما كان أقرب إلى السراج إلى الشعلة كان أقوى نورا وحرارة وتأثيراً، وكلما بعد أضعف وهكذا إلى آخر مراتب نهايات النور، فالاختيار الذي في الإنسان أقوى من الاختيار الذي في الحيوان، واختيار الحيوان أقوى مما في النبات، وما في النبات من الاختيار أقوى مما في الجماد، وتفاوت مراتب الاختيار في سلسلة الموجودات باعتبار اختيارها قبل أن يكون كل واحد منها في المرتبة التي فيها الآن، لأنها قبل ذلك كانت أمرا وحدانيا صالحا

لجميع المراتب والمقامات من دون تخصيص، وهذا الذي قلنا من الصلاحية المطلقة للموجودات إنما هو في السلسلة العرضية دون السلسلة الطولية، لأن المسألة هناك مفروغ عنها كما سبق ويأتي، ولايخفى أن المختار لما اختار مقاماً من مقامات الوجود لم يخرج عن الصلاحية بل هو على صلاحيته المطلقة، إلا أنه اختار فرداً من تلك المقامات التي صالح لها ذلك تقدير العزيز العليم، لئلا يقول لو كان كذا لكان أحسن.

فلولا ثبوت الاختيار لجميع الخلق من الدرة إلى الذرة من الجوهر إلى العرض لكان مستلزماً للترجيح من دون مرجح، ولكان للخلق على الله حجة، مع أنه تعالى أجل من ذلك، فالأولى أن لايترك القادر العالم الغني المطلق الأولى، كيف وهو تعالى عاتب أنبياءه بترك الأولى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾(١).

فلما ثبت أنه تعالى لايترك الأولى ثبت أنه تعالى خلق الخلق كلهم ذا شعور وإدراك واختيار، وإلا لكان خلقهم عبثاً لما قدمنا أن الغاية والمقصود من إيجاد الخلق هي المعرفة والعبادة، ولاشك أن العبادة والمعرفة إنما تكونان بالتكليف من المكلف سبحانه، ولاشك أن التكليف إنما هو على الشاعر المختار الموجود وإلا لكان التكليف لغوا، فيكون الوجود والشعور والاختيار والتكليف متساوقة، هذا الذي ذكرنا دليل عقلي؛ لأن الدليل العقلي عبارة عما لولاه للزم محال، وأنت عرفت أنه لولا الاختيار لزم الترجيح من دون مرجح ولزم ترك الأولى وغيرهما.

وأما الدليل النقلي فكثير منها قوله تعالى للسماوات والأرض:

---

(١) البقرة ٤٤.

﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾(١) بصيغة الجمع المذكر العاقل(٢) ولم يقل طائعة إشارة إلى إدراكها وعقلها، وقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾(٣) بصيغة الجمع المذكر العاقل، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾(٤) ولم يقل ساجدات، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾(٥) والتسبيح فرع للشعور والإدراك ولايكون الا بالاختيار، وقوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾(٦) لأن النار شاعرة وإلا لكان الخطاب عليها لغوا، ولكان الأولى أن يقول إنا جعلنا النار برداً وسلاماً، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾(٨) وقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ

---

(١) فصلت ١١.

(٢) التعليقة ٢٦: أقول التكليف فرع الإدراك والسبب لا تكليف لمن لا إدراك له، ولو وقع فهو ظلم يقع من المكلف وحاش لله سبحانه أن يقع منه الظلم وهذا واضح في حكمة الشيخ القائمة على كلمات محمد وآله إذا للكائنات إدراك بحسبها، وهذا ما أثبتته الآية أعلاه حيث وردت بصيغة المذكر العاقل حيث نسبت لها العقل والإدراك حقيقة لا مجازا، وهناك آيات وآحاديث معصومية كثيرة في موضوع إدراك وتكليف غير الإنس والجن، فراجع ستجد بحرا عميقا في الموضوع. (من ثمرات الحكمة).

(٣) يس ٤٠.

(٤) يوسف ٤.

(٥) الإسراء ٤٤.

(٦) الأنبياء ٦٩.

(٧) الأحزاب ٧٢.

(٨) هود ٤٤.

ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[(١)] الآيات، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[(٢)] ولم يقل واردات، وفي الخبر أن اللات والعزى والجبت والطاغوت وهبل ويغوث ويعوق والغرانيق البيض تدخل النار، وكذا الشمس والقمر يؤخذ نورهما ويرمى بهما إلى النار، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ﴾[(٣)] لأنهما عبدا من دون الله ورضيا بذلك، بخلاف عيسى وعلي عليهما السلام لأنهما ما رضيا بذلك.

وأما الروايات الواردة في هذا الباب فما شاء الله منها أنه ورد عنهم عليهم السلام إن الله تعالى عرض تكليف ولايتنا على كل شيء فمن قبل وآمن صار مؤمناً طيباً، ومن أنكر صار خبيثاً كافراً.

وورد في الخبر أن الله عرض ولايتهم على الأنبياء والملائكة والناس والجن والماء والشجر والأرض والطيور والوحوش وسائر المخلوقات، فمن بادر إليها من الأنبياء كان من أولي العزم، ومن الملائكة صار من المقربين، ومن الثقلين كان من المؤمنين، ومن الأرض كان حلواً طيباً يخرج منه النبات والرياحين، ومن لم يقبلها كان أرضاً سبخة، ومن الشجر كان حلو الثمار، ولما قتل الناس الحسين عليه السلام ارتفع منها الثمار كما ارتفع بسببه كثير من بركات السماء والأرض، وأما العصفور من الطيور والجري من الحيتان فكانا يحبان فلاناً وفلاناً فمن ثم حرم لحم أحدهما واستحب ذبح الآخر.

وبالجملة ليس شيء من الموجودات الحادثة إلا وهو مخلوق لغاية وهي معرفة الله بآياته، والمعرفة متوقفة على الشعور والإدراك

---

(١) النمل ١٨.

(٢) الأنبياء ٩٨.

(٣) الرحمن ٥.

والاختيار لانتفاء الإجبار في حق الحق تعالى، وذلك الاختيار نفس حقيقة الشيء كما أن الإدراك كذلك وإلا كان خلقه تعالى ناقصاً ويلزم الطفرة، أيضاً لو قيل أن الإدراك ليس عين حقيقة الشيء فلما كان هو تعالى كاملا مقتضى الكمال إيجاد الكامل، ولاشك أن المختار أكمل من غيره، وغيره ليس إلا المضطر لفقدان الواسطة بينهما، وجب أن يكون خلقه مختاراً مطلقاً سواء كان بسيطاً أو مركباً، ذواتاً أو أعراضاً، صفاتاً أو حقيقة، لفظاً أو معنى، أو غير ذلك مما يسمى باسم شيء، لأن الدليل العقلي لا يخصص بشيء دون شيء، فافهم.

بقي شيء وهو أن الحادث حين حدوثه بخطاب كن، إن كان شيئاً يلزم إيجاد الموجود وهو تحصيل الحاصل، وإن كان معدوما يلزم توجيه الخطاب على المعدوم وهو ظاهر البطلان.

فإن قلت: إن المخاطب هو الأعيان الثابتة كما قيل.

قلنا: هل الأعيان قديمة أو حادثة أو لا قديمة ولا حادثة.

الأول باطل لأدلة التوحيد، والثالث كالأول في البطلان لعدم الواسطة بين الممكن والواجب، ولقوله عليه السلام: (حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما).

وأما الثاني فيقول لو كان الخطاب قبل وجود الحادث يكون الخطاب إلى المعدوم، ولو كان بعد وجوده يكون لغواً إذ الموجود لا يحتاج إلى خطاب إيجادي، بل التحقيق في المقام عند أولي الأفهام، هو أنه قد برهن في محله أن المشتق يحتاج في تحققه إلى المبدأ كما هو الحق المشهور، وإلا للزم صدق كل مشتق على كل مشتق كصدق القاعد على القائم مثلاً، فالتالي باطل والمقدم مثله.

فإذا تمهدت هذه المقدمة نقول: إن المخاطب ـ بكسر الطاء ـ والمخاطب ـ بفتحها ـ مشتقان من الخطاب حين الخطاب لا قبل ولا

بعد، فعلى هذا فبالخطاب يوجد المخاطب ـ بالفتح ـ حين الخطاب كالمخاطب ـ بالكسر ـ ، ألا ترى أن زيد الضارب وعمرو المضروب يصدق الضاربية لزيد حين صدوره عنه ووقوعه على عمرو، فكون زيد ضاربا وعمرو مضروباً حين صدور الضرب، لأن الضارب والمضروب مشتقان من الضرب عند صدور الضرب في ذلك.

الآن إذا علمت ذلك علمت بطلان قول من ذهب إلى أن المخاطب يجب أن يكون موجوداً قبل الخطاب تفصياً[(١)] على لزوم الخطاب على المعدوم، ولذا قالوا أن قوله تعالى: (خلق السماوات والأرض) ليست مفعولاً به وإنما هي بدل المفعول المطلق مقدر، تقديره خلق خلقاً السماوات والأرض، وقالوا لولا هذا التقدير يلزم أن تكون السماوات موجودة قبل وجودها وخلقها.

وأما نحن فنجيب عن ذلك بأن المفعول به من تعينات المفعول المطلق نظرا إلى قاعدة إمكان الأشرف، وعلى أن الطفرة باطلة، لأن المفعول المطلق أشرف من المفاعيل كلها لوقوعه تأكيداً للفعل، كما في قولك ضربت ضرباً، ولأن المطلق مطلقاً أشرف من المقيد، ولاشك في تقييد المفاعيل، فإذا كان الأمر كذلك ننقل الكلام إلى المفعول المطلق، فنقول: إن المفعول المطلق مفعول وإن كان مطلقا، وكل مفعول لابد أن يوجد حين تعلق الفعل به وإلا لكان موجوداً قبل الإيجاد وقبل تعلق الفعل به وذلك باطل.

فان قلت: إن المفعول إنما يوجد بعد تعلق الفعل.

قلنا: ما المراد بالبعدية، فإن كان المراد البعدية الزمانية التي تستلزم وجود الفاصل بين الفعل والمفعول فلا نسلم ذلك، لأنه يستلزم

(١) تفصى الشيء أي بلغ الغاية في البحث عنه، وتفصى الشيء يعني استقصاه.. وتفصى يعني تخلص.

تخلف المعلول عن العلة التامة، ثم إن الفاصل المفروض أي شيء هو؟ لا يسعك أن تقول أنه فعل لوحدة الفعل، ولا يسعك أن تقول أنه مفعول وإلا لننقل الكلام إليه، مع أنا قد أثبتنا أن الواسطة بين الفعل والمفعول محال، لأن الواسطة إما فعل أو مفعول ولا ثالث والكل باطل، فثبت وتحقق أن المشتق ليس له وجود إلا حين وجود مبدئه على التساوق والمعية كما هو المشاهد في ضرب زيد عمروا، لأن زيداً الضارب وعمرواً المضروب إنما هما يتحققان حين صدور الضرب لا قبل ولا بعد فافهم.

وإن كان المراد بالبعدية في الرتبة فصحيح، لأن المفعول وإن كان مساوقا مع الفعل إلا أن رتبته دون رتبة الفعل.

فلما ظهر معنى التساوق بين الخطاب والمخاطب نقول إن ها هنا مسألة شريفة لم يعثر عليها من الحكماء أحد، وهي أن كل شيء خلقه الله بنفسه وأقامه بنفسه وأمسكه بظله، لأن الأشياء أثر للمشيئة والمشيئة خلقت بنفسها، فيجب أن يكون أثر المشية كذلك حتى يدل عليها ويكون أثرا لها، وإلا يكون بينهما ـ أي بين المشيئة وأثره ـ تباين كلي، وتكون البينونة بينونة عزلة، مع أن الأثر كما برهنا سابقاً يشابه صفة مؤثره ولأجل هذا أحدثه مؤثره، فلما ثبت أن الأثر دليل على المؤثر بما المؤثر عليه، بحيث لا فرق بينهما إلا أن أحدهما أثر والآخر مؤثر، ثبت أن الأثر مخلوق بنفسه متقوم بظله وحقيقته بالله، يعني لا يحتاج إلى أسباب وشرائط خارجة عن حقيقته كالمشيئة، ولذا قلنا أن المفعول فاعل لفعل الفاعل، ألا ترى أن الفاعل في كن هو ضمير المخاطب وهذا معنى أوجده بنفسه وأقامه بظله، فافهم الدقيقة بسر الحقيقة.

فإذا علمت هذا اعلم أن قولنا أن الترجح بلا مرجح واجب حتى لايلزم الترجيح من دون مرجح، معناه هذا الذي قلنا أن المفعول فاعل

لفعل الفاعل، لأنه لولا الترجيح أي الاختيار من نفس الشيء فيما يريد للزم الترجيح من دون مرجح، إذ المرجح إن كان هو الذات سبحانه أو إرادته يلزم الجبر وهو باطل، فلما بطل الترجيح بلا مرجح ثبت الترجح بلا مرجح، والترجح من نفس المفعول وهو اختياره ما شاء لما شاء كما شاء.

وبعبارة أخرى: إن النزاع والتشاجر في هذه المسألة إنما هو بعد وقوع الاختلاف في الأشياء، فبعض ذهب إلى أن الاختلاف راجع إلى الفاعل تعالى، لأنه تعالى يفعل مايشاء ويحكم ما يريد، وبعض ذهب إلى أن الاختلاف راجع إلى القابل.

فعلى الأول يلزم الترجيح من دون مرجح، لأن المرجح إن كان هو الفاعل بحيث يجعل طائفة من أهل النار وأخرى من أهل الجنة ثم يعاقبهم ويعاتبهم ويبعث الرسل وينزل الكتب وتعين لهم قوانين وآدابا في أحكامهم الفرعية والأصل يلزم العبث، لأن المخلوق للمعصية والمخلوق للطاعة لا يصلح كل واحد منهما إلا لما خلق لأجله، فعلى هذا بعث الأنبياء يكون عبثا، ثم عقابهم وعذابهم لماذا، وهذا ظاهر البطلان لمن كان من نوع الإنسان.

وإن كان الاختلاف راجعاً إلى القابل ثبت الترجح من دون مرجح وهذا يتصور على قسمين.

أحدهما: إن الترجح من دون فاعل هو الله تعالى فهذا باطل.

وثانيهما: إنه ـ أي الترجح ـ به سبحانه بخطابه (كن فيكون) فصحيح، لأن فاعل (كن) ضمير المخاطب، وضمير (فيكون) راجع إلى الشيء، فالشيء هو الفاعل وهو القابل بإرادة الله سبحانه.

وقولي هو الفاعل أي في الترجح والاختيار.

## [شرح السلسلة الطولية]

فلما فرغنا من مسألة الاختيار أردنا ذكر السلسلة الثمانية في اختلافها بقبولها إجمالاً فنقول:

إنه تعالى لما أوجد الخلق الأول بنفسه وكان كاملا ذا نور وشعاع، صار نوره حقيقة أخرى وهي أيضاً كاملة ذات نور وشعاع، صار نورها حقيقة أخرى وهكذا إلى آخر السلسلة وهي ثمانية.

الأول: الحقيقة المحمدية الأربعة عشر عليهم السلام.

الثاني: حقيقة الأنبياء.

الثالث الإنسان من الرعايا.

الرابع الجن.

الخامس الملك.

السادس: الحيوان.

السابع: النبات.

الثامن: الجماد وهذا آخر السلسلة.

وبعبارة أخرى: أنه تعالى حيث كان كاملا وجب أن يكون له نور وأثر، ونوره حيث كان أثره تعالى وجب أن يكون كاملا، فوجب أن يكون لنوره تعالى نور وهكذا إلى آخر السلسلة، ولا يخفى أن كل واحد من الثمانية سابقه علة في لاحقه وهكذا... إلخ.

كما أن المنير علة تامة لنوره، والفرق بين العلل هو أن العلة الأولى علة العلل بالنسبة إلى الجميع كما يأتي بيانه، وهذا الاختلاف اختلاف لا يسأل عنه ولايتكلم فيه، لأنه لو قيل إن الموجد لماذا لم يجعل النور منيراً؟

قلنا: إنه لو كان النور منيراً للزم أن يكون منيراً بلا نور فيستلزم هذا النقض في الفاعل سبحانه، لما قلنا أن أثر الكامل كامل، وقلنا

أن الكامل لا يكون كاملاً إلا إذا كان له نور وإلا يكون ناقصاً، ونقص الأثر دليل على نقص المؤثر.

فوجب مما بينا أن يكون للخلق الأول نور، هذا مع أنا قد قلنا إن النور أيضاً له نور، فيكون النور بالنسبة إلى نوره منيراً، فصار النور نوراً ومنيراً، أما كونه نوراً فبالنسبة إلى منيره وعلته، وأما منيرا فبالنسبة إلى نوره ومعلوله، ذلك تقدير العزيز العليم.

وبالجملة هذا الاختلاف أي اختلاف النور والمنير والأثر والمؤثر لا يسأل عنه لما قلنا، ولأن الأثر ليس له وجود إلا أنه دليل على مؤثره، فلا يلحظ له جهة غير جهته حتى يسأل عن البينونة، فليس في الحقيقة بينهما أي بين الأثر والمؤثر اختلاف، لاضمحلال الأثر عند المؤثر، وإنما الاختلاف بين أفراد الآثار، وها هنا محل الكلام ومزال الأقدام، لأن الأفراد جمعتهم حقيقة واحدة بخلاف الأثر والمؤثر، لأن الأثر ليس في رتبة المؤثر ولا من حقيقته، وإلا لكان المؤثر أثراً والأثر مؤثراً وهذا خلف.

فإذا جر الكلام إلى هذا المقام ناسب لنا ذكر المراتب الثمانية التي في الإنسان، بل وفي كل شيء، وهي: الفؤاد، والعقل، والروح، والنفس، والطبيعة، والمادة، والمثال، والجسم، وهذه المراتب الثمانية هي نسخة جميع العوالم وأنموذجها، وهي الصورة الإنسانية التي أكبر حجة لله وهي الكتاب الذي كتبه بيمينه، قال عليه السلام:

أتـزعـم أنـك جـرم صـغـيـر
وفـيـك انـطـوى الـعـالـم الأكـبـر
وأنـت الـكـتـاب الـمـبـيـن
الـذي بـأحـرفـه يـظـهـر الـمـضـمـر(١)

(١) التفسير الصافي، ج١ ص٩٢ تفسير سورة البقرة.

وهذه الثمانية ترتبها وتنزلها على سبيل القشر واللب لا على سبيل الشعاع والمنير، لأن الشعاع والمنير ليسا من حقيقة واحدة، وأن التنزل باطل هناك، بخلاف ما إذا كانت المراتب من حقيقة واحدة لأن التنزل له مجال هناك.

فنقول: إن الفؤاد تنزل بفعله الذاتي المتصل فصار عقلاً، فالعقل بالنسبة إلى الفؤاد قشر والفؤاد لبه، ثم تنزل العقل بفعله الذاتي المتصل، أو قل بأثره المتصل فصار نفسا، فالنفس قشر للعقل وصورته والعقل لبها ومعناها، والصورة من المعنى أثره المتصل فيه بحيث يقال أنها هو وهو هي، إلا أن المعنى ذائب والصورة جامدة، والفرق بينهما كالفرق بين الماء والثلج، وهكذا تنزل إلى أن صار جسما، فالجسم هو العقل إلا في الذوبان، فهذه المراتب المترتبة المتنزلة هي تطورات الشيء الواحد بفعله الذاتي، وهو شئونه بأثره المتصل، كالمراتب من اللوز من الدهن والثفل ثم القشر الغليظ، وهذا الترتب في هذه المراتب المتنزلة يسمى بالسلسلة الطولية العرضية، أما أنها طولية فلأجل ملاحظة الترتب بين المراتب، وأما أنها عرضية فلأجل ملاحظة أنها من حقيقة واحدة، وهذه المراتب الثمانية قد نسميها بالحجب الثمانية يجب للعارف حين توجهه إلى ربه إلقاءها وعدم ملاحظتها، كما سيأتي في بيان معنى الأسفار.

فلما تحقق ما سطرنا نقول: إن هذه المراتب الثمانية بأعلى مقاماتها الذي هو الفؤاد وباب المراد وآية لرب العباد كلها مخلوقة من فاضل نور جسد الخلق الأول وهو محمد وآله صلى الله عليهم أجمعين، وذلك الخلق جسده مولاتنا فاطمة ﴿عليها السلام﴾، لأن الجسد عبارة عن آخر مراتب الشيء، وهي ﴿عليها السلام﴾ في الرتبة والإجابة بعدهم ﴿عليهم السلام﴾، والشيء لا يظهر منه أثر إلا بعد تماميته، فتماميتهم ﴿عليهم السلام﴾ في رتبة جسدهم الذي هو فاطمة ﴿عليها السلام﴾، فتكون جميع مراتب الموجودات من

حقيقة الأنبياء عليهم السلام إلى مرتبة الجماد من فاضل نور جسدها عليهم السلام، ولولا ذلك لزم المحال على الله المتعال.

لأنا قد أثبتنا بالأدلة القاطعة أن محمدا وآله هم الخلق الأول، وأقوى الأدلة على ذلك هو ضرورة المسلمين، ومن بعدهم عليهم السلام فلا يخلو إما أنه من شعاع ذلك الخلق الأول عليهم السلام أو في رتبتهم ودرجتهم أو أقل منهم، ولكنه ليس من شعاعهم، وأما الثالث فباطل لأن من دونهم لو كان موجوداً من دون وساطتهم عليهم السلام في الإيجاد والإفاضة لكان الخلق الأول ناقصاً، ونقصانهم دليل نقص الفاعل تعالى وعجزه ـ تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً ـ ، وكذلك الثاني لما قلنا أنه يلزم نقصان الخلق الأول، فتعين القسم الأول وهو أن يكون من دونهم عليهم السلام شعاعا لهم عليهم السلام.

## [عجز الخلق عن معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام]

فإذا تحقق ذلك فاعلم أن الشعاع لا يدرك المنير إلا بما ظهر للشعاع به وإلا لكان الشعاع منيراً، لأن الإدراك بالشيء بذاته لا يتصور إلا بإحاطة المدرك لذلك الشيء، وهذا إنما يكون فيما إذا كان المدرك والمدرك من حقيقة واحدة، والمفروض ها هنا أن الشعاع والمنير ليسا من حقيقة واحدة فلا يدركه عليه السلام أحد أبداً، لأنه هو المنير للعالم، وإلى هذا أشار مولانا الرضا عليه السلام كما في الكافي والأمالي ومعاني الأخبار وعيون الأخبار في حديث طويل في علامة الإمام عليه السلام إلى أن قال عليه السلام: (الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وحسرت العيون وتصاغرت العظماء

وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألباء وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله فأقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف له أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقام مقامه ويغني غناه لا كيف وأنى وهو بحيت [بحيث] النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين فأين الاختيار من هذا وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا)(١).

وأما نائب الإمام عليه السلام وبابه العام هل له ما للإمام؟ احتمالان أقواهما له ماله عليه السلام وإلا لم يكن نائباً له عليه السلام على الحقيقة بجميع جهاته في جميع المقامات، ويستلزم نقصان النائب القائم مقامه عليه السلام نقصان الأصل الذي هو المنوب عنه، فلما ثبت كمال المنوب عنه ثبت كمال النائب، فله النيابة في التكوين والتشريع بأمر بين أمرين كما في المنوب عنه لعموم قوله تعالى: (اطعني اجعلك مثلي أنا اقول للشيء كن فيكون وانت تقول للشيء كن فيكون).

اللهم ارزقنا زيارته، واجعلنا من اتباعه وانصاره بمحمد وآله الطاهرين.

ومما يدل على أن الإمام عليه السلام لا يوصف لأحد كما ينبغي(٢) ولا

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج١؛ ص٢١٩.

(٢) التعليقة ٢٧: أقول: الحديث عن صفة الإمام ووصف فوق قدرة عقولنا المحدودة لأن المعصوم عليه السلام في غاية الكمال في كل شيء، فهو حجة الله ولا يجب أن يكون ناقصاً تحت أي ملاحظة، أو سيكون للناس على الله الحجة وسينفرون من قبحه أو جهله، أو أي نقص آخر، فلن ترى عين جمالاً وكمالاً كجمال المعصوم عليه السلام، فيوسف يخجل من جمال علي عليه السلام فقد [حدثنا أحمد عن الحسين بن راشد عن موسى بن القسم عن علي بن جعفر عن أخيه قال قال أبو عبد الله ان الله خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا، فجعلنا=

=خزانه في سماواته وأرضه ولولانا ما عرف الله]. (بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار ـ ص١٢٥). وكما يجب الجمال في صورة المعصوم كذلك يجب الجمال في ذات المعصوم، فهم من هبوا الجمال والصور، فكيف لا يحصلوا عليها والأحاديث في حسن صورهم وكمالهم واعتدالهم كثيرة منها: عن [محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم: أن الله عز وجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علما لخلقه، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب إلى السماء، ولا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى، ومعميات السنن، ومشبهات الفتن، فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم، ويرضي بهم لخلقه ويرتضيهم، كل ما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً، علماً بيناً، وهادياً نيراً، وإماماً قيماً، وحجة عالماً، أئمة من الله، يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد وتستهل بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التلاد، جعلهم الله حياة للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للاسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها. فالامام هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المترجى، اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذر حين ذرأه، وفي البرية حين برأه، ظلا قبل خلق نسمة عن يمين عرشه، محبوا بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقية من آدم عليه السلام وخيرة من ذرية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل مرعيا بعين الله، يحفظه ويكلؤه بستره، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث كل فاسق، مصروفا عنه قوارف السوء، مبرءاً من العاهات، محجوبا عن الآفات، معصوماً من الزلات، مصونا عن الفواحش كلها، معروفا بالحلم والبر في=

يدرك كما هو قوله عليه السلام كما في الاحتجاج للطوسي قال أنه سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١) الآية، قال: ما هي تلك الأبحر السبعة.

---

=يفاعه، منسوبا إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسندا إليه أمر والده، صامتا عن المنطق في حياته. فإذا انقضت مدة والده، إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى محبته، وبلغ منتهى مدة والده عليه السلام فمضى وصار أمر الله إليه من بعده، وقلده دينه، وجعله الحجة على عباده، وقيمه في بلاده، وأيده بروحه، وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سره، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصبه علما لخلقه، وجعله حجة على أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيم على عباده، رضي الله به إماما لهم، استودعه سره، واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنور الساطع، والشفاء النافع، بالحق الأبلج، والبيان اللائح من كل مخرج، على طريق المنهج، الذي مضى عليه الصادقون من آبائه عليهم السلام، فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي، ولا يجحده إلا غوي، ولا يصد عنه إلا جري على الله جل وعلا]. (الكافي - الشيخ الكليني - ج١ - ص٢٠٣ - ٢٠٥). ويقول الشيخ الأوحد الأحسائي في شرح الزيارة: (فاقتضى المزاج الأعدل النطق والأنسانية التي هي صراط الله والعلم والحلم والعقل والحياء وجميع الصفات الكاملة التي هي ظل التوحيد ومقتضي التجريد فكان هذا الاعتدال في مزاجهم عليهم السلام لشدة كمال الحل والعقد الإلهيين بحرارة العناية الأولية ورطوبة الماء الأولي الراجح الوجود قد بلغ بلطافة المادة وجمال الصورة إلى حد كانت قلوب شيعتهم من شعاعه وفاضله فنور قلوب الشيعة من شعاع أجسامهم عليهم السلام كشعاع الشمس من الشمس وهو واحد من سبعين وما سمعت من هذه الأوصاف العظيمة لاتحصى قلوب شيعتهم ولاتقع على حقيقتها ولا على حقيقة تكرمة الله سبحانه لها) [ج١ ص٣٦٠]. فنلاحظ أن المعصوم عليه السلام الإنسان الكامل بالمطلق حتى في ذهنية الإنسان بليد الذهن، فتدبر(من ثمرات الحكمة).

(١) لقمان ٢٧.

قال عليه السلام: هي عين الكبريت، وعين اليمين، وعين أبرهوت، وعين الطبرية، وجمة ماسيدان، وجمة أفريقية، وعين ناجروان، ونحن الكلمات التي لا يدرك فضلنا ولا يستقصى)(١) انتهى.

أقول: إن السبعة إشارة إلى تمام كليات مراتب الوجود من الغيب والشهود، وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: (والله ما وصل إليكم من فضائلنا إلا ألف غير معطوفة)(٢).

أقول: معناه أن المعنى إنما يحصل من الكلمة، والكلمة تحصل

---

(١) ورد في الرواية أنه سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ ما هي؟ فقال: (هي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ماسيدان، وحمة إفريقية، وعين باجوران، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلها ولا تستقصى) بحار الأنوار، ج٤ ص١٥١ ب ٦.

(٢) في هذا المعنى جاء في الكافي ج١؛ ص٢٩٧عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله عليه السلام فقال له كامل جعلت فداك حديث رواه فلان فقال اذكره فقال حدثني أن النبي صحدث عليا عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب فقال لقد كان ذلك قلت جعلت فداك فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم فقال يا كامل باب أو بابان فقلت له جعلت فداك فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان قال فقال وما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلا ألفا غير معطوفة.

وفي مختصر البصائر؛ ص١٨٨ عن كامل التمار، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم، فقال لي: «يا كامل اجعلوا لنا ربا نئوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم».

قال: فقلت: نجعل لكم ربا تئوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ قال: فاستوى جالسا، فقال: «ما عسى أن تقولوا، والله ما خرج إليكم من علمنا إلا ألفا غير معطوفة.

من الحروف، والحروف تحصل من انعطافات الألف، فعلى هذا إذا لم تنعطف الألف لم تحصل الحروف، وإذا لم تحصل الحروف لم تحصل الكلمة، وإذا لم تحصل الكلمة لم يحصل المعنى، فيكون معنى قوله عليه السلام (والله ما وصل إليكم إلا ألف غير معطوفة)، أنه ما وصل إليكم شيء من المعنى قط.

فإن قلت: إن هذا الكلام لا معنى له لأن الأحاديث ما شاء الله عند العلماء والرواة عرفوا معناها وتأويلها وباطنها وباطن باطنها.

قلنا: إن الذي عرفوا ويعرفون إلى يوم القيامة من فضلهم عليهم السلام ليس إلا ألف غير معطوفة، لأن ما بينوها عليهم السلام للشيعة على قدر مقامهم وحسب قابليتهم لا غير، وإلا للزم التكليف بما لا يطاق، فكل ما يدركه المدركون ويصفه الواصفون في رتبتهم وتحت إدراكهم، لأن الشيء لا يتجاوز حده (إنما تحد الأدوات أنفسها)، مثاله أن القصعة المملوءة من الماء إذا سألت عنها وقلت لها أخبريني عن البحر وعظمه لا يسعها هذا قط، إذ ما عندها من البحر أنموذج، فلو ادعت معرفة البحر لكانت كاذبة، كذلك الممكنات بأسرها لو اجتمعت في وصفهم عليهم السلام لم يمكنها إلا بما لديها مما هو ظاهر فيها.

مثال آخر: الكتابة لأنها لا تعرف الكاتب حقيقته بوجه من الوجوه فلا تعلم أنه إنسي أو جني عربي أو عجمي، ذكر أو أنثى، صغير أو كبير، عالم أو جاهل، عوام أو خواص وهكذا، وإنما علمها بالكاتب على حسب ما ظهر لها بها، كما أن الألف يعرف من الكاتب ظهوره لها بالاستقامة، والباء يعرفه بالانبساط، والجيم يعرفه بالاعوجاج وهكذا، وهذه المعرفة تنتهي إلى ظهورات فعل الكاتب، أي ظهورات حركات يد الكاتب، فالألف مثلاً تحكي هيئة حركة يد الكاتب ولا تعرف إلا تلك الهيئة، وأما الحركة فلا تعرفها فضلا عن الكاتب وحقيقته، سبحان النبأ العظيم والباب الكريم الذي بيده ملكوت كل

شيء وإليه يرجعون (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود).

## [بيان معنى أن الإمام عليه السلام علة للخلق]

فلما وصل الكلام إلى هذا المقام وجب لنا ذكر علية الإمام بالنسبة إلى جميع الأنام بالدليل الإجمالي ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي على بينة، فنقول قبل الشروع في المقصود:

إنه ثبت بالضرورة أن الحادث ينتهي إلى ظهور الذات عند التعلق لا إلى الذات من حيث هي هي، ولا إلى الظهور من حيث هو هو، لأنه لو انتهى إلى الذات من حيث هي هي يلزم الاقتران، والمسلمون اتفقوا كلهم أن الأكوان الأربعة من علائم الحدوث، ولا ريب أن الفاعل مقترن بالمفعول والعلة مقترنة بالمعلول، ولو انتهى إلى الظهور من حيث هو هو للزم التعطيل المحال على القادر المتعال، وذلك لا يجوز عليه بحال من الأحوال.

فالحق أن الحادث ينتهي إلى ظهور الذات وفعله وإرادته، ومن هنا أنت إذا توجهت إلى الذات ـ ذاتك ـ تذهل عن جميع آثارك وشئوناتك، فلو كانت الذات بذاتها مبدء لها لكان للآثار ظهور عند الذات.

نعم؛ لما كنت ناظراً متوجهاً إلى ظهور خاص تلتفت إلى ذلك الظهور الذي هو الأثر، مثلاً إذا قلت قائم توجهت إلى القيام، وهكذا قاعد وآكل وشارب، بخلاف ما إذا قلت زيد لأنك حينئذ ذاهل عن هذه الآثار والأسماء كلها.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن الأشياء كلها ظهور للذات بأفعال خاصة وظهورات حادثة، كالقائم لأنه ظهور الذات بالقيام لا بالذات وإلا لكانت تنتفي الذات عند انتفائه، وأيضاً لو كانت الذات من حيث هي

مبدء لها أي للآثار لتغيرت الذات بتغير آثارها وتنفعل عنها، ولا شك أن الذات لا تتغير ولا تنفعل اتفاقاً من جميع المسلمين، وأيضاً نقول أن أسماءه تعالى توقيفية إجماعاً، فلا يجوز لأحد أن يسميه تعالى باسم لم يسم لنفسه تعالى كما قال الرضا عليه السلام لسليمان المروزي: (ليس لك أن تسمه بما لم يسم به نفسه).

فإذا ثبت ذلك نقول: إن العلة ليس اسما له تعالى لذاته فلا يجوز أن يدعى به، ولذا قال عليه السلام في الدعاء المعروف بعديلة: (وكان عليماً قبل إيجاد العلم والعلة)(١)، وقال عليه السلام في الخطبة: (علة ما صنع صنعه)، وقال عليه السلام في جواب الأعرابي لما سأله عن النفس إلى أن قال: (العقل جوهر بسيط دارك محيط بالأشياء بجميع جهاتها، عارف بالشيء قبل كونه، وهو علة الموجودات ونهاية المطالب)(٢)، فالعلة اسم للحوادث المخلوقة دون الذات.

نعم؛ قد يطلق عليه تعالى باعتبار ظهوره بالعلية، لأنه لو قلنا أن ذاته علة لا يخلو إما أنه علة ناقصة أو علة تامة، والأول باطل لا يحتاج إلى البرهان، والثاني أيضاً باطل وإلا يكون موجبا، لأنه قد تحقق أن العلة التامة يستحيل انفكاك المعلول عنه فيكون المعلول معه تعالى وذلك يستلزم الإيجاب، ويلزم أن تكون الأشياء من لوازم الذات لما قلنا من وجوب عدم التخلف كما قلنا في طلوع الشمس ووجود النهار، فيلزم اقترانه تعالى بالأشياء الحادثة أولا، وكونه تعالى محلا للحوادث ثانياً، لأن الملزوم محل للازم، وكون اللازم مندرجا في الملزوم، والكل باطل.

---

(١) مفاتيح الجنان، ص١٢٨ دعاء العديلة.

(٢) العقل والجهل في الكتاب والسنة، ص٢١.

والحق أنه تعالى أوجد الأشياء بإرادته، مختارا مخترعا لا من شيء[١]، وإلا يلزم اجتماع النقيضين لو قلنا أنه أوجدها لا من شيء، ويلزم قدم المادة لو قلنا أنه أوجدها من شيء، فلا تكون المادة الأولية وجوداً ولا عدماً، وإنما تكون مخترعة، فيكون هو تعالى موجداً وعلة عند الاختراع لا قبل ذلك، كما يكون زيد كاتباً عند إحداث الكتابة.

وبعبارة أخرى نقول: إن الذات البحت البات ليس لها اسم ولا يعبر عنها بالضرورة، فلا يطلق عليها اسم إلا لأجل ظهورها، فالاسم اسم لظهور الذات، بناء على هذا يستحيل أن يقال ذاته تعالى علة فاعلية للمفعولات، لافتقار تحقق المشتق بوجود المبدأ كافتقار كاتب بوجود الكتابة، يعني لولا الكتابة لم يسم زيد كاتبا، وكذلك الفاعل لا يشتق ولا يتحقق إلا بعد وجود المبدأ الذي هو الفعل، لأن الفاعل إنما يقال بعد صدور الفعل؛ يعني أنه تعالى لا يتصف بالفاعلية إلا بالفعل كما مثلنا بالكتابة، ولا شك أن الفاعلية متأخرة عن رتبة الفاعل كما أن الكاتبية متأخرة في الرتبة عن الكاتب، ولو قيل أن الكاتب عين ذات زيد لزم:

أولاً: تغير الذات من حيث هي هي.

وثانياً: انعدام الذات بانعدام وصف كاتب.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان) [الكافي ج١ ص١٥٥] وعن مولانا الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداعا بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعلة فلا يصح الابتداع) [الكافي، ج١ ص١٠٥ باب النهي عن الجسم والصورة].

وثالثاً: لا يمكن سلبه أي سلب كاتب عن الذات وإلا لزم سلب الذات.

ورابعاً: تكون الذات كاتبا أبداً.

وخامساً: يكون الذات لابسة جميع المشتقات في آن واحد من دون تدريج، وهذا بديهي البطلان بالمشاهده والعيان.

واعلم أن الفعل مبدأ اشتقاق اسم الفاعل، فالفاعل قائم بالفعل قيام تحقق وركن، لأن المشتق هو المبدأ المنضم به القيد الخارجي لكنه موجود به، لأن المشتق على التحقيق مركب من المبدء وأثره، كالقائم فإنه مركب من فعل وهو القيام ومن أثره وهو ما يترتب عليه القيام، والقائم صفة زيد ومقام من مقاماته، والقائم هو الذات الظاهرة بالقيام، فيكون القائم مركباً من هذه الذات الظاهرة ومن القيام.

فإذا عرفت ذلك علمت أنه تعالى فاعل بفعله عند وجود فعله لا في ذاته ولا يلزم تعطيل، لأن الذات هو الفاعل لا غير ولا مؤثر في الوجود إلا الله، ولكنه فاعل في رتبة الفعل، ولا شك أن فاعل اسم له تعالى والاسم حادث، ورتبة الحادث دون رتبة الذات، نعم الموصوف بالفاعلية هو تعالى في رتبة الفعل، لأن الفاعل صفة من الصفات الفعلية فلا يجوز أن يكون مجتمعاً مع الذات في رتبة الذات ولا متحدا معه، وإلا لزم أن يكون مقترناً بالحادث فيكون حادثاً، أو يكون قديماً حينماً يكون حادثاً وحادثاً حينما يكون قديماً، فلزم اتحاد الفقر والغناء وهذا ظاهر الفساد، إذا أردت انكشافه انظر إلى الصورة المرآتية لأنك ترى أنها غير مجتمعة مع المقابل في رتبة واحدة، وإذا توجهت إلى المقابل بالصورة لا تلتفت إلى خصوص الصورة وإنما تلتفت إلى المقابل، وهو قول مولانا الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: (إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكثرة الأنوار وهداية

الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة في الاعتماد عليها)[١] الدعاء.

فإذا عرفت المثال علمت حقيقة الحال في معرفة الفاعل الذي هو من صفات الأفعال، لأنك حين التفاتك إلى الفاعل لا تلتفت إلى الفاعل من حيث هو هو، وإنما تلتفت إلى المتصف بالفاعل وهو الذات تعالى شأنه (الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد)[٢] لأن الالتفات إلى الفاعل من حيث أنه هو تعطيل، والالتفات إلى الذات تعالى من حيث هي هي تشبيه، والالتفات إلى الذات من حيث ظهوره بالفاعلية في رتبة الفعل فذاك توحيد، فافهم راشدا وأشرب صافياً.

## [إثبات حدوث المشيئة]

فلما ثبت أن العلة والفاعل هو من الصفات الفعلية المقترنة بالمفعولات، وثبت أن الفعل مبدأ للفاعل، وثبت أن المبدأ أوجده الله مخترعاً لا من شيء إجمالاً، أردنا أن نذكر دليلاً على إثبات المبدأ في كونه مخترعاً.

فنقول: مادة المبدأ وصورته خلقتا بأنفسهما وإلا لزم التسلسل المحال، لأنه لو فرض أنه مخلوق من مادة غير نفسه لا يخلو من أن تلك المادة تكون حادثة أو تكون قديمة، والثاني لا يخلو إما أن تكون تلك المادة القديمة هي الذات الأزل تعالى أو قديم آخر غيره تعالى، فإن كان الأول لزم حدوث الذات للاقتران والربط، وإن كان الثاني لزم تعدد القدماء وقد ثبت بطلان ذلك في أدلة التوحيد، وإن كان

(١) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام.

(٢) الكلمات المكنونة، ص٥٣ كلمة فيها إشارة إلى معنى التوحيد الوجودي.

حادثا فننقل الكلام إليه، فإن كانت مخلوقة بنفسها ثبت المدعى، وإن كانت محتاجة إلى مادة أخرى فننقل الكلام إليها إلى أن يتسلسل، فيلزم من التسلسل أن لا يوجد شيء أبداً، وأنت ترى عيانا أن الأشياء موجودة، فعلمنا من وجود الأشياء الحادثة أن السلسلة منتهية إلى نفسها موجودة مادتها وصورتها بنفسها.

وأما الاتصال أي اتصال تلك المادة المخترعة بنفسها بذاته تعالى فمحال، كما أن الانفصال عنه تعالى محال كما سبق، فثبت أن مادة الحادث وصورته مخترعتان لا من شيء، ولا يلزم تقدم الشيء على نفسه ولا توقفه عليه، لأنا قد قلنا أنه تعالى أوجده بلا تقدم ولا تأخر ولا توقف، كما أن الناوي يوجد النية بنفس النية لا بنية أخرى، فافهم المثال تكن من أهل الحال وتجنب عن القيل والقال فإنه دأب الجهال الذين شأنهم الإعراض دون الإقبال.

ثم اعلم أن المبدأ الذي تكلمنا فيه أنه مخترع بنفسه وإلا لتسلسل هو فعله تعالى وإرادته، وهي حادثة على مذهب أهل البيت عليهم السلام وهو قول الصادق عليه السلام كما في التوحيد: (إن المشية والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل شائياً مريداً فليس بموحد)(١)، وهي التي قامت الحادثات بها، قال علي عليه السلام: (وكل شيء سواك قام بأمرك)(٢)، وأمره تعالى إرادته وهي العلة التامة للموجودات أي لإيجادها، قال عليه السلام (علة ما صنع صنعه وهو لا علة له)(٣)، والصنع

(١) عن سليمان بن جعفر الجعفري قال: قال الرضا عليه السلام (المشيئة والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله عز وجل لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد) التوحيد، ص٣٣٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٨٧ ص١٤٨، دعاء آخر ليوم السبت.

(٣) جزء من الخطبة اليتيمية لأمير المؤمنين عليه السلام.

هو الأمر قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١] وهو المشية التي قال عليه السلام: (خلق الأشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها)[٢].

وآية معرفة ذلك في أنفسنا النية لأنها محدثة بنفسها، وفي الآفاق كالحركة الإيجادية للأفاعيل لأنها بنفسها لا بحركة أخرى، قال عليه السلام لصفوان بن يحيى: (الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك بإصدار من الفعل، وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر)[٣] انتهى، وهذه الرواية صريحة المقالة واضحة الدلالة على حدوث الإرادة، ولو كانت من صفاته الذاتية التي هي عين الذات لما كانت حادثة ولا تقبل السلب أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[٤]، ونحن قد قررنا في محله أن الصفات الذاتية هي التي لا تقبل السلب بخلاف الصفات الفعلية، وبذلك نعرف الفرق بين هذين النوعين من الصفات، وأيضاً نعلم بحكم أن الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما هاهنا، أن الارادة ليست من الصفات التي هي عين الذات بما عندنا من آيتها وهي النية، لأنها لو كانت عين ذواتنا للزم عدم انفكاكها عن ذواتنا في حال من الأحوال، وهذا معلوم أن النية لا وجود لها معنا في ذاتنا، ثم إن النية لو كانت عين الذات لتغيرت الذات بتغيرها.

فإن قلت: إن الإرادة عين العلم الذاتي وقدرته الذاتية.

قلنا: لو كان كذلك لزم حدوث الذات عند التعلق بالمراد.

---

(١) يس ٨٢.

(٢) الكافي، ج١ ص١١٠، باب الإرادة وأنها من صفات الفعل.

(٣) الكافي، ج١ ص١٣١ ح٣، باب الإرادة وأنها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل.

(٤) المائدة ٤١.

إن قلت: إن الإرادة عين الذات وهي قديمة وأما بحسب التعلق حادثة.

قلنا: إنا قد ذكرنا قوله عليه السلام: (فمن زعم أن الله لم يزل شائياً مريداً فليس بموحد) يعني أنه مشرك، مع أن مولانا الرضا عليه السلام في احتجاجه على سليمان المروزي في إبطال كون الإرادة عين الذات قال: (يا سليمان لو كان إرادته عين علمه إذا علم الشيء فكان أراده، قال سليمان: أجل، قال [عليه السلام]: فإذا لم يرده لم يعلم، قال سليمان: أجل، قال: من أين قلت ذاك وما الدليل على أن إرادته علمه، وقد يعلم ما لا يريده أبداً وذلك قوله عز وجل: (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) فهو يعلم كيف يذهب به وهو لا يذهب أبدا)[1]. الحديث.

---

(١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج١؛ ص١٨٨ في حديث طويل
قال عليه السلام: فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها.
قال سليمان بل هو الإرادة.
قال الرضا عليه السلام: فالمريد عندكم مختلف إذ كان هو الإرادة.
قال: يا سيدي ليس الإرادة المريد.
قال: فالإرادة محدثة وإلا فمعه غيره افهم وزد في مسألتك.
قال سليمان: فإنها اسم من أسمائه.
قال الرضا عليه السلام: هل سمى نفسه بذلك.
قال سليمان: لا لم يسم به نفسه بذلك.
قال الرضا عليه السلام: فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه.
قال: قد وصف نفسه بأنه مريد.
قال الرضا عليه السلام: ليس صفته نفسه أنه مريد إخباراً عن أنه إرادة ولا إخباراً عن أن الإرادة اسم من أسمائه.
قال سليمان: لأن إرادته علمه.
قال الرضا عليه السلام: يا جاهل فإذا علم الشيء فقد أراده. =

ثم إن كانت المشيئة عين الذات كيف تتصف بالجزئية والكلية فإذا يلزم تركيب الذات، وكيف تكون ماضية وأمضى كما قال عليه السلام في دعاء السحر: (اللهم إني اسألك من مشيئتك بأمضاها وكل مشيئتك ماضية) فالذي له عرق من الإدراك وهو ذو ضرس قاطع في العلم يعلم أن المشيئة حادثة.

والقول بأنها من حيث الذات قديمة ومن حيث التعلق حادثة يثبت الجهة له تعالى، ويثبت له حالتين حالة أنه قديم وحالة أنه حادث، وذو الأحوال حادث، وهو تعالى لم يسبق له حال حالا ليكون له أولاً قبل أن يكون له آخر وليكون له آخرا قبل أن يكون له أولا، فهو هو بلا تغيير ولا تبديل لا خارجاً، ولا ذهناً، ولا فرضاً، ولا اعتباراً، ولا وهماً، ولا في الواقع، ولا في نفس الأمر.

## [دفع الإشكالات الواردة على القول بأن الإمام عليه السلام علة]

فلما ثبت أن المبدأ هو المشيئة وثبت أنه حادث، ثبت أن العلة التامة المقترنة بالمعلولات هي المشيئة.

فإن قلت: إن العلة التامة للمعلولات على مذهبك هو الإمام عليه السلام والآن تقول هو المشيئة.

---

= قال سليمان أجل.

فقال: فإذا لم يرده لم يعلمه.

قال سليمان: أجل.

قال: من أين قلت ذاك وما الدليل على أن إرادته علمه وقد يعلم ما لا يريده أبداً وذلك قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك فهو يعلم كيف يذهب به وهو لا يذهب به أبداً.

قلنا: إن الإمام عليه السلام محل المشيئة والحال والمحل في الحكم واحد.

وثانياً: إن المشيئة هو الأمر، قال عليه السلام: (ونحن أمره) كما في حديث جابر فيكون الإمام علة.

فإن قلت: إن التقول بهذا يستلزم الخروج عما علم من الدين ضرورة وذلك أن الله سبحانه هو الفاعل لاغير.

وثانياً: أنه يستلزم التعطيل المنفي عنه تعالى ضرورة.

وثانياً: يستلزم الشرك.

ورابعاً: يلزم منه الغلو المنهي.

وخامساً: يستلزم تأويل كثير من الآيات والروايات والأصل عدم التأويل.

وسادساً: استعانته تعالى بالأسباب وذلك ينافي الغنى المطلق.

قلنا أولاً: إن الضرورة قد قامت أن العالم عالم الأسباب كما يخلق الولد بوالده، وينبت الزرع بالماء، ويوجد النهار بالشمس، ويشبع الجائع بالأكل، ويكسى العريان باللباس وهكذا.

وثانياً: قد قامت الضرورة أن الربط والاقتران من صفات الحادثات وهو تعالى منزه أن يتصف بها.

وثالثاً: أنه تعالى لو لم يكن خلقه فاعلا لكان خلقه ناقصا، ونقصان خلقه دليل على نقصان خالقه، لما ثبت أنه تعالى خلقه آية له ودليلا عليه.

ورابعاً: إن الخلق ينسب إليهم الأفعال حقيقة بالضرورة، كما يقال أن زيداً فاعل الكتابة، وعمرو فاعل النجارة، وبكر فاعل التجارة وهكذا ولا يصح سلبها عنهم.

وخامساً: بالضرورة تعطيل خلقه عن الفعل وعجزهم عما يريدون

هو تعطيل الموجد تعالى، لأن الأثر كلما كان أكمل دلالته على مؤثره أقوى وأكثر ضعفه، وهو تعالى قادر مطلق لامانع لإرادته ولا راد لحكمه يفعل مايشاء ويحكم مايريد، وليس ذلك بغلو ضرورة أن خلقه تعالى إذا كان مقامه وقدرته بحيث يفعل مايشاء ويحكم ما يريد كان أحسن من أن ليس كذلك، حتى يقال لو كان كذا لكان أحسن، ولا يلزم الشراكة إذ المناط في الشراكة اتحاد الرتبة في الذات.

وسادساً: إذا قامت الضرورة بأن الذات لا تباشر الحادثات من حيث هي هي كانت الآيات والروايات مأولة إلى فعله تعالى، لما حققنا في الأصول أنه لا تعارض بين الضرورة والنقل وأن النقل تابع للضرورة ومأول إليه دون العكس.

هذا الذي ذكرنا إجمال أدلة الطرفين، ولكل شواهد وبراهين أيضاً من الآيات الظاهرة والروايات الباهرة على زعمهما، لكن كل واحد من الطرفين من الفرقتين خارج من الجادة المستقيمة والطريق العدل، مع أن أدلة الطرفين واردة متدافعة، ودفع التدافع بالذي نحن عليه وهو الطريق الأوسط الأقسط الذي عليه الأئمة الطاهرون.

وذلك أنا نقول ولا حول ولا قوة إلا بالله: إن الحق الذي لا يقربه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو أن الذات تعالى بفعله فاعل، وفعله فاعل بالله من دون فصل ولا وصل، لأن القول بأنه فاعل بذاته يستلزم الوصل ويستلزم الربط، أي ربط القديم بالحادث، والربط يستلزم الحدوث، والقول بالفصل يستلزم الاستقلال والشراكة والتفويض والاستغناء المحال للحادث، فعلى هذا إذا قلت الله فاعل معناه أنه بفعله فاعل، وإذا قلت فعله فاعل معناه أنه بالله فاعل، كالحديدة المحماة بالنار لأنها هي الفاعلة في تأثيرها بالنار والنار هي الفاعلة بالحديدة (الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد) فالذي يقول الفعل فاعل ويسكت جاهل مشرك

لأنه تقول بالتفويض والتعطيل، والذي قال أنه تعالى ذاته فاعل بذاته وسكت أو أنكر الأسباب كافر مردود لأنه قال بالربط المستلزم لاختلاف الحالات، المستلزمة للتركيب، المستلزم للحدوث، المستلزم للتشبيه.

وأما الذي قال إن الفاعل هو الله بفعله كما عرفت سابقاً أن زيداً هو الكاتب بفعل الكتابة، أو قال أن الفاعل فعله بالله فقد آمن بالله وبما أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعمل بما يرشده العقل المستنير إليه، وجمع بين الضرورتين فصار متأهلا لتأويل قوله تعالى: ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[1] أي لا جبرية ولا تفويضية، وهي شجرة التوحيد رزقنا الله وجميع الطالبين ثمرها آمين.

فعلى ما سطرنا إذا قلنا أن الصادر الأول والنور الأكمل هو الفاعل بالله في جميع من دونه من الذرات الوجودية الممكنة، وهو الولي المتصرف فيها بالله بأمره، وهو أمر الله بأمر بين أمرين من دون فصل ولا وصل كان صحيحاً حقاً، ونسبة جميع الذوات والصفات والأفعال والحقائق والموجودات إلى الإمام عليه السلام نسبة أفعالنا وآثارنا إلينا، لأن كلا منهما فاعل بأمر بين أمرين، وكلا على حد قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2]، إلا أن الفرق في الفعلين أي فعل الإمام عليه السلام وفعلنا بالعموم والخصوص، لأن متعلق فعله عليه السلام جميع العالم، ومتعلق أفعالنا ما يحيط عليه قدرتنا من القيام والقعود والتكلم والكتابة والخياطة وسائر الحرف والصنائع، وهذه الفاعلية بحكم (أطعني أجعلك مثلي)، وبحكم (ألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله)[3]، وقال عليه السلام في الزيارة: (إرادة الرب في مقادير

(١) النور ٣٥.
(٢) الأنفال ١٧.
(٣) غرر الحكم، ص٢٣١.

أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، والصادر عما فصل من أحكام العباد)[١]، ولا تخصص الأحكام بالأحكام الفرعية الشرعية، لأن العبرة على عموم اللفظ، فيشمل الأحكام التكوينية والتشريعية.

فإن قلت: إن التفويض في التشريع سائغ دون التكوين.

قلنا: إن التفويض في مذهب الشيعة باطل مطلقا سواء كان في التشريع أو في التكوين، لأنه عليه السلام: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وإنما يكون ما يعملونه بأمر بين أمرين، فإذا كان بأمر من الله يسوغ تصرفه عليه السلام في التكوين، أي يسوغ أن يكون واسطة في التكوين كما يكون واسطة في التشريع، كيف لا وإن الطفرة باطلة بالضرورة، فلا يجوز إيصال الفيض من الفياض تعالى بدون واسطة الصادر الأول صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون الصادر الأول هو مبدأ الفيوضات لجميع الحادثات، وإلا لزم أن يكون السافل واجدا ما يفقده العالي، فإذا ينقلب العالي سافلا والسافل عالياً، وقد قال عليه السلام كما في الزيارة الخارجة عن الناحية المقدسة: (فما منا شيء إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل)[٤] الزيارة، والنكرة إذا كان في سياق النفي يفيد العموم، ألا ترى أن النور القريب من السراج يستمد أولا من السراج ثم يستمد من ذلك النور القريب النور الأبعد ثم الأبعد فالأبعد إلى آخر نهايات النور، وهذا تقريب لإثبات الواسطة في التكوين.

ثم إنه لا فرق في المقام بين فاعليتك لآثارك من قيامك وقعودك

(١) الكافي، ج٤ ص٦٧٥.
(٢) النجم ٣ ـ ٤.
(٣) الأنبياء ٢٧.
(٤) المزار الكبير٥٦٨.

وكلامك إلى غير ذلك وبين فاعلية الإمام عليه السلام، فإن ضر الواسطة والفاعلية مطلقا كان ضرره في الجميع، وإن لم يضر مطلقا كان في الجميع، لأن من قال إني موجد الكلام ومحدث القعود والقيام يقول بأمر بين أمرين، والذي يقول إني واسطة الإيجاد في الأفعال والصفات والحقائق والذوات يقول بأمر بين أمرين، لأن الحادث مطلقا لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً، بل يعمل بالله، ويقول بالله، ويفعل بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واعلم أن الناس في هذه المسألة بين قائل بالإفراط والغلو، وبين قائل بالتفريط والقلو، وأما القائل بالاقتصاد فنحن، ومن قال بغير ما ذهبنا إليه فقد ضل وأضل الناس جميعاً فعليه جبرهم.

## [إثبات العلة الفاعلية لمحمد وآله الطاهرين]

فلما ثبت أن تحقق المشتق لا يكون إلا بالمبدأ، وثبت أن الفاعل لا يسمى فاعلاً إلا بصدور الفعل وحصوله كما أن الكاتب يسمى به بالكتابة، وثبت أن الفعل والفاعل المقترن بالمفعول من صفات الفعل، وثبت أن الفعل هو المشية، والمشية هو الأمر، والأمر هو الصادر الأول، والصادر الأول هو محمد وآله عليهم السلام، ثبت وتحقق أنهم هم المبدأ للكائنات، وهم الفاعلون للمفعولات بالله، ونسبة الفعل إلى السبب شائع مطرد كما في قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[(١)] لكنه لا كما يزعمون من التفويض والمجاز[(٢)]، بل إنما

---

(١) السجدة ١١.

(٢) التعليقة ٢٨: أقول أهل البيت علة فاعلية على نحو المجاز العقلي من باب إسناد الفعل إلى سببه أو مكانه، فهم السبب والمكان عليهم السلام، والفاعل على الحقيقة هو الله سبحانه بفعله أي مشيئته لا بذاته تنزهت عن ذلك، يقول=

هو على جهة الحقيقة من دون تفويض واستقلال، ولا يتوهم أن السبب حين كونه سبباً معزول عن المسبب، حاشا وكلا، وإنما السبب سبب إذا لم يكن معزول عن المسبب وإلا فليس بشيء، فالله من ورائه محيط وبيده ملكوت كل شيء وإليه راجعون، ومنه يستمدون وبه قائمون وله عابدون.

فإذا علمت ما زبرنا من معرفة الصادر الأول عليه السلام في كونه محلا للمشية، وأنه علة للمفاعيل بالله، وأنه مظهر للصفات الفعلية، يسهل عليك كثير من معضلات الأخبار ومشكلات الآثار، منها قوله عليه السلام في الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام: (السلام على مقلب الأحوال)، وقوله: (وسامع السر والنجوى، ومنزل المن والسلوى)، وقوله: (السلام على نفس الله القائمة فيه بالسنن)، وقوله: (ويده الباسطة بالنعم)، وقوله:

---

=الشيخ: [قلت: أنهم عليهم السلام العلة الفاعلية فمرادي أنهم محال مشيئة الله...إلخ] (إحقاق الحق، طبعة جامع الإمام الصادق، ص٣٢٦) ويقول أيضاً:[هو أمره الفعلي المسمى بالمشية والإرادة والإبداع فهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وإن شئت قلت فهو تعالى بهم يفعل ما يشاء لأن فعله متقوم بهما تقوم ظهور وهما تقوما بفعله تقوم تحقق فآية فعله تعالى بهما أي تقوم فعله بهما وتقومهما بفعله كالقائم والضارب بالنسبة إلى زيد ولله المثل الأعلى فإن القائم والضارب اسما فاعل القيام وفاعل الضرب وليسا اسما لذات زيد ولا يحملان على ذات زيد الا مجازا والمجاز هو الصراط فهما بالله العلة الفاعلية لأنهما محلا فعله الحاملان له] (شرح العرشية، ج٣ص٤٦). ويقول أيضاً:[ووجه اطمئنان القلب به سكونه إلى ما ثبت عنهم من معنى أن كل واحد منهم عليهم السلام علة تامة لوجود العالم في صدوره وفي بقائه فهو بالله علة فاعلية وهم بأمره يعملون] (شرح الزيارة، ج٣ص٧١). ويقول الميرزا موسى الإحقاقي رحمه الله: [وهي محل ووعاء مشيته ولسان إرادته كما في الأخبار والزيارات صح أن يطلق عليها العلة الفاعلية مجازا، والعلاقة المصححة هي علاقة الحال والمحل] (مصدر سابق، إحقاق الحق، ص٣٢٦). (من ثمرات الحكمة).

(وأشهد أنك مجازي الخلق وشافع الرزق)، وقوله: (فالخير منك وإليك)[١] إلى غير ذلك من فقرات الزيارات والأدعية والروايات وكذلك الآيات، ومعرفة هذه المسألة هي الحكمة التي من يؤت بها فقد أوتي خيراً كثيراً، قال عليه السلام كما في الكافي وتفسير علي بن إبراهيم في تفسير الحكمة: (إن الحكمة هي معرفة الإمام عليه السلام)[٢]، فلا تغفل

---

(١) نورد هنا الزيارة كاملة لما فيها من المعاني العظيمة ففي بحار الأنوار ج٩٧؛ ص٣٣٠ زيارة صفوان الجمال لأمير المؤمنين عليه السلام السلام عليك يا أبا الأئمة ومعدن الوحي والنبوة والمخصوص بالأخوة السلام على يعسوب الدين والإيمان وكلمة الرحمن وكهف الأنام السلام على ميزان الأعمال ومقلب الأحوال وسيف ذي الجلال السلام على صالح المؤمنين ووارث علم النبيين والحاكم يوم الدين السلام على شجرة التقوى وسامع السر والنجوى ومنزل المن والسلوى السلام على حجة الله البالغة ونعمته السابغة ونقمته الدامغة السلام على إسرائيل الأمة وباب الرحمة وأبي الأئمة ـ السلام على صراط الله الواضح والنجم اللائح والإمام الناصح والزناد القادح السلام على وجه الله الذي من آمن به أمن السلام على نفس الله تعالى القائمة فيه بالسنن وعينه التي من عرفها يطمئن السلام على أذن الله الواعية في الأمم ويده الباسطة بالنعم وجنبه الذي من فرط فيه ندم أشهد أنك مجازي الخلق وشافع الرزق والحاكم بالحق بعثك الله علما لعباده فوفيت بمراده وجاهدت في الله حق جهاده فصلى الله عليكم وجعل أفئدة من الناس تهوي إليكم فالخير منك وإليك عبدك الزائر لحرمك اللائذ بكرمك الشاكر لنعمك قد هرب إليك من ذنوبه ورجاك لكشف كروبه فأنت ساتر عيوبه فكن لي إلى الله سبيلا ومن النار مقيلا ولما أرجو فيك كفيلا أنجو نجاة من وصل حبله بحبلك وسلك بك إلى الله سبيلا فأنت سامع الدعاء وولي الجزاء علينا منك السلام وأنت السيد الكريم والإمام العظيم فكن بنا رحيما يا أمير المؤمنين ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(٢) جاء بهذا المعنى أحاديث منها ما في تفسير القمي ص٥٠٥ الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن محمد عن بكر بن صالح عن جعفر بن يحيى عن علي بن القصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت جعلت فداك قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال أوتي معرفة إمام زمانه. =

تكن من الخاسرين الذين جحدوا به فكانوا من الظالمين الذين قال عليه السلام في الزيارة الجامعة فيهم: (من جحدكم كافر) لأن الكفر بالله هو الكفر بهم[١]، لما حققنا أنه تعالى يعرف بهم، وهم الآيات البينات، والعلامات الباهرات، كنور الشمس بالنسبة إليها، فمن أنكر نور الشمس وأثرها فقد أنكر الشمس، وهم عليهم السلام أعظم الآثار وأعلى الآيات وأكبرها قال عليه السلام: (أي آية أكبر مني، وأي نبأ أعظم مني)[٢] فهم الأدلاء على الله والدعاة إليه[٣]، (من أراد الله بدأ بكم، ومن

---

= وفي المحاسن ص١٤٨ أبي عن النضر عن الحلبي عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فقال هي طاعة الله ومعرفة الإمام.

وفي تفسير العياشي ج١ ص١٥١ عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً قال معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار.

(١) عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا حذيفة حجة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشك فيه شك في الله، والإلحاد فيه إلحاد في الله، والإنكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله) أمالي الصدوق، ص٢٦٤.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ليس لله آية أكبر مني ولا نبأ أعظم مني) بصائر الدرجات، ص٩٧.

(٣) من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير حيث وصف الرسول الأعظم وآله الطاهرين عليهم صوات رب العالمين بقوله: (وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمرا وناهيا عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه؛ إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظن ـ [في بعض النسخ «الظنن» وفي بعضها «الظنون»] ـ في الأسرار لا إله إلا هو الملك الجبار قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوتيته واختصه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريته) إلى أن=

وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم)، وهم أركان التوحيد (من عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله)، وهم أصل كل شيء ومعدنه ومأواه وفرعه ومنتهاه، وهم الأول والآخر والظاهر والباطن، وهم وجه الله الذي لا يفقده مكان ولا يعدمه زمان ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(١)، وهم العلامات والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان(٢)، فهم الاسم اسم الله الرضي (من عبد الاسم دون المعنى فقد

---

=يقول عليه السلام: (وإن الله تعالى اختص لنفسه بعد نبيه صلى الله عليه وآله من بريته خاصة علاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته وجعلهم الدعاة بالحق إليه والأدلاء بالإرشاد عليه لقرن قرن وزمن زمن، أنشأهم في القدم قبل كل مذروء ومبروء أنوارا أنطقها بتحميده، وألهمها شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كل معترف له بملكة الربوبية وسلطان العبودية، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات، بخوعا له فإنه فاطر الأرضين والسماوات، وأشهدهم خلقه، وولاهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجم مشيته وألسن إرادته) مصباح المتهجد ص٥٢٤. بحار الأنوار ج٩٤ ص١١٣ح٨.

(١) البقرة ١١٥.

(٢) روى الشيخ الطوسي رضوان الله عليه في مصباح المتهجد نص هذا التوقيع، وقد نقله عنه السيد ابن طاووس في الإقبال فقال: ومن الدعوات في كل يوم من رجب ما رويناه أيضاً عن جدي أبي جعفر الطوسي رضي الله عنه، فقال: أخبرني جماعة عن ابن عياش قال: مما خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدسة، ما حدثني به خير بن عبد الله، قال: كتبته من التوقيع الخارج إليه:
بسم الله الرحمن الرحيم. أدع في كل يوم من أيام رجب:
اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك. أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركانا لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك=

كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الاسم عليه فذاك التوحيد)(١) كما ورد في الكافي عنه عليه السلام.

## [بيان أن أهل البيت عليهم السلام هم العلة المادية، والصورية، والغائية]

فلما عرفت العلة الفاعلية فاستمع لما يتلى عليك من العلل الثلاثة التي هي المادية والصورية والغائية.

فنقول: إنه لا شك ولا ريب أن الحوادث كل واحد منها مركب من مادة وصورة، فالمادة هي المعبر عنها بالوجود ووجه الرب في الشيء، والصورة هي المعبر عنها بالماهية ووجه النفس من الشيء، وهذا هو قول الحكماء الأوائل حيث قالوا كل ممكن زوج تركيبي(٢)، وهو قول مولانا الرضا عليه السلام (إن الله لم يخلق شيئاً فردا قائما بذاته

---

=وعودها إليك، أعضاد وأشهاد، ومناة وأذواد، وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت، فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك أن تصلي على محمد وآل محمد...إلخ) مصباح المتهجد، ص٨٠٣ في أدعية شهر رجب. إقبال الأعمال، ج٣ ص٢١٤. بحار الأنوار، ج٥٩ ص٣٩٢ الدعاء الذي خرج من الناحية المقدسة.

(١) جاء في الكافي ج١؛ ص٨٧ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من عبد الله بالتوهم فقد كفر ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً وفي حديث آخر أولئك هم المؤمنون حقا.

كما جاءت جملة من الروايات كلها بهذا المعنى.

(٢) راجع الأسفار للملا صدرا رحمه الله ج٢ ص١٨٦ الفصل العاشر، وكذلك شرح العرشية للشيخ الأوحد رحمه الله ج١ ص٥٩.

للذي أراد من الدلالة عليه)[١]، ولا ريب أن الرجل إذا التفت إلى نفسه يجد عيانا أن له جهتين، جهة يلتفت بها ويتوجه إلى بارئه وموجده بلا جهة، وهو في هذه الحالة ينسى نفسه بالمرة، ولا ريب أن هاتين الجهتين مخلوقتان وإلا يلزم تعدد القدماء، ولم يكن الحادث حادثا إذا بل يكون قديماً، وما قيل بأن مادة الأشياء هو الله تعالى كالماء بالنسبة إلى الثلج، أو كالموجة بالنسبة إلى البحر، أو كالنقوش بالنسبة إلى المداد، باطل لاستلزام حدوث الذات وتركيبها وتشبيهها وتحديدها واقترانها بالقيود الخلقية وهذا ظاهر البطلان مما سبق ومما عليه المذهب والدين من شريعة سيد المرسلين عليهم سلام الله أبد الآبدين، فلما بطل أن تكون المادة والصورة قديمتين ثبت أنهما حادثتان لفقدان الواسطة.

فإذا كان الأمر كذلك نقول هل هما حادثتان بأنفسهما أو بغيرهما، يعني ليس لهما واسطة في الإيجاد كالصادر الأول أو يكون، ولا شك في وجود الواسطة لما قدمنا، وإلا يلزم النقص في الصادر الأول المستلزم للنقص في الله تبارك وتعالى.

فتكون مادة الحادث الذي من دون الصادر الأول من نور الصادر الأول وظهوره كما هو ظاهر في الشاخص والمرآة، لأن مادة الصورة في المرآة من ظهور الشاخص لا من ذاته، وأما صورة الصورة فهي أيضاً علتها هو الشاخص، لأن الصورة إن حكت الشاخص على ما هو عليه في الاستقامة والاعتدال والصقالة والهيئة كان الشاخص علة لها وأصلا لوجودها، وإن خالفت الشاخص فيما هو عليه كان الشاخص علة لمخالفتها لأنه به يعرف الحاكي عن غيره، فالشاخص هو الميزان

(١) في التوحيد (للصدوق)؛ ص٤٣٩ ولم يخلق شيئاً فردا قائما بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده.

لمن خالفه ولمن حكاه، فهو العلة لحسن الصورة وقبحها وهو قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾(١)، فالسور هو رسول الله ﷺ في التأويل، وبابه علي عليه السلام باطنه، أي باطن الباب فيه الرحمة أي من جهة موافقته ومتابعته، وظاهره من قبله العذاب أي من جهة مخالفته وعدم امتثال أمره عذاب، وهو قوله في الزيارة (السلام على نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجار).

وبالجملة فالمادة ـ أي مادة ـ من دونهم من نورهم أو من نور نورهم وهكذا، والصورة أي صورة الإجابة أي إجابة ولايتهم حين عرض التكليف على الموجودات منهم، فمن آمن بهم وأقر لهم وخضع لديهم صار حسن الصورة طيبا طاهرا، ومن أنكرهم وجحد وعتى ظلما وعدوانا وخالفهم حسداً وغيظاً صار قبيحاً خبيثاً نتن الرائحة، فهم عليهم السلام علة الوجود من الغيب والشهود(٢).

وأما العلة الغائية فلأنهم عليهم السلام حيث خلق الخلق بهم ومنهم خلق لأجلهم، لأن إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم، وهم الحاكمون يوم الدين ومجازوا الخلق أجمعين بالله، لأن الطريق إلى ذات الله القديمة مسدود والطلب إليه مردود، فينتهي المخلوق إلى مثله ويلجأه الطلب إلى شكله.

---

(١) الحديد ١٣.

(٢) التعليقة ٢٩: أقول في بيان كونهم علة جميع العوالم أن ولايتهم عرضت على كل الموجودات، ومن ناحية أخرى لهم عليهم السلام الأسبقية في الوجود فبالتالي طبقتهم علة للطبقات بعدها باعتبار السابق علة للاحق، والموجودات منها غيبية ومنها شهودية، والغيب هو ما غاب عن حواسنا لا أكثر وهذا قصد المؤلف وإلا كلها في حيز الوجود، وما دخل في حيز التكوين كان نورهم علة له باعتبار قانون العلية الحاكم بكون السابق علة للاحق، فتدبر. (من ثمرات الحكمة).

والحاصل هم العلل الأربعة للمعلولات، وإن المخلوقات قائمون بهم قيام صدور كنور الشمس بالشمس، وهم اسم الله الذي به خلق العرش والكرسي وبه خلق الشمس والقمر واللوح والقلم وخلق به جبلات الخلاق أجمعين، كما في الدعاء على ما وراه ابن طاووس في مهج الدعوات: (فبهم فتح الله الوجود وبهم يختم فلولاهم لما كان ما كان)، وبهم ظهرت الصفات الفعلية، وعنهم صدرت ومنهم تحققت وتأصلت، ألا تسمع قول مولاك أمير المؤمنين عليه السلام كما في الاحتجاج للطبرسي يقول: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وقوله وهو معكم أين ما كنتم وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه)[1]، وفي رواية وعد منه قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2]، فافهم إن كنت تفهم وإلا فاستفهم الله يفهمك فإنه مفتاح لكثير من الآيات المشكلة المعضلة، ولا تستنكف عن هذا إذا فهمته وعن غيره، لأنا قد برهنا بالبراهين الواضحة القطعية من العقيلة والنقلية بأن ما يدركه المدركون بجميع مشاعرهم ومداركهم كلها ليس إلا في رتبتهم أو في رتبة الحادث، لأن القديم تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار لعدم المناسبة، فيكون كلما تقول به أو تتصوره بأدق معانيه واقعا على الحقيقة الأولية، التي هي أول المصنوعات عليهم أفضل البركات، لما ثبت وتحقق أن ليس حادث في الوجود إلا تحت مقامهم ورتبتهم، سواء كان ذلك الحادث لفظاً أو معنى، ظاهراً أو باطناً، اسماً أو صفة، معلوماً أو مجهولاً أو غير ذلك.

نعم؛ إن المراد هو الله تعالى إذا كان المقصود من ذلك اللفظ أو المعنى هو الله، لأن المعبود هو هو تعالى، وإن كان ما ندركه لا يصل

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج؛ ج١؛ ص٢٥٠.
(٢) طه ٥.

إلى القديم إلا إلى ظهور فعله في الإمكان، لكن المقصود هو المعبود القديم جل وعلا.

وبالجملة كل ما يعبر في الحدوث راجع إلى الحدوث (رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك، انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله، والطريق مسدود، والطلب مردود)[١]، (دليله آياته، ووجوده إثباته)[٢]، فلا تسبقهم عليهم السلام معرفة أحد قط وإلا لكان من سبقت عليهم معرفته أعلى منهم وأولى، ولكان إذا على الله أن يجعل ذلك السابق هاديا لخلقه ونذيرا للعالمين، وإلا يلزم الترجيح من دون مرجح والتخصيص من دون مخصص، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، آتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين من العلوم والمقامات والقدرة والكمالات التي لا يطمع في إدراكها طامع، فضلا عن وجودها واتحاده معهم فيها.

## [قاعدة شريفة نافعة]

ثم اعلم بعدما ثبت بالضرورة وبالدين وبالعقل القاطع عند جميع المليين أن أشرف الموجودات هو الصادر الأول، قاعدة شريفة نافعة احفظها وكن بها ضنينا، وهي أن العالي لا يكون عاليا إلا أن يكون له

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (رجع معنى الوصف في الوصف وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الاستنباط، ودوام الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص إلى العجز، والبيان على الفقد، والجهد على اليأس، والبلاغ على القطع، فالسبيل مسدود، والطالب مردود) جزء من الخطبة المعروفة بالدرة اليتيمة، راجع كتاب ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، ص٣٨.

(٢) الاحتجاج، ج١ ص٢٩٩.

من المقام رتبة يفقدها السافل، ذلك وهذا بديهي وإلا لم يكن العالي عالياً ولا السافل سافلاً، وذلك كما ترى في النبات بالنسبة إلى الجماد، لأن النبات له مقامان أحدهما مقام اجتمع فيه مع الجماد، والآخر مقام تفرد به عن الجماد وهو القوة النباتية، وكذلك النبات بالنسبة إلى الحيوان، لأن الحيوان له مقامان، مقام اجتمع فيه مع النبات وهو القوة النباتية، والآخر مقام انفرد به عن النبات وذلك القوة الحيوانية، وكذلك الإنسان بالنسبة إلى الحيوان فيما اشترك معه في الحيوانية وما انفرد عنه في الإنسانية، فيكون الإنسان جامعاً لجميع المراتب السافلة من مرتبة الجماد ومرتبة النبات ومرتبة الحيوان ويشاركها بما عند كل ذي مقام من الكمالات الوجودية، وينفرد عنها بما اختص الإنسان به، ولذا صار عاليا واجدا مقاما يفقد غيره من أولي المقامات، فصار الإنسان بهذه الجامعية أشرف الخلق وأكملهم وصار مهيمنا على من دونه.

فلما تمهدت هذه القاعدة الشريفة نقول: قد ثبت بالأدلة الضرورية والبراهين البديهية أن محمد وآله عليهم السلام أشرف الخلق وأكمل الأناسي، حتى الملك المقرب والنبي المرسل، وثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث على كافة المخلوقات حتى النباتات والجمادات، حتى على الملائكة كلهم، منهم حملة العرش، أصغرهم لو أمر به ببلع السموات والأرضين ويبلع لكان كلها في لهوات أسنانه كالخردلة الصغيرة في فلاة قي، ومنهم ملك يحاسب جميع ذرات الوجود من عالم اللاهوت(١) والجبروت(٢)

---

(١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم اللاهوت: أعني الوجود الراجح؛ وقته السرمد) شرح العرشية، ج٣ ص٢٢٦.

(٢) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الجبروت؛ وهو عالم العقول، وهو عالم المعاني، والمراد بالمعاني: المعاني الاصطلاحية الخاصة، وهي المجردة عن المادة العنصرية والصورة المثالية، أعني المرتبطة بالمادة=

والملكوت(١) إلى عالم الملك عالم الزمان عالم الناسوت(٢)، بأنواعها وأجناسها وأفرادها وأصنافها وصفاتها وذواتها وجواهرها وأعراضها وكمها وكيفها وجهتها ورتبتها وزمانها ومكانها وحدودها وما لها وبها ومنها وعنها وفيها وعليها ولديها وعندها، من غيباتها وشهودياتها، وما يتجدد آنا فآنا مما يمحو ويثبت، ومنهم من في الكبر والقوة والإحاطة بحيث جميع العالم عالم الأجسام من العرش من محدبه إلى محدبه إلى أنملة سبابته، وفي رواية على كفه، وفي رواية على رأسه، وهكذا من عظيم مخلوقاته تعالى، في كل نوع من أنواعها من اللوح والقلم، والعرش والكرسي، والشمس والقمر، والنجوم والأفلاك، وكبرها وما في الخزائن الإمكانية والكونية من الدرة إلى الذرة، من مجرداتها ومادياتها، بسائطها ومركباتها، عنصرياتها ونورياتها، هذه كلها بجميع مقاماتها وكمالاتها وقدرتها وعظمها وهيئتها، تحت هيمنة محمد وآله مقهورة مضمحلة، وإلا لكان على الله بعث من هو أشرف منهم عليهم عليهم السلام حتى لا يلزم ترك الأولى، وترجيح المرجوح على الراجح، وتقديم المفضول على الفاضل.

---

=العنصرية والمدة الزمانية، لا التجرد المطلق) شرح الفوائد ج٢ ص١٥ الفائدة الخامسة.

(١) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الملكوت؛ والمراد به عالم النفوس، أعني الصور الجوهرية، وعالم الأرواح متردد بين العالمين، وبرزخ بين الاثنين الجبروت والملكوت، يستعمل مع كل منهما باعتبارين. وهذا العالم أهله جواهر مقدارية، أي: ذوات مجردة إلا عن الصورة، وصورها نفوس الصور المثالية المحسوسة) شرح الفوائد ج٢ ص٢٠ الفائدة الخامسة.

(٢) يقول الشيخ الأوحد قدس سره: (عالم الملك؛ أعني عالم الأجسام، وأعلاه محدد الجهات ومحدبه مساوق في الوجود للزمان والمكان) شرح الفوائد، ج٢ ص٢٠ الفائدة الخامسة.

فلما ثبت أنه ﷺ نذير للعالمين الذين الله ربهم وهاد لهم إلى طريق الرشد والصواب، وثبت أنه ﷺ أتى بالمعجزات الباهرات والدلائل الواضحات في إثبات نبوته لمن أراد من أمته، من جميع من خلقه الله وبرأه، ثبت أنه كان عاليا متعاليا، له مقام من العلم لا يدركه العالمون، وله قدرة وقوة لا يحتملها العالمون، وله تصرف في الكائنات عجز عنه الباقون، فذل لذلك المقام كل شيء له، وطأطأ وخضع له كل جبار عنيد، وبخع له كل متكبر طريد، وله رتبة يتفرد بها عن المخلوقات وهو قوله عليه السلام: (آتاكم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين)، فصار بذلك المقام عالياً على كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، يتصرف في الخلق على حسب ميولاتهم واستعداداتهم، ويمدهم بما جعله الله فيه من العطايا والفيوضات، وهو قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[(١)] ونعم ما قيل فيهم عليهم السلام:

وراحتا الدهر من فضفاض جودهم
مملوتان فما للفيض تعطيل

هذه كلها أعطاه الله سبحانه بإقباله إليه تعالى وخضوعه وخشوعه له، وإجابته أولا قبل الخلق بمائة ألف دهر، كل دهر مائة ألف سنة، كل سنة مائة ألف شهر، كل شهر مائة ألف جمعة، كل جمعة مائة ألف يوم، كل يوم كألف سنة من أيام الدنيا وأعوذ بالله من التحديد بالقليل، لأنه عليه السلام سبق الزمان وسبق الدهر فله رتبة السرمد في مقام الفعل لا أول له ولا آخر، وهو قوله عليه السلام في الكافي: (بريء عنه الأمكنة والحدود مبعد عنه الأقطار).

ولا ريب أنا ندرك ما ليس له أول ولا آخر ويعبر عنه، فإذا كان كذلك لا يمكن أن يكون هذا صفة الله الذاتية القديمة، نعم هي صفة

---

(١) الإسراء ٢٠.

الله الفعلية الحادثة، أحدثها آية له ودليلا عليه، صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له.

ثم إنه قد قرر عند الحكماء الأوائل أن ما ليس له آخر ليس له أول، وما له أول له آخر، وهذا كلام موجه ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[1]، ولا شك أن الجنة والآخرة لا آخر لها ضرورة، وأن فيض الله لا نفاد له كذلك، فما ليس لها آخر ليس لها أول، لأن السائرين في درجات الجنة إلى ما شاء الله إلى ما لا نهاية له، إنما يسيرون إلى ما منه بداوا بحيث لا نهاية لسيرهم كما سيأتي.

والحاصل أنه عليه السلام بلغ ما بلغ كما بلغ لما بلغ من تقدمه في الإجابة، فله من الكمال ما ليس لأحد، ولذلك شرفه الله على الخلق أجمعين، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم في جواب اليهودي، ورد أنه جاء يهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (يا محمد تزعم أنك رسول رب العالمين نظير موسى وسائر الأنبياء عليهم السلام المتقدمين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما قولي إني رسول الله فنعم، وأما أن أقول: إني نظير موسى وسائر الأنبياء ـ فما أقول هذا، وما كنت لأصغر ما قد عظمه الله تعالى من قدري، بل قال ربي: يا محمد إن فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين ـ كفضلي ـ وأنا رب العزة ـ على سائر الخلق أجمعين)[2].

---

(١) فصلت ٤٢.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ص٢٣٤.

# تنبيه شريف [١٠]

## [الدليل على وجود الإمام عجل الله فرجه الآن]

الدليل على وجود الإمام عليه السلام الآن هو أنا حيث أثبتنا أنه عليه السلام محل لمشية الله وإرادته، وهو مظهر للصفات الفعلية، وهو واسطة للفيوضات الإلهية من التشريعية والتكوينية، ونرى أن الأشياء تتجدد آنا فآنا، وتخلق وترزق وتموت، علمنا أن الإمام عليه السلام حي، لأن نسبة العالم إليه نسبة نور الشمس إلى الشمس، ولذا سمي الشيعة شيعة وهو قوله عليه السلام: (إن شيعتنا أشد اتصالاً بنا من اتصال نور الشمس بها)(١)، وإليه ناظر قوله عليه السلام كما في الزيارة الجامعة (وأشرقت الأرض بنوركم)(٢)، أي أشرقت أرض القابليات الإمكانية وانوجدت وتشيأت بكم، حيث كنتم محل مشية الله، وهو معنى ما ورد في الأخبار أنه ما استأهل خلق من خلق الله النظر إليه إلا بولايتهم عليهم السلام كما في

---

(١) نقل السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (وإنا لأشد اتصالا بالله من شعاع الشمس بالشمس، وإن شيعتنا لأشد اتصالا بنا من شعاع الشمس بالشمس) [تفسير آية الكرسي، ج٣ ص١٨٢]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد... وإن روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها) الكافي، ج٢ ص١٦٦ باب إخوة المؤمنين بعضهم لبعض ح٤.

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة.

الاختصاص للمفيد رحمه الله عن الصادق عليه السلام أنه قال لمفضل بن عمر: (إن الله تبارك وتعالى توحد بملكه فعرف عباده نفسه ثم فوض إليهم أمره وأباح لهم جنته فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والإنس عرفه ولايتنا ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا ثم قال يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام وما كلم الله موسى تكليماً إلا بولاية علي عليه السلام ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام ثم قال أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا)[١]. انتهى.

أي بالخضوع لهم، لأنهم عليهم السلام قالوا: **(لولانا ما عرف الله)**[٢]، **(لولانا ما عبد الله)**[٣]، لأنهم أركان توحيده وحملة أحكامه إلى الخلق، ومظهر صفاته وأسمائه، وحجته على كل مذروء ومبروء من الجمادات والنباتات والبهائم والإنسان والجن والملك، والأفلاك والنجوم والجبال والمياه، وكل ما أحدثه الله مما يسم باسم شيء، وهم حملة الفيوضات التكوينية والتشريعية إليهم، فلا شيء من المصنوعات مطلقا يعرف شيئاً إلا بتعليمهم ووساطتهم له، وما ترى من الآيات كقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٤]، وقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٥]، دليل على شعور الأشياء، وهذه الأشياء كلها يسبحون الله ويقدسونه بما عرفهم الحجة عليه السلام، لأنهم حملة كتاب الله وخزنة علمه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا ابن

---

(١) الإختصاص، ص٢٥٠.

(٢) البحار، ج٢٥ ص٤ ح٧.

(٣) الكافي، ج١ ص٢١٦ باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح ٥.

(٤) الإسراء ٤٤.

(٥) الحديد ١.

عباس لن تجد حقا في يد أحد إلا بتعليمي وتعليم علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾)، ولا تظن أن هناك شيئاً يصل إلى أحد من الخلق من غير وساطتهم، وهم ﴿عليهم السلام﴾ محيطون بجميع ما في الوجود، عالمون بكل ما في الغيب والشهود، كيف لا وإن الوجود كله والخلق بأسرهم مخلوقون من أنوار هياكلهم، أو من عكوسات أنوارهم، فعلى هذا يكون الخلق بمرأى منهم ومسمع، وإحاطتهم ﴿عليهم السلام﴾ بالأشياء كإحاطة الشمس بنورها أو إحاطة السراج بنوره وظله، ولا شك أن النور من السراج وظله حاضران عند السراج، علمه به علم إحاطة لا علم إخبار، فهم ﴿عليهم السلام﴾ يعلمون بما علمهم الله بما كان وما يكون لأنهم فوق الزمان، بل الزمان متقوم الوجود بهم ﴿عليهم السلام﴾، ولا شك أن المقوم محيط بالمتقوم.

ولا تظن أن هذه الصفة مختصة بالله بذاته، ولا تظن أنهم ﴿عليهم السلام﴾ ليس لهم مقام أعلى من هذا المقام، حاشا وكلا أن يكون مقامهم ﴿عليهم السلام﴾ منحصرا في هذا، بل إنما يكون هذا المقام أنزل مقاماتهم ﴿عليهم السلام﴾، بل هو ثابت لبعض شيعتهم ﴿عليهم السلام﴾، ومن هذه الجهة ورد أن العالم عند عزرائيل ﴿عليه السلام﴾ كالدرهم في كفه يقلبها كيف يشاء(١).

يا سادتي؛ كيف أصف حسن ثنائكم ولا أبلغ من المدح كنهكم، وأنتم وجه الله، وعين الله، ولسان الله، ويد الله، وقدرة الله، وأمر الله، من عرفكم فقد عرف الله، ومن جهلكم فقد جهل الله.

---

(١) عن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ قال: (قيل لملك الموت كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟ فقال: أدعوها فتجيبني، قال: فقال ملك الموت إن الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدي أحدكم يتناول منها ما شاء، والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف يشاء) من لا يحضره الفقيه، ج١ ص١٣٤.

## [تحقيق في علم الله تعالى وعلم أهل البيت عليهم السلام]

ولا تتوهم أنهم عليهم السلام ساووا الله في علمه، لأنا قلنا ونقول أن علمهم حادث علمهم الله عند إيجاد الموجودات، بخلاف علم الله لأنه تعالى علمه من نفسه من دون تعليم أحد وشتان بينهما.

ثم إن علمه تعالى الذاتي لا يعبر عنه، ولا يتصف بالإحاطة وعدمها، وإن كان هذا العلم الذي يحيط به بالأشياء هو علمه تعالى بالأشياء بنفس تلك الأشياء، لأنا قد برهنا أن العلم نفس المعلوم وإلا يلزم التسلسل المحال أو الدور الباطل.

وبيان ذلك أن القوم اختلفوا في هذه المسألة ـ مسألة العلم ـ فقال بعض منهم أن العلم غير المعلوم، وذهب آخرون إلى أن العلم عين المعلوم، ولكل دليل.

وأما نحن فنقول: إن العلم عين المعلوم مطلقا وإلا لزم التسلسل لو كان المعلوم معلوما بغيره، لأنا ننقل الكلام إلى ذلك الغير، فإن كان ذلك الغير معلوما بنفسه لا بغيره ثبت المدعى، وإلا فننقل الكلام إلى غيره إلى أن يتسلسل، أو لزم الدور لو قيل إن الغير معلوم بالأول وذلك باطل، فلما ثبت بطلان الدور والتسلسل، ثبت أن يكون العلم عين المعلوم.

ثم إن العلم على ما عرفه المحققون هو ظهور المعلوم للعالم، وظهور المعلوم نفسه، وإلا أي وإن لم يكن الظهور نفس المعلوم لكان المعلوم ظهوره لا نفسه وهذا خلف.

ثم أن العلم قد اشترط فيه مطابقته مع المعلوم، واقترانه به، ووقوعه عليه، فلو لم يطابق المعلوم لزم جهلا بالمعلوم، كما أن العلم بالأبيض نفس الأبيض على ما هو عليه، ولو فرض العلم

بالأبيض بغير صفة البياض لم يطابق العلم المعلوم ولم يقع عليه ولم يقترن به فيكون جهلاً.

مثال آخر، ولا ريب أن العلم بالطويل لا يكون إلا بالطويل أو بالطول وإلا لم يطابقه العلم ولم يقع عليه فيكون جهلا، وكذلك العلم بالمستدير لا يكون إلا بالاستدارة أو بالمستدير، ولو كان العلم بالمستدير على جهة الاستطالة لكان جهلا لعدم مطابقة العلم مع المعلوم وعدم وقوعه عليه.

والحاصل أن الشيء لا يعلم إلا بنفسه وهو العلم لا غير، ألا ترى أن الصورة الحاصلة هو العلم الذهني وهو المعلوم لا الخارجي، لأنه قد يكون مات ولا يعلم العالم منه شيئاً قط إلا على ما رآه من الصفة الخاصة له، فتلك الصفة المرئية علمه ومعلومه.

فإن قلت: إن علمه تعالى ليس نفس الأشياء بل علمه بها هو ذاته تعالى.

قلت: فإذن لا يطابق الأشياء علمه، لأن علمه على نحو الوحدة، والأشياء على نحو الكثرة، فيلزم أن يكون علمه تعالى على خلاف ما هي عليه، ويكون غير مطابق معها فيلزم جهله، ثم يلزم وقوع العلم ولا وقوعه بتجدد الأشياء آنا فآنا، فتختلف حالاته تعالى، ومختلف الأحوال حادث، أو يستلزم الارتباط بالأشياء والتعلق بها، والربط والتعلق من صفات الحادثات، هذا إذا كان المعلوم في الإمكان، وأما لو قيل أن الأشياء المعلومة معلومة للحق تعالى في ذاته قبل حدوثها كما ذهب إليه كثير من الحكماء، فلزم القول بكمون الأشياء فيه تعالى، وذلك يستلزم التكثر في الذات تعالى أولا، ويلزم أن يكون محلا للحوادث إن قيل بحدوث المعلومات وإلا لزم تعدد القدماء.

فإن قيل أن المعلومات هناك اعتبارية، قلنا إذن لا تكون معلوما للحق تعالى إن قصد بالاعتبار أمر معدوم ليس بشيء.

وأما ما قيل باتحاد العلم والعالم والمعلوم فباطل إن أراد بالمعلوم المعلوم الحادثي، وإن أراد بالمعلوم نفس الذات تعالى فصحيح لأن العالم والمعلوم هناك واحد بلا تعدد.

فالحق في المسألة هو أن علمه تعالى بالأشياء [هو] نفس حضورها عنده تعالى في الإمكان بعلمه الإشراقي الفعلي، يعلم كل شيء في زمانه ومكانه، وعلمه تعالى بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها، لأنه تعالى ليس له حالة منتظرة، ولا يكون علمه زمانيا، بل المضي والاستقبال عنده تعالى حاضر، فعلمه تعالى بالشيء نفس ذلك الشيء كما أن علمك بزيد هو حضوره عندك، وحضور زيد ليس غيره وإلا لم يكن زيد معلوم لك أبداً.

فإذا علمت ما سطرنا علمت بطلان من ذهب أن علمه تعالى بالأشياء هو ارتسام صور الأشياء في ذاته تعالى كما ذهب إليه أفلاطون ومن حذا حذوه، وبطلان قول من قال أن ذاته تعالى في رتبة ذاته مظهر لجميع صفاته وأسمائه كلها، وهي أيضاً مجلاه تعالى يرى بها، والقائل بهذا القول ملا صدرا.

لا يقال: أنا نقول أن العلم علمان علم حادث وعلم قديم وكلاهما علم الله تعالى فيلزم اختلاف الذات.

لأنا قلنا: إن العلم واحد وهو ذات الله تعالى، ولما أراد أن يعرف خلق الخلق لكي يعرف(١)، ولا شك أن المعرفة لا تتحقق إلا

---

(١) ورد في كتاب أسرار الإمامة للشيخ عماد الدين الطبرسي ـ من علماء القرن السابع الهجري ـ ص٣٥ ما هذا نصه: (اشتهر بين الرواة أن داود عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا إلهي لم خلقت العالم وما فيه؟ قال الحق تعالى: كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف) ولعل هذا من أقدم المصادر التي خرجت هذا الحديث الشريف، راجع كذلك شرح أصول الكافي، ج١ ص٢٥، رسائل الكركي، ج٣ ص١٥٩.

بالعلم، فجعل سبحانه حقيقة كل شيء علما دالا عليه، ولذا قال عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)(١)، وحقيقة الشيء ونفسه ظهوره تعالى به وهو مظهره تعالى، كما قال عليه السلام: (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك)، فالأشياء كلها هو ظهور الواجب تعالى بفعله وهي علمه، وإنما نسب تعالى هذا العلم إلى نفسه تشريفا كما نسب الكعبة إلى نفسه وقال إنها بيت الله.

والدليل على علمه الحادث كثير منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(٢) فلو كان هذا العلم المحاط هو العلم الذي لذاته تعالى لزم أن يحاط تعالى، وبالضرورة أنه تعالى لا يحاط لأحد من المخلوقين أبدا.

ومنها قوله عليه السلام في الدعاء: (اللهم إني أسألك من علمك بأنفذه وكل علمك نافذ اللهم إني أسألك بعلمك كله) فلو كان هذا العلم ذاته لزمه النافذية والأنفذية والكلية والجزئية.

ومنها قوله عليه السلام: (نحن علمه)، ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾(٣).

فإذا علمت ما بينا في معنى العلم علمت أن الحادث لا يساوي علم الله، كيف يساوي الفقر البحت مع الغناء المطلق.

فعلى هذا إذا قلنا أن الإمام عليه السلام يعلم ما كان وما يكون، نريد به أنه عليه السلام محيط بالأشياء، وأنها حاضرة عنده عليه السلام حضور النور عند المنير، كما أن آثارك من قيامك وقعودك وكلامك حاضرة لديك حرفا بحرف، فيكون الإمام عليه السلام الحجة على المخلوقات عالما بكل

(١) عوالي اللئالي ج٤ ص١٠٢. بحار الأنوار ج٢ ص٣٢ ب٩ ر٢٢.
(٢) البقرة ٢٥٥.
(٣) طه ٥١ ـ ٥٢.

المعلومات، وهو قوله عليه السلام تضجرا: (عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ـ ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم)(١).

فإن قلت: إن الغيب لا يعلمه إلا الله.

نقول: نعم؛ لا يعلمه إلا الله لكنه علمه رسوله، وعلم رسوله أولياءه، وهو قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(٢)، هذا إذا كان المراد من الغيب الغيب الكوني، وأما الغيب الإمكاني فلا يعلمونه إلا إذا أرادوا، فإذا أرادوا يعلمونه، وأما الغيب الذي إذا أريد به ذاته تعالى فلا يعلمه أحد إلا هو حتى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إن علومهم عليهم السلام تتجدد آنا فآنا بتجدد المصنوعات، وتزداد علومهم في ليالي القدر وليالي الجمع، ولذا قال عليه السلام: (لو لم نزدد لنفد ما عندنا).

وأنحاء علومهم كثيرة، منها أنهم يعلمون الأشياء من القرآن لأن فيه تبيان كل شيء، ومنها يعلمونها بنقر في القلوب ونكت في الآذان، ومنها بتعليم الملائكة من الله، ومنها بالرؤيا، ومنها بالإلهام، ومنها بما جعله الله في قلوبهم، ومنها يعلمون من اللوح المحفوظ، وأما

---

(١) الكافي؛ ج١؛ ص٢٦١.
(٢) الجن ٢١ ـ ٢٢.

البداء فلا يعلمونه(١)، ولذا قال عليه السلام (لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم

(١) التعليقة ٣٠: أما البداء فلا يعلمونه فهذا صحيح والسبب أن علمهم عليهم السلام حضوري فكلما حضر في ملك الله فيعلمونه وكلما لم يوجد لم يحضر لديهم فلا يعلمونه لأن حقيقة العلم الحضوري هو حضور مصداق المعلوم لدى العالم.. وهذا ما أكدت عليه رواياتهم عليهم السلام. أما بالعلم الحصولي الإخباري فيعلمونه قطعا لكونه مذكورا في الصحف الإلهية وفي اللوح المحفوظ وفي عالم الإمكان مشاء.. ولكن ليس كل ما في اللوح المحفوظ يوجد بنص القرآن الكريم: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾فعلى هذا الأساس تحدث الأمير عليه السلام في خطبته الشهيرة بقوله: (سلوني قبل أن تفقدوني). فلولا البداء لأخبر عليه السلام بكل شيء في الكتب الإلهية وفي اللوح المحفوظ، إذا نخلص إلى أن علمهم عليهم السلام نوعان:

١ ـ حضوري وهذا لا يعلمون به (علم البداء).

٢ ـ حصولي إخباري ويعلمون به كل شيء مذكور في اللوح المحفوظ والصحف الربانية كما في صريح الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

يقول الشيخ الأحسائي: [والعلم الذي هم خزانه العلم الحادث وهو علم موجود بالمعنى المتعارف وهو قوله تعالى ولايحيطون بشيء من علمه الا بما شاء يعني أن ما لم يشأ من علمه أن يعلموه لا يحيطون به وليس المراد بهذا العلم الذي لا يحيطون بشيء منه هو القديم الذي هو الذات ليكون المعنى ولا يحيطون بشيء من ذاته إلا بما شاء أن يحيطوا به منها وهذا معنى باطل بل المراد به شيئان أحدهما أن العلم الحادث الذي هو غير الذات منه ممكن مقدور غير مكون ومنه تكوين ومنه مكون فالممكن المقدور غير المكون هو الممكنات قبل أن تكسي حلة الوجود في جميع مراتب الوجود فهذه لم تكن مشاءة الا في أمكانها فهذا لا يحيطون بشيء منه إحاطة وجود ويحيطون به إحاطة إمكان لأنه إذ ذاك مشاء مشية إمكان والتكوين الممكن وهذا يحيطون به لأنه مشاء بنفسه وهم محال ذلك والمكون قسمان مكون مشروط ومكون منجز والمكون المشروط يحيطون به لأنه مشاء ولا يحيطون بالشرط الا بعد ان يكون مشاء والمكون المنجز يحيطون به ثم ما كانوا يحيطون به قسمان قسم=

بما كان وما يكون وهي آية (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)، وهذا العلم هو العلم الإمكاني الذي ما دخل في الكون، فإذا دخل يعلمونه حين وجوده، لأنهم عليهم السلام حجج الله على كل شيء، وكل شيء يسبح بحمد ربه، وكل شيء مكلف مختار ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن﴾[1]، وقال في آية أخرى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2] والنذير هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياؤه عليهم السلام.

والحاصل أن آل محمد عليهم السلام يعلمون كل شيء ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[3] أي في أمير المؤمنين عليه السلام كما هو المأثور، وفي الكافي

=كان وهم يحيطون به أنه كان ولا يحيطون به أنه مستمر أو منقطع إلا احاطة إخبار وقسم لم يكن فهم يحيطون به إحاطة إخبار أيضاً لا احاطة عيان فظهر لمن نظر وأبصر من هذا التفصيل أنهم عليهم السلام لايحيطون بشيء من علمه الذي هو غير ذاته إلا بما شاء أن يحيطوا به والذي شاء أن يحيطوا به ما سمعته في هذا التفصيل فافهم وثانيهما أن ما احاطوا به وعلموه لم يكونوا علموا شيئاً منه إلا بتعليم الله سبحانه ولم يكن تعليمه لهم أنه اعلمهم ورفع يده عنه فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى الله تعالى عن إمكان استغناء شيء عنه علوا كبيرا بل ما علموه إنما هو بتعليم الله لهم في لحظة بمعنى أنهم إذا علموا أن غدا تطلع الشمس إن شاء الله ما ملكوا من هذا العلم شيئاً إلا لحظة علمهم بذلك حين علموا لا قبلها ولا بعدها ولم يعلموا بعد تلك اللحظة ما علموه من أن الشمس تطلع غدا إن شاء الله إلا بتعليم جديد من الله تعالى كما هو حال المحتاج إلى الغني المطلق وذلك التعليم الدائم القائم حين يكون هو ما شاء الله وهو الذي يحيطون به وهو ما ملكوه من العلم فافهم فإنه دقيق لطيف رشيق والعلم الذي هم خزانه هو هذان الشيئان من العلم على نحو ما ذكرنا لا غير] [شرح الزيارة، ج١ص٥٢]. فتدبر رعاك الله (من ثمرات الحكمة).

(١) الأنعام ٣٨.

(٢) فاطر ٢٤.

(٣) يس ١٢.

عن عبدالأعلى وفي غيره أنهم سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون قال ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال علمت ذلك من كتاب الله عز وجل إن الله عز وجل يقول فيه تبيان كل شيء)(١). انتهى.

وعن عبدالأعلى أيضاً قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أعلم بكتاب الله، فيه بدؤ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر الأرض وخبر ما كان وما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إن الله يقول فيه تبيان كل شيء) انتهى.

وفي البصائر ومصباح الأنوار عن الصادق عليه السلام قال: (يا مفضل هل عرفت محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنه معرفتهم قلت يا سيدي وما كنه معرفتهم قال يا مفضل تعلم أنهم في طرف عن الخلائق بجنب الروضة الخضرة فمن عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمنا في السنام الأعلى قال قلت عرفني ذلك يا سيدي قال يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عز وجل وذرأه وبرأه وأنهم كلمة التقوى وخزناء السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار وعرفوا كم في السماء نجم وملك ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها وما تسقط من ورقة إلا علموها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو في علمهم وقد علموا ذلك فقلت يا سيدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت قال نعم يا مفضل نعم يا مكرم نعم يا محبور نعم يا طيب طبت وطابت لك الجنة ولكل مؤمن بها)(٢). انتهى.

---

(١) الكافي؛ ج١؛ ص٢٦١.

(٢) مصباح الأنوار (مخطوط) ٢٣٧، وعنه تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة؛ ص٤٧٨.

وقال أبوعبد الله عليه السلام: (إن الله خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزانه في سمائه وأرضه بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عبد الله ولو لا نحن ما عبد الله)[(١)]. انتهى.

وفي تأويل الآيات عن الكافي قال عليه السلام: (نحن رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء يقول الله تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء) انتهى.

والأحاديث كثيرة لا تحصى والإشارة كافية، وهذا النوع من الأخبار مطابق للمذهب.

وما ورد أنهم عليهم السلام لا يعلمون فمخالف للمذهب فيجب ردها إلى ما يطابق المذهب إن صح ذلك، وإلا فالعمل على ما وافق المذهب.

وإن شئت أن نذكر نوعا آخر من الأخبار ونشير إليه فاسمع لما يتلى، قال الصادق عليه السلام كما في كتاب أنيس السمراء عن مفضل بن عمر في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾[(٢)] قال عليه السلام: (هي والله ولايتنا)[(٣)]. انتهى.

وورد عنهم عليهم السلام أن الدابة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ

---

(١) الكافي؛ ج١؛ ص١٤٤.

(٢) الأعراف ٥١.

(٣) ورد مثل هذا المعنى في حديث الخيط الأصفر المروي عن جابر الجعفي عن إمامنا زين العابدين عليه السلام وهو حديث طويل وهو مروي في كتاب بحار الأنوار ج٢٦؛ ص١٣ إلى أن يقول عليه السلام فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون وهي والله آياتنا وهذه أحدها وهي والله ولايتنا.

أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[١] علي عليه السلام وأنه يقول إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[٢].

أقول: فعلى هذا يكون الأئمة عليهم السلام ذووا الآيات فافهم إن كنت تفهم وإلا فسلم تسلم.

وورد أيضاً أن ابن شهراشوب ذكر في كتابه أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من ذرية سام بن نوح فقال: إن أريتني جدي سام أسلم بأنك رسول الله، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام أن يصلي بين المنبر وقبر سام وأن يريه قبر سام ثم يريه سام، فلما رأى الرجل جده سام عرفه إلا أنه ذو لحية بيضاء، فسأله عليه السلام عن ذلك، فقال عليه السلام:

---

(١) النمل ٨٢.

(٢) في تفسير القمي؛ ج٢؛ ص١٣٠ عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملا ـ ووضع رأسه عليه فحركه برجله ـ ثم قال له: قم يا دابة الله فقال رجل من أصحابه يا رسول الله أيسمي بعضنا بعضا بهذا الاسم فقال: لا والله ما هو إلا له خاصة ـ وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ثم قال يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ـ ومعك ميسم تسم به أعداءك، فقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون هذه الدابة إنما تكلمهم فقال أبو عبد الله عليه السلام كلمهم الله في نار جهنم إنما هو يكلمهم من الكلام ـ والدليل على أن هذا في الرجعة قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا ـ ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ـ حتى إذا جاؤ قال أكذبتم بآياتي ـ ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون قال الآيات أمير المؤمنين والأئمة ع فقال الرجل لأبي عبد الله ع إن العامة تزعم أن قوله ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ عنى يوم القيامة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أفيحشر الله من كل أمة فوجا ويدع الباقين لا، ولكنه في الرجعة، وأما آية القيامة فهي ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾.

اسأل سام عن ذلك، فقال سام: لما أمرت بالخروج ظننت أن القيامة قد قامت فابيضت لحيتي من هول القيامة، فلما أراه سام نزلت الآية في ﴿حم * عسق﴾[(١)] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[(٢)]، نقلته بالمعنى[(٣)].

وفي الاحتجاج عن سيدنا علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم)[(٤)].

---

(١) الشورى ١ ـ ٢.

(٢) الشورى ٩.

(٣) ما وجدنا في كتاب مناقب آل أبي طالب عليهم السلام؛ ج٢؛ ص٣٣٩ من حديث سام بن نوح هو هذا أن جماعة من اليمن أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا نحن من الملل المتقدمة من آل نوح وكان لنبينا وصي اسمه سام ـ وأخبر في كتابه أن لكل نبي معجزا وله وصي يقوم مقامه فمن وصيك فأشار بيده نحو علي ـ فقالوا يا محمد إن سألناه أن يرينا سام بن نوح فيفعل فقال صلى الله عليه وآله وسلم نعم بإذن الله وقال يا علي قم معهم إلى داخل المسجد واضرب برجلك الأرض عند المحراب فذهب علي وبأيديهم صحف إلى أن دخل محراب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داخل المسجد فصلى ركعتين ثم قام وضرب برجله الأرض فانشقت الأرض وظهر لحد وتابوت فقام من التابوت شيخ يتلألأ وجهه مثل القمر ليلة البدر وينفض التراب من رأسه وله لحية إلى سرته وصلى على علي عليه السلام وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله سيد المرسلين وأنك علي وصي محمد سيد الوصيين وأنا سام بن نوح فنشروا أولئك صحفهم فوجدوه كما وصفوه في الصحف ثم قالوا نريد أن يقرأ من صحفه سورة فأخذ في قراءته حتى تمم السورة ثم سلم على علي ونام كما كان فانضمت الأرض وقالوا بأسرهم إن الدين عند الله الإسلام وآمنوا وأنزل الله أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى إلى قوله ينيب.

(٤) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)؛ ج١؛ ص٢٥٠.

في مختصر بصائر سعد للشيخ حسن بن سلمان الحلي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ فقال: «يا جابر أتدري ما سبيل الله»؟ قلت:

لا والله إلا إذا سمعت منك، فقال: «القتل في سبيل علي عليه السلام وذريته، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله، وليس من أحد يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وميتة، إنه من قتل ينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل»(١). انتهى.

أقول: معناه ظاهر فإنه عليه السلام كالحديدة المحماة بالنار في التأثير فإن فعلها فعل النار، كذلك سبيله عليه السلام سبيل الله ومتابعته متابعة الله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾(٢)، وكما في قوله عليه السلام (من عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله) فإنه لا جهة له عليه السلام إلا جهته تعالى.

وفي رواية عد منه قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(٣) وقال عليه السلام: (نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا).

واعلم أيها الطالب الصادق من آمن بما ذكرت ها هنا من الآيات والأخبار وما عليه الدين والضرورة والعقل في معرفة الله، ومعرفة آل

---

(١) مختصر البصائر؛ ص١١١.

(٢) الفتح ١٠.

(٣) أظن أنه قدس الله نفسه يريد ما جاء في كتاب الإحتجاج على أهل اللجاج ج١؛ ص٢٥٠في حديث طويل إلى أن قال عليه السلام وكذلك قوله الرحمن على العرش استوى يعني استوى تدبيره وعلا أمره ـ وقوله وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وقوله وهو معكم أين ما كنتم وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه وأن فعله فعلهم، وكان رضوان الله عليه قد ذكر بعض الحديث فيما سبق من الكتاب فراجع.

الله، وما في كتب الآثار في معرفة الأئمة الأطهار عليهم سلام الله ما كر الليل ودار النهار فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن أنكر شيئاً مما ذكر ها هنا ومما لم يذكر مما عليه الضرورة ومما يقتضي العقل المستنير على عظمة الخالق وقدرته وعلى عظمة خلقه وصنعه، وأنهم عليهم السلام صنعة الله تعالى التي لا توصف للعباد قط، فاعلم أن المنكر الجاحد ليس ربه ربنا، ولا نبيه نبينا، ولا إمامه إمامنا، بداهة أن من أقر بوجود إمام ناقص، أو نبي جاهل، فقد أقر بالرب الجاهل العاجز التارك للأولى، وتعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً.

ثم نقول يا جاحد إن قلت أن الله تعالى لم يكن قادراً على إيجاد إمام كامل كما وصف في الأخبار فقد كفرت كفر الجاهلية الأولى.

وإن قلت أنه تعالى قادر ولكن الإمام عليه السلام ليس قابلا لذلك فقد كفرت كذلك، لأن قابليته عليه السلام خلقها الله من نوره جامعاً مملكاً لجميع الخيرات الفعلية الإمكانية حتى لا يقال لو كان كذا لكان أحسن، ولا يجوز أن يقال في حقه عليه السلام أنه لم يقبل ما أعطاه الله من الكلمات متابعة لهواه لأن هذا القول خلاف ضرورة الشيعة بل المسلمين أيضاً وخلاف الآيات والروايات وخلاف العقل المستنير.

فنقول: إنه عليه السلام قابل لجميع الكمالات، والله قادر على إيجاد ذلك، ولم لا يكون كذلك وهو تعالى خلقه عليه السلام ليعرف نفسه به على ما هو تعالى عليه من الصفات، إلا أن الصفات فيه تعالى قديمة وفي الإمام عليه السلام حادثة وهو قوله عليه السلام: (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك) انتهى، وقوله: (لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو فيها نحن وهو هو ونحن نحن)انتهى، وقوله عليه السلام: (الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع إلحاد، والجمع بينهما توحيد) انتهى، فهو عليه السلام آية الله، وعين الله، ونفسه، من عرفه فقد عرف الله، ومن جهله فقد جهل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

وبالجملة ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

## [معنى السفر إلى الله تعالى وذكر علته]

فلما فرغنا من إثبات الوجود الواجب تعالى ومعرفة توحيده، وعدله، ومسألة الاختيار، والأمر بين الأمرين، ومسألة العلل الأربع، ومعرفة الإمام عليه السلام إجمالا، شرعنا فيما وعدناك من معنى السفر السفر الأكبر وما يتعلق به فنقول:

أن السفر على ما يطلق عند الناس في مقابلة الحضر، يعني من لم يكن حاضرا عند أهله ووطنه فهو مسافر، وأما المسافة الحقيقية فجميع الكاينات الحادثة من الحيوانات والنباتات والإنسان والجن والملك والجمادات وغيرها مما خلق الله، وأما الوطن فهو عالم الرضوان عالم الفؤاد وباب المراد الذي هو آية الله وبيته ودليل الله وعرشه، وقولي أن المسافر جميع الكينات الحادثة أريد به ما عرفت سابقاً في علة إيجاد الأشياء وهي المعرفة معرفة الله بصنعه وتجلياته في عوالمه ظهوراته في المقامات بأسرها إلى ما لا نهاية له، لأن العالم ظهر كعموم قدرة الله.

فلما ثبت أن كلما كانت المعرفة بالمصنوع أكثر كانت المعرفة بالله أكثر وجب في الحكمة على الله أن يرى خلقه مظاهر قدرته كلها، ويسير بهم في الشؤنات الدهرية والتطورات الزمانية وما فيها من خصوصياتها وأنواعها وأجناسها، وليس هذا مختصاً بالإنسان لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(٢)،

---

(١) الزمر ٦٧.

(٢) الحجر ٢١.

وقوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾(١) وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾(٢) وكل شيء يسير في كل شيء حتى ينطوي في كل شيء كل شيء، أو قل حتى يظهر من كل شيء ما انطوى فيه من العوالم والمراتب والآثار كلها.

وها هنا علة أخرى للمسافرة وهي أنه تعالى لما خلق المخلوقات لأجل معرفته خلقهم كاملين فوق الكمال، وركب فيهم النفس الأمارة بالسوء لتحقق معنى الاختيار، وكان تعالى محيطاً بكينوناتهم هناك رأى أنهم لو بقوا في ذلك العالم وهم على تلك الحالة من الاستغناء الفعلي بحيث كلما أرادوا كان ليطغوا بادعائهم الربوبية، أنزلهم الله تعالى من عالم الملكوت إلى عالم الملك لطفا منه تعالى لهم وترحما عليهم، وأحوج بعضهم إلى بعض، وجعلهم على درجات في الفقر والغناء والعلم والجهل، ثم أرسل إليهم رسله بالكتاب المشتمل على القوانين والأحكام في الحلال والحرام، وأوعدهم بالعقاب ووعدهم بالجنة بغير حساب للطائع منهم والعاصي، ليعلموا أنهم عباد مربوبون وضعفاء مخلوقون مصنعون لعبادته وطاعته، إنما كان إنزالهم لمصلحتهم، ولا يقال أن هذا ظلم لأنه تعالى غني مطلقا ولا يظلمهم ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وإلى هذا نص مولانا أبو عبد الله عليه السلام كما في العلل عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام لأي علة جعل الله عز وجل الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محل فقال عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عز وجل فجعلها بقدرته في الأبدان

(١) الملك ٣.
(٢) القمر ٥٠.

التي قدر لها في ابتداء التقدير نظرا لها ورحمة بها وأحوج بعضها إلى بعض وعلق بعضها على بعض ورفع بعضها على بعض في الدنيا ورفع بعضها فوق بعض درجات في الآخرة وكفى بعضها ببعض وبعث إليهم رسله واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزيدهم في الشر وليدلهم بطلب المعاش والمكاسب فيعلموا بذلك أنهم بها مربوبون وعباد مخلوقون ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد ويأمنوا من الفزع إلى ما ليس لهم بحق ثم قال عليه السلام يا ابن الفضل إن الله تبارك وتعالى أحسن نظرا لعباده منهم لأنفسهم ألا ترى أنك لا ترى فيهم إلا محبا للعلو على غيره حتى يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية ومنهم من قد نزع إلى دعوى النبوة بغير حقها ومنهم من قد نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقها وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجمعهم يا ابن الفضل إن الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)[1]. انتهى.

ولا ينافي الحديث لما قلنا من الوجه بما أشار عليه السلام إلى ذلك في قوله: (فجعل الله بقدرته في الأبدان التي قدرها لها في ابتداء التقدير) فافهم.

وقد قال الشيخ الرئيس في هذا مشبهاً النفس بالورقاء أي الحمامة التي يضرب لونها إلى الحمرة فقال:

---

(١) علل الشرائع؛ ج١؛ ص١٥.

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع
ألفت وما سكنت، فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلول الخضع
تبكي إذا ذكرت عهوداً بالحمى بمدامع تهمي ولما تقلع
وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الأربع
إذ عاقها الشرك الكثيف وصدها قفص عن الأوج الفسيح المربع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف الترب غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأي شيء أهبطت من شاهق عال إلى قعر الحضيض الأوضع؟
إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت على الفذ اللبيب الأروع
وهبوطها إن كان ضربة لازب لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين، فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع
أنعم برد جواب ما أنا سائل عنه فنار العلم ذات تشعشع

وهذا الذي ذكرنا هو سر النزول من عالم اللاهوت إلى عالم الناسوت، وبعبارة أخرى معنى المسافرة والنزول وعلته تحصيل المراتب والمقامات من ظهور الحق وتجلياته في عالم الوجود المطلق وعالم الوجود المقيد على تفصيله.

وأما معنى النزول فعبارة عن التفات المسافر إلى السفل، كما أن الصعود عبارة عن التفاته إلى العلو.

## [شرح الأسفار الأربعة]

فلما علم هذا فاعلم أن السفر على ما قيل أربعة:

**[السفر الأول]** السفر من الخلق إلى الحق، يعني أن المسافر إذا أراد التوجه والالتفات إلى خالق الأرضين والسموات يقطع نظره من الحدود الخلقية، من الحدود العرضية، والجسمية، والشبحية المثالية، والمادية الجوهرية، والطبيعية، والنفسية، والرقائقية، والعقلية، لأن هذه هي السبحات التي تمنع المسافر عن التوجه إلى النور المستشرق عن صبح الأزل وتحجبه، وهذه الحدود الثمانية هي الحجب الثمانية المأمور بها بكشفها عند التوجه والإقبال إلى نور الرب المتعال، وهي الموهومات المانعة والأستار العائقة عن الاتصال إلى السر المعلوم، والنفس التي من عرفها فقد عرف ربه.

**[السفر الثاني]**: والسفر في الحق بالحق، يعني أن المسافر لا يرى في هذا السفر إلا الحق ولا يدرك إلا الله ولا يسمع إلا منه ولا يلتفت إلا إليه، لأنه لا يجد سواه ولا يعلم غيره، ولا زال ذكره الله وفكره الله، لأن المعلومات هناك معدومات، بل ولا يرى إذا معلوما معدوما أيضاً، لأن ذلك إنما كان في السفر الأول حين كان مخاطبا بخطاب ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾(١)، يعني أن المسافر لولا [أنه] يرى الخلق معدومين عند ظهور نور جلاله تعالى لم يتمكن من الإعراض عنهم ولم يقدر من الإقبال إلى الله سبحانه، والحاصل أنه لا يرى في هذا السفر أي السفر الثاني إلا الله سبحانه، ولا يطلب سواه إذ لا

---

(١) الأنعام ٩١.

سواه قط، وهو قوله عليه السلام في معنى الله أكبر حيث قال: (ويلك وهل ثمة شيء حتى يكون الله أكبر منه، وإنما معناه الله أكبر من أن يوصف)، وهذا السفر هو المقصود وهو الأصل بين الأسفار الأربعة، وإن كان الأول أيضاً مقصوداً من باب المقدمة لا بالأصالة.

**والسفر الثالث**: هو السفر من الحق إلى الخلق بأمره تعالى لإرشاد الضالين وهدايتهم إلى الطريق الواضح، والنجم اللائح، والزناد القادح، والنور الساطع، مقلب الأحوال، وسيف ذي الجلال، وشجرة التقوى، وسامع السر والنجوين ومنزل المن والسلوى، وعين الله الناظرة في الأمم، ويده الباسطه بالنعم.

**والسفر الرابع**: هو السفر في الخلق بالحق، فلا يرى نورا إلا نوره، ولا يسمع صوت إلا صوته، فبه يقول، وبه يسمع، وبه يرى، وبه يبطش ويعطي، وبه يمشي ويهدي، وبه يعمل، وبه يفعل ما يشاء، وبه يحكم ما يريد، مما علم الله وأمره به، وأراه في سفره، وهداه إليه.

وأما نحن فنقول أن السفر واحد، لأن الطالب لو كان قصده غير الله في السفر الأول كان عابدا لصنم (كلما يشغلك عن الله فهو صنمك) كما قال عليه السلام، وكذلك في الثالث والرابع لأن الذات عند السالك العارف غيبت الصفات، فلا يكون السفر في الحقيقة إلا واحد لما ثبت أنه ليس إلا الله وصفته، أي ليس إلا هو لأن الصفه ظهور الموصوف وهي عدم عند الموصوف، كما أن القيام عدم عند القائم.

واعلم أن القاطع للأسفار حكيم إلهي، وولي صمداني، ونور سبحاني، وعالم رباني، مطاع الخلق ومرادهم، سيدهم وإمامهم، يفرض على الخلق طاعته، ويجب عليهم مودته، والقبول منه بما يأمرهم وينهاهم، لأن الراد عليه كالراد على الله وهو في حد الشرك بالله، وهو القرية الظاهرة للسير إلى القرى المباركة كما في قوله

تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾(١) أي جعلنا بين المكلفين وبين الأئمة الهادين العلماء من شيعتهم عليهم السلام، كما قال الباقر عليه السلام: (نحن القرى المباركة والعلماء من شيعتنا هم القرى الظاهرة)(٢).

---

(١) سبأ ١٨.

(٢) في حديث طويل جاء في كتا الإحتجاج على أهل اللجاج ج٢؛ ص٣٢٧ نورده هنا بطوله لما فيه من الفائدة عن أبي حمزة الثمالي قال: أتى الحسن البصري أبا جعفر عليه السلام فقال جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله فقال أبو جعفر ألست فقيه أهل البصرة؟ قال قد يقال ذلك فقال له أبو جعفر عليه السلام هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟ قال لا قال فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟ قال نعم فقال أبو جعفر سبحان الله لقد تقلدت عظيما من الأمر ـ بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت أم يكذب عليك؟ قال ما هو؟ قال زعموا أنك تقول إن الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم قال فسكت الحسن فقال أرأيت من قال الله له في كتابه إنك آمن هل عليه خوف بعد هذا القول منه؟ فقال الحسن لا فقال أبو جعفر عليه السلام إني أعرض عليك آية وأنهي إليك خطابا ولا أحسبك إلا وقد فسرته على غير وجهه فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت فقال له ما هو؟ ـ قال أرأيت حيث يقول ـ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين يا حسن بلغني أنك أفتيت الناس فقلت هي مكة فقال أبو جعفر عليه السلام فهل يقطع على من حج مكة وهل يخاف أهل مكة وهل تذهب أموالهم؟ قال بلى قال فمتى يكونون آمنين؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عز وجل فمن أقر بفضلنا حيث بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا وقوله تعالى وقدرنا فيها السير فالسير مثل للعلم سير به ليالي وأياما مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيام عنا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام آمنين فيها إذا أخذوا منه آمنين من الشك والضلال والنقلة من الحرام إلى الحلال لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إياه عنهم=

## [في معنى الحركة والمنازل التي يقطعها المسافر]

فلما فرغنا من ذكر الأسفار أردنا أن نبين بأن السفر لابد فيه من حركة يقطع بها المسافة، ونبين معنى الحركة وأقسامها، ونذكر المنازل التي يسير فيها المسافر ويقطعها حتى يصل إلى الوطن الذي مأمور بوصوله إليه.

فنقول: أما الحركة على ما قال بعضهم هي الخروج من القوة إلى الفعل، وقسموها على قسمين:

أحدهما: حركة عرضية وهي حركة وضعية وكمية وكيفية وأينية.

وثانيهما: حركة جوهرية ذاتية.

وأما نحن فنقول: إن الحركة عن التوجه والالتفات، وهو قسمان، أحدهما: إمدادي إن كان منسوبا إلى الفاعل، والآخر استمدادي إن كان منسوبا إلى القابل أي الأثر.

وإن شئت قل إن الحركة حركتان إمدادية واستمدادية.

وأما أنها ـ أي الحركة ـ جوهرية أو عرضية فاعلم أن الحركة من حيث هي هي لا جوهرية ولا عرضية، وإنما تتصف بالجوهرية والعرضية باعتبار المتعلق، وأما الحركة في الكم والكيف والأين والوضع فهذه قد تكون جوهرية وقد تكون عرضية باعتبارين، والدليل على الحركة الجوهرية الاستمدادية قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

---

=بالمعرفة لأنهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ذرية مصطفاة بعضها من بعض فلم ينته الاصطفاء إليكم بل إلينا انتهى ونحن تلك الذرية المصطفاة لا أنت ولا أشباهك يا حسن فلو قلت لك حين ادعيت ما ليس لك وليس إليك يا جاهل أهل البصرة لم أقل فيك إلا ما علمته منك وظهر لي عنك وإياك أن تقول بالتفويض فإن الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه وهنا منه وضعفا ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾(٢) هذا دليل نقلي.

أما الدليل العقلي فنقول: لا شك أن الحادث يحتاج إلى المدد آنا فآنا وإلا ليعدم، أو كان الممكن واجبا، ويعبر عن هذا الإمداد الدائمي بالعلة المبقية التي هي عين العلة الموجدة، وهذا المدد الذي يمد الشيء به عين وجود الشيء وبقاؤه، فلولا كذلك أي لولا الشيء الحادث مستمدا من الموجد تعالى في آن من الأوان لزم الاستقلال في جميع الآنات، ضرورة أن الشيء لو كان صالحاً للاستغناء من المدد في وقت لكان صالحاً في جميع الأوقات، وذلك يمشي في حق الممكن، وقولنا أن العلة المبقية عين العلة الموجدة معناه أن الإبقاء عين الإيجاد، وهذا الإيجاد إحداث وتجدد من فوارة القدر جاريا على أراضي قوابل الأشياء ومقبولاتها في كل شيء على حسبه، ففي المجرد مجردي، وفي المادي مادي، وفي العنصر عنصري، وفي النور نوري، وفي الجوهر جوهري، وفي العرض عرضي، وفي العالي على حسب كينونة العالي ومقتضاه، وفي السافل على رتبته وما عليه من الاقتضاء، وهو قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾(٣) إلخ.

ثم اعلم أن ما وقع من سلسلة الموجودات في الطولية فالحركة فيها ـ أي في السلسة الطولية ـ إمدادية إن كانت من العلة، واستمدادية إن كانت من المعلول، هذه تسمى حركة جوهرية، وأما ما وقع من أفراد الموجودات في السلسلة الطولية والعرضية فالحركة هناك عرضية

---

(١) النمل ٨٨.

(٢) الأسراء ٤٤.

(٣) الإسراء ٢٠.

وجوهرية، كتسلسل الفؤاد والعقل والروح والنفس والطبيعة والمادة والمثال والجسم، لأن المراتب الثمانية كلها من حقيقة واحدة، فلما تنزل الفؤاد بفعله الذاتي حصلت المراتب السبعة، وهذا التنزل يسمى بتنزل القشر واللب، لأن المرتبة العليا منها لب بالنسبة إلى المرتبة الدنيا، كما أن الفؤاد مثلاً لب بالنسبة إلى العقل والعقل قشر بالنسبة إلى الفؤاد، وكذلك العقل لب بالنسبة إلى الروح، والروح قشر بالنسبة إلى العقل، وهكذا إلى آخر المراتب، ومن هنا نقول كل شيء عرض وجوهر، أما عرض فبالنسبة إلى مافوقه، وأما جوهر فبالنسبة إلى ما تحته، لأن الجوهر عندنا هو الذي يتقوم به غيره فيكون الجوهر مقوماً، والعرض عندنا عبارة عن المتقوم بالغير.

وأما المنازل التي يجب للمسافر قطعها، فالأول منها منزل العرض، والثاني منزل الجسم، والثالث منزل المثال، والرابع منزل المادة الهبائية، والخامس منزل الطبيعة، والسادس منزل النفس، والسابع منزل العقل أي المعاني المجردة، وقد نعبر عنها بالحجب الثمانية، حجاب الفضة، وحجاب الذهب، وحجاب الزبرجد، وحجاب الألماس، وحجاب الياقوت، وحجاب الزمرد، وحجاب العقيق، وحجاب اللؤلؤ، فلما قطع المسافر هذه المنازل وخرق هذه الحجب وصل إلى الفؤاد وباب المراد وعين الثبات الذي ليس وراءه شيء في رتبة العباد.

## [الفرق بين السلسلة الطولية والعرضية]

ثم اعلم أن الفرق بين السلسلتين هو أنه إذا كان الاختلاف في السلسلة على حسب المادة فتلك السلسلة تسمى بالسلسلة الطولية، وإذا كان الاختلاف في السلسلة على حسب الصورة فتلك السلسلة تسمى بالسلسلة العرضية، ألا ترى أن العلة والمعلول ليسا من حقيقة

واحدة، لأن المؤثر لو كانت حقيقته متحدة مع حقيقة الأثر للزم أن يكون الأثر مؤثرا ويلزم تأثير الشيء في نفسه وهو باطل، وأما الفؤاد والعقل والنفس والجسم فهي من حقيقة واحدة وإن كان بينها ترتب، إلا أن الترتب هاهنا ليس على جهة العلية والمعلولية، ومرادنا بالعلية المنفية هاهنا العلة التامة لا العلة الناقصة، لأنا قد برهنا أن الفؤاد علة للعقل والعقل علة للروح وهي علة للنفس وهي علة للطبيعة وهي علة للمادة وهي علة للمثال وهي علة للجسم، وأردنا بهذه العلية العلية الناقصة ولهذا سمينا هذه السلسلة أي سلسلة تنزل الفؤاد إلى الجسم وما ضاهاها بالسلسة الطولية والعرضية، أما طولية فلترتب بعضها على بعض، وأما عرضية فلاتحادها في المادة والذات.

ولا تصغ إلى ما قيل من التنزل في السلسلة الطولية كما ذهب إليه الحكماء، وهذا المذهب أصله من جوك لأنه قال أن برهم أي ذات الواجب لما تنزلت إلى هذا العالم عالم القوة والهيولى صعدت إلى ما منه نزلت، وهذا باطل بالعقل والنقل والضرورة، لاستلزامه انقلاب الواجب ممكنا.

فإذا علمت بطلان التنزل في الطولية، ولما قلنا من لزوم كون المؤثر أثراً كالعكس، علمت بطلان مذهب القائلين به كالحكماء ومن حذوا حذوهم، وأقوى أدلتهم في هذا المقام ـ أي في الحركة الجوهرية في السلسلة الطولية ـ هو أنهم قالوا أنا نرى عيانا أن النبات كان جماداً ثم انقلب نباتاً والنبات انقلب حيواناً والحيوان انقلب إنساناً[1]، وقالوا أيضاً أنا نرى أن المأكولات جماد، فلما أكله

(١) التعليقة ٣١: أقول الحديث عن بطلان نظرية التطور بجميع مدارسها طويل الذيل وقد تحدثنا في تعليقة رقم(٢٣) من الجانب العلمي الصرف والآن نتحدث من الجانب الحكمي البحت، فاليك البحث: النظرية ليست موجودة=

=في إطار خاص يحمل هذا العنوان بل أصولها موجودة ومبثوثة في كتب الشيخ ورسائله ومؤلفنا يتبنى رأي حكيمنا الشيخ الأوحد الأحسائي، لذلك سنتحدث عن المبنى المدرسي لهما في حقيقة التطور. وما فعلت أنا الأقل سوى ترتيب الأفكار لأبرز النظرية الأصيلة عن الخلق والتطور عند هذا العالم الجليل. وهو بكونه فيلسوفا مسلما لا شك أنه خالف جميع المذاهب المادية والداروينية التطورية على الخصوص في مسألة كون أصل الإنسان قردا. حيث يثبت أن أصل طينة الإنسان تختلف عن أصل طينة الحيوان. وهو أيضاً وأن تقاسم بعض الخطوط مع بعض الفلسفات الإسلامية والشيعية خاصة، إلا أنه أبدع في مسألة الخلق والتطور إبداعا عجيبا، يشهد به كل منصف. وفي الحقيقة إن النظرية عند الشيخ محتاجة إلى كثير من الدراسة والتأطير من المهتمين بهذه المدرسة والفلسفة الإسلامية.

التعريف بالنظرية عند الشيخ: الخالق الحقيقي لجميع الموجودات هو الله سبحانه. [١] وهذا خلافا للملحدين والشيوعيين، الذين يقولون: إن الطبيعة خلقت نفسها بنفسها بقانون الصدفة [٢].. وإن الله جل وعلاه هو من أوجد جميع المخلوقات من لا شيء، أي بتعبير الشيخ تعلقت المشيئة التكوينية بالممكن أو الهيولي الصلوحي ليترجح من الإمكان إلى التكوين فيتكون حسب اختياره[٣]، لا بالصدفة كما يقول الطبيعيون التطوريون مثل (دارون) إنه كانت هناك خلية واحدة تطورت حتى صارت جميع الأحياء على ما هي عليه [٤]. فعلى ها الأختيار الذي أعطاه (واجب الوجود) للممكن، يمكن وحسب قابليته أن يكون سماء، أو أرضاً أو أسداً أو إنساناً ويمكن أن يكون عالماً أو جاهلاً، جميلاً أو قبيحاً، قوياً أو ضعيفاً، طويلاً أو قصيراً، بل بإمكانه حسب هذا الأختيار أن يختار أمه وأباه وكل ما يحدث عليه في هذا العالم [٥] الذي هو آخر العوالم حسب ترتيب الشيخ الأوحد لها. نعم هناك أسباب ومسببات تكون سلسلة طويلة من العلل ليصل الحي أو الموجود إلى شكله النهائي[٦]. وهذه العلل في السلسلة أو السلسلة نفسها تأخذ شكلين، شكل طولي، وشكل عرضي.

ـ الشكل الطولي مرتب على أن السابق سبب للاحق وأعلى منه مرتبة، وأن اللاحق لا يمكن أن يأخذ شكله النهائي بل حتى الأولي إلا بهذا السابق.=

=واللاحق لا يمكنه التفوق على السابق في أي حال من الأحوال. فخلق الأنبياء أعلى من خلق الإنس لأن الأنبياء سابقون رتبة في الخلق على الإنس وكذلك في مسألة التطور على حد سواء، وكذلك مسألة خلق الإنس أعلى من خلق الجن. وهذه السلسلة الطويلة لها بداية ونهاية، بدايتها الحقيقة المحمدية أشرف المخلوقات، ونهايتها الجمادات. فهذه السلسلة تتكون من حقائق أو درجات أو طبقات الطبقة الأولى (الحقيقة المحمدية) أو الصادر الأول أو أول عقل من العقول العشرة كما يقول الفلاسفة. والطبقة الثانية هي طبقة الأنبياء، والطبقة الثالثة مؤمنو الإنس، والطبقة الرابعة مؤمنو الملائكة، والطبقة الخامسة مؤمنو الجن والسادسة طبقة الحيوانات، والسابعة طبقة النباتات، والثامنة طبقة الجمادات[٧]. وإذا أخذنا طبقة واحدة من هذه الطبقات نستطيع شرح السلسلة العرضية عليها. فطبقة مؤمنو الإنس تضم مراتب عديدة في الإيمان وقد ورد في الروايات أن سلمان المحمدي وصل الدرجة العاشرة منها، أي أن طبقة الإنس مثلاً تضم عشر درجات للإيمان وهذا ما نسميه بالسلسلة العرضية في أحد أوجهها الكبيرة. فيمكن لمؤمن الإنس التنافس في إطار هذا العشر درجات دون وجود ترتيب طولي لها. فسلمان بجهده الإيماني إضافة لعقيدته الراسخة قد تخطى كل هذه الدرجات ووصل أعلاها. كذلك يمكن لأي من الإنس الوصول لهذه الرتبة إن استطاعوا ذلك وكذلك من وصل إلى هذه الرتبة يمكن أن يسقط منها إلى أسفل درجة لو أخذ ظلمة ما [٨]. فيمكن جعل الفارق بين السلسلتين بشكل أساسي، هو الترتيب الطولي، حيث موجود في الأولى ومفقود في الثانية [٩]. ومن ناحية أخرى تطرق الشيخ إلى أن الخلق أو الموجودات أجمع، الإمكانية والتكوينية تنقسم إلى قسمين [١٠]:

الأول: هو الوجود الراجح أو المطلق ـ أي بدون شرط أو قيد ـ.

الثاني: هو الوجود المقيد ـ أي مقيد بالوجود السابق عليه (الوجود المطلق) ـ.

ـ الأول وفيه كل الخلق، الموجودة منها والتي لم توجد على شكل مادة هيولاء أو صلوحية. يمكن أن تكون أي شيء إذا تعلقت بها المشيئة التكوينية.

ـ الثاني وفيه الموجودات التي تعلقت بها الإشاءة التكوينية فتنتقل إلى عالم التكوين، وتمر بمراحل هي كالتالي:

١ ـ (الفؤاد) وتأخذ منه حقيقتها. =

= ٢ ـ (العقل) وتأخذ منه عقلها.
٣ ـ (الروح) وتأخذ منه روحها.
٤ ـ (النفس) وتأخذ منها نفسها.
٥ ـ (المثال) وتأخذ منه شكلها المثالي.
٥ ـ (الطبيعة) وتأخذ منها طبيعتها.
٧ ـ (الملك) وتأخذ منه جسدها. وهو آخر العوالم والمراتب بالنسبة إلى المخلوق ومنه يبدأ في التطور والصعود. [١١]
أما تطور الأحياء فيأخذ ثلاثة أشكال: (الأول) وهو التطور المادي الحسي. ويبدأ هذا التطور حين تقع بذرته أو نطفته في رحم أمه، فهنا يبدأ المولى ـ جل وعلا ـ بخلقه وتصويره في مراحل عديدة وهي، (النطفة ثم العلقة ثم المظغة...) إلى أن يسويه مخلوقا كاملا في شكله النهائي وتحين لحظة خروجه إلى عالم الطبيعة، فيستمر هذا التطور والارتقاء بمشيئة الله (طفولة ثم شباب ثم كهولة ثم شيخوخة ثم فناء وموت) فأين العبطية في إيجاد الخلية الأولى كما يقول دارون وغيره من الماديين.
(الثاني) وهو التطور المعنوي: وهو متاح للجميع كما أن التطور المادي متاح للجميع وهذا التطور يشمل الترقي في سلسلة العرض إلى أعلى مراتب الإيمان والفكر والعلم [١٢]سواء كان علما ضارا أو نافعا، فالتطور ممكن. وهذا التطور في مفهوم شيخنا يبلغ ذروته حين يقطع الإنسان الأسفار الأربعة جميعا، طبعا الحيوان مستثنى من هذا التطور وإن كان الشيخ يقول: إن للحيوان إدراك وشعور.
(الثالث) التطور الاجتماعي للإنسان:
والحيوان لا شك خارج من هذا القسم، وهذا التطور يقع في إطارين:
أ) تطور المجتمع بالنسبة للمجتمعات الأخرى
وقمة هذا التطور وأوجه يحدث في دولة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) حيث تعم الخيرات وينتشر العلم، وتستقيم الدولة والمجتمع للإمام عليه السلام. [١٣]
ولكن هذا التطور ممكن حتى في غيبة الإمام المهدي عليه السلام ضمن هذه الشروط :[١٤]
=

= ١/ الإيمان بالله وجميع أصول الدين وفروعه.
٢/ تطبيق الشريعة الإسلامية بحذافيرها.
٣/ الرجوع لرواة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.
٤/ العمل على نشر الدين ومقامات أهل البيت عليهم السلام.
٥/ وحدة جميع المسلمين وعدم تنازعهم.
ب) تطور الفرد اجتماعيا داخل مجتمعه:
أي حيازة الفرد أعلى المراتب في الدولة والمجتمع وذلك ضمن هذه الشروط [١٥]:
١/ الترقي في سلم درجات الإيمان والإنسانية.
٢/ أن يكون عالما.
٣/ أن يعمل لصالح غيره من المؤمنين.
٤/ أن يكون رساليا في سبيل الله.
المادة الأولى للخلق:
أ) المادة الأولى للخلق في تعبير الحكمي:
قال الشيخ في شرح المشاعر: (فالموجود هو الطينة التي خلق منها كل شيء وقد اصطلحوا على تسميتها باعتبار أحوالها تسهيلا لإدراك المعنى واختصارا للتعبير فباعتبار كونها جزءاً للمركب تسمى ركناً وباعتبار ابتداء التركيب مهنا تسمى عنصراً وباعتبار انتهاء التحلل إليه يسمى استقصاً وباعتبار كونها قابلة للصور الغير المعينة تسمى هيولى وباعتبار قبولها للصورة المعينة تسمى مادة وباعتبار كون المركب مأخوذاً منها تسمى أصلاً وباعتبار كونها محلاً للصور المعينة بالفعل تسمى موضوعا وهي في الحقيقة شيء واحد وهي الطينة وهي الماء وهي الوجود والمراد منها هو الوجود الذي أحدثه الله لامن شيء وهو أثر فعله التكويني ومتعلقه ولم يكون سبحانه بفعله التكويني ابتداء غيره ثم قسمه على أربعة عشر قسما فبقى نازلا في مراتب إجابته وطاعته يسبحه ويحمده ويهلله ويكبره ألف دهر كل دهر فيما ظهر لي مائة ألف سنة ثم كون من شعاع ذاته جميع الذوات المجردة التي هي أرواح أنبيائه عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة ثم كون من شعاع الذوات ذوات من دونها وهكذا كما ذكر وخلق من هيئات الوجود الأول الذي هو الذوات الأربعة عشر=

=صفات الذوات المجردات التي هي مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وأعراضها ومن شعاع هيئاتها هيئات من دونها وهكذا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) [١٦].

ب) المادة الأولى للخلق في التعبير العلمي:

تختلف الحصة المادية للإنسان عن الحصة المادية للحيوان وحصة الإنسان المادية أخذت من تحت فلك القمر وهي تتكون من عشر قبضات يقول الشيخ: (ثم اعلم أن الحيوانية التي يعبرون عنها بالتحريك (بالتحرك خ ل) بالإرادة كانوا قد جعلوا الحيوان جنسا لكل متحرك بالإرادة فيأخذون منه أي من هذه الحقيقة حصة فيضمون إليها الناطق ويقولون هذه حقيقة الإنسان من نبي ومؤمن وجاهل وكافر ويأخذون من تلك الحقيقة بعينها حصة ويضمون إليها الصاهل ويقولون هذه حقيقة الفرس عتيقها وهجينها ومقرفها ويأخذون منها أيضاً حصة ويضمون إليها النابح ويقولون هذه حقيقة الكلاب بجميع أصنافها ويأخذون منها حصة ويضمون إليها الناعق ويقولون هذه حقيقة الغراب بجميع أنواعه وهكذا ويلزم من هذا تساويها في الحيوانية التي هي الوجود أو المادة أو كالمادة على قولهم لا تمايز بينها إلا بالفصول التي هي الصور أو كالصور عندهم ويلزمهم أن حيوانية الأنبياء عليهم السلام من طينة الحيوانات والحشرات تجمعها رتبة واحدة من الوجود فطينة أول الخلق من طينة الحشرات والعياذ بالله أو أنهم انتزعوا مفهوما كليا من مدلول لفظ متحرك بالإرادة وعلى هذا إن صدق على الحيوانية الخارجية ولو في أفرادها رجع عوده على بدئه وإن لم يصدق فتلك الأنواع لم يخلق مما في أذهانهم وإنما خلقت مما هو في الخارج وإلا لخلقوا وخلقت أذهانهم مما في أذهانهم وأما على قول ساداتنا عليهم السلام فكل جنس من رتبته وأنواعه حوله وأفراده كل حول نوعها فقد خلقت حيوانية محمد وآله صلى الله عليه وآله قبل خلق حيوانية أنبياء الله عليهم السلام بألف دهر كل دهر مائة ألف سنة أو ثمانون ألف سنة ثم خلقت حيوانية الأنبياء عليهم السلام من شعاع الأولى قبل خلق حيوانية الناس بألف دهر ثم خلقت حيوانية الملائكة ثم الحيوانات فكل متأخرة حقيقة بعد حقيقة ما قبلها أو مجاز بالنسبة إليها ولا يصدق الاسم عليها بالاشتراك اللفظي ولا المعنوي إلا بلحاظ المفاهيم كما مر نعم الاشتراك في التسمية خاصة ولو قيل بالاشتراك=

=اللفظي أمكن تصحيحه على تأويل والكلام في فصولها كالكلام فيها هكذا ما هو المعلوم عندنا من مذهبهم عليهم السلام ولو قيل بأن الحصص لا وجود لها ولا تحقق إلا بانضمام الفصول قلنا يمكن توجيهه بأن نقول أن الحصة المقبولة التي هي حصة الحيوان وحصة الوجود كحصته في زيد يتوقف وجودها على وجود قابلها التي هي الماهية الأولى أعني الانفعال كالانكسار للكسر وهي الصورة وهي الفصل إلا أنا نقول إن توقف وجود المقبول على وجود القابل توقف ظهور وتوقف وجود القابل على وجود المقبول توقف تحقق فافهم إن شاء الله تعالى راشدا موفقا). [١٧]

كيف يحدث الارتقاء في نظرية الشيخ:[١٨]

الارتقاء كما ذكرنا آنفا يحدث في جميع أنواع الوجود، وهو بشكل أساسي في قسميه الحسي والمعنوي.

ـ أما الحسي ففيه ارتقاءان:

١/ ارتقاء حسي جبري: وهو الذي يحدثه تطور سن الكائن الحي الذي عبر عنه الشيخ بـ (الأحوال) فالكائن الحي من حال إلى حال من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة ثم الشيخوخة من الصحة إلى المرض.

٢/ ارتقاء حسي اختياري:

وهو يحدث كمن يسمن نفسه أو ينحف جسده أو المرأة التي تحبل نفسها بإرادتها، أو الشخص الذي يحاول التعديل من شكله أو تهجين الحيوانات.

ـ وكذلك الارتقاء المعنوي فيه ارتقاءان:

١/ ارتقاء معنوي جبري: كعلم الشخص بالضروريات مع تطور سنه وكازدياد معلومات الإنسان وخبرته من خلال التجوال في العالم.

٢/ ارتقاء معنوي اختياري:

وقد تحدثنا عنه آنفا في كيفية ارتقاء الفرد في السلسلة العرضية.

نظرية الخلق والتطور وقضية المعراج:[١٩] وهنا تحت هذا العنوان يمكن أن نعتبره تطبيقا لما سبق في الارتقاء فعندما نتحدث عن معراج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نتحدث عن الارتقاء بقسميه الحسي والمعنوي. أما الحسي ففيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع جميع عوالم التكوين بدأ من مكة إلى ساحة القدس. وهو إنما اخترق تلك الطبقات والعوالم بكونه علة لجميع تلك المراتب والعوالم التكوينية.=

=أما المعنوي فبلغ النبي ذروته المطلقة حيث صار قاب قوسين أو أدنى، وتلقى كل المعارف والعلوم وما حدث وما سيحدث إلى نهاية الوجود.

* المراجع:

١ ـ الأحسائي، أحمد بن زين الدين، حياة النفس، ط٢، ٢٠٠٠م، دار بيروت، ص١٠٥.

٢ ـ الصادقي، محمد، حوار بين الإلهيين والماديين، ط٢، ١٤٠٧هـ، دار المرتضى، بيروت، ص٣٤.وكذلك ديالكتيك الطبيعة ص٣٢، دار الفارابي، انجلز.

٣ الأسكوئي الحائري، آية الله ميرزا موسى، إحقاق الحق، ط٢، ١٩٦٥م، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ص٥٠٦.

٤ ـ الزعبي، محمد أحمد، التغير الاجتماعي، ط٣، ٩٨ ـ ١٩٩٩م، جامعة دمشق، دمشق، ص٥٢.

٥ ـ مرجع سبق ذكره، إحقاق الحق، ص٤٩٠.

٦ ـ الاسكوئي الحائري، آية الله ميرزا محمد باقر، المصباح المنير، ط١، ١٣٨٣هـ، مطبعة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء، ص١٧٤.

٧ ـ المرجع السابق، ص١٧٤/١٧٥.

٨ ـ أبي خمسين، الشيخ محمد حسين، مفاتيح الأنوار، ط١ (١٩٥٦م)، مطبعة الغري، النجف الأشرف، ص٢٧.

٩ ـ مرجع سبق ذكره، المصباح المنير، ص١٧٥.

١٠ ـ الأحسائي، أحمد بن زين الدين، مجموعة الرسائل، ط٢، (د، ت، ن)، مطبعة السعادة، كرمان، ص١٨٨/١٨٩.

١١ ـ المرجع السابق، راجع من ص٩٠ ـ ١٠١.

١٢ ـ مرجع سبق ذكره، مفاتيح الأنوار، ص٢٧.

١٣ ـ الإحقاقي، آية الله العظمى الميرزا حسن، رسالة الإيمان، ط٢، ١٩٩٢م، منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام بيروت ص٦٢ ـ ٦٧.

١٤ ـ المرجع السابق، ص٦٤.

١٥ ـ راجع، الإحقاقي، الميرزا حسن، رسالة الإنسانية، ط١، ١٩٨٨م، مؤسسة البلاغ، بيروت، الفصل الأول والثاني. =

الإنسان أخذ ذلك الجماد في الترقي فيصير نباتاً ثم حيواناً ثم إنساناً وهذا هو قول الرومي حيث قال:

از جمادي مردم ونامي شدم وز نما مردم به حيوان سر زدم
مردم از حيواني وآدم شدم پس چه ترسم كي ز مردن كم شدم
حملة ديگر بميرم از بشر تا بر آرم از ملايك بال وپر
وز ملك هم بايدم جستن ز جو كل شيء هالك إلا وجهه
بار ديگر از ملك قربان شوم آنچه انرد وهم نايد آن شوم
پس عدم گردم عدم چون ارغنون گويدم كإنا إليه راجعون(١)

وهذا هو مذهب الصوفية خذلهم الله والقائل بهذا المذهب يلزمه القول بعدم عود الأجسام، ولذا قالوا لولا الدليل النقلي من الشارع على المعاد الجسماني لم يكن عندنا دليل عليه عقلاً، وهذا القول نتيجة ما ذهبوا إلى الحركة الجوهرية في السلسلة الطولية.

وأما نحن فنقول بالحركة الجوهرية على ما عندنا كما سبق ويأتي مع ذلك نثبت المعاد الجسماني بالبرهان العقلي كما أثبتنا به المعاد

---

= ١٦ ـ الأحسائي، أحمد بن زين الدين، شرح المشاعر، ط٢، مطبعة السعادة، كرمان، (د، ت، ن)، ص٥٩.

١٧ ـ مرجع سبق ذكره، شرح المشاعر، ص١٥٩.

١٨ هذه الارتقاءات موجودة في كتب الشيخ متناثرة وهي أيضاً بديهية.

١٩ ـ مرجع سبق ذكره، مجموعة الرسائل، ص٥٦. (من ثمرات الحكمة).

(١) انقلبت من الجماد إلى النامي، ومن النامي إلى الحيوان، ومن الحيوان إلى الانسان، فلا خوف علي من الموت، لأني ما أخفقت من الموت قط فإذا مت مرة أخرى صرت ملكا، بعد ذلك إذا مت صرت ما لا يتوهم، فإذا دق صوت جرس إنا إليه راجعون جعلت العدم عدما (ترجمه إلى العربية الحكيم الإلهي والفقيه الرباني الميرزا عبد الله الأحقاقي دامت بركاته).

الروحاني حرفا بحرف، إلا أنا لم نقل بالحركة الجوهرية إلا في العرضية دون الطولية، لأنها تستلزم انقلاب الأثر مؤثرا وانقلابه أثرا وهذا باطل، وأيضاً إنا قد برهنا بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن الله سبحانه كامل مطلق، ولا شك أن الكامل لابد أن يكون فعله كاملا وإلا فيلزم العدول من الكامل إلى غير الكامل، وهذا ترجيح المرجوح على الراجح، وهذا فاسد رأساً ضرورة أنه إما لأجل عدم قدرة الفاعل عليه أو لجهله بالراجح، وكلاهما مناف للكمال المطلق، فلما ثبت كماله تعالى ثبت كمال فعله.

إذا علمت ذلك نقول إن أشرف المخلوقات وأولها هو محمد وآله عليهم السلام خلقهم الله بحيث لم يجعل لأحد من مقامهم عليهم السلام نصيبا، فلما تم خلقهم عليهم السلام كاملا سطع من تلك الحقيقة المقدسة نور خلق من ذلك النور الإنسان الجامع التام المملك الذي انطوى فيه المراتب والمقامات كلها.

بيان ذلك أن الإنسان مظهر اسمي الله الظاهر والباطن وهو أثر تام كامل، والكامل لايكون كاملا إلا باشتماله [على] مرتبة الإجمال ومرتبة التفصيل، ومرتبة الغيب ومرتبة الشهادة.

وتفصيله أن العقل في الإنسان مرتبة إجمال من مراتب عالم الغيب، والنفس في الإنسان مرتبة تفصيل من عالم الغيب، وحيث كان العالمان مختلفين وجب أن يكون بينهما من برزخ وهو الروح، فتم عالم الغيب وتم الإنسان الغيبي.

وأما الإنسان الشهودي فهو على طبق الإنسان الغيبي في المراتب، فأول مراتب هذا الإنسان الطبيعة في مقابل مبدأ عالم الغيب الفؤاد، والطبيعة هي مبدأ عالم الأجسام ولذا تكون الكثرات المضمحلة فيها بحيث لا ذكر لها هناك، ثم المادة في مقابلة العقل والمادة هو الهيولى الذي تكون الكثرات فيها مذكورة، ثم المثال في مقابلة الروح، ثم

الجسم في مقابلة النفس، فتم الإنسان الشهودي فصار الإنسان مظهرا لاسمي الظاهر والباطن، وهذه الجامعية هو الكمال وهو التمام الذي لا يحتاج إلى شيء ولا يفتقر أبداً في رتبة ذاته إلا إلى الفاعل، لأن الكامل هو الذي يحكي مؤثره ويكون دالا عليه، فلما كان مؤثره كاملا ذا أثر وجب أن يكون هذا الأثر ذا أثر لما قلنا أن كل أثر يشابه صفة مؤثره، ثم ننقل الكلام إلى أثر الأثر ثم إلى أثر أثر الأثر وهكذا، فيكون على هذا الأثر أثر ولأثر أثره أثر ولأثر أثر أثره أثر وهكذا إلى ما لا نهاية له.

فإن قلت: على هذا التفسير لا تكون سلسلة الموجودات متناهية إلى ثمانية.

قلنا: كذلك من جانب الفاعل لا تتناهى السلسلة، وأما من جانب القابل الضعيف فمنتهاه ظهور أثره لا وجوده.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن الإنسان أثر للحقيقة المحمدية، والحيوان أثر للإنسان، والنبات أثر للحيوان، والجماد أثر للنبات، فيكون الترتب بينها ترتب أثري مؤثري، يعني أن الجماد أثر للنبات والنبات أثر للحيوان، والحيوان أثر للإنسان والإنسان أثر للحقيقة المحمدية ﷺ، ولولا هذا الترتب لكان الصنع ناقصاً فيلزم نقص الفاعل تعالى، فعلى هذا لا يحتاج الإنسان إلى الحيوان الذي أثره في مرتبة ذاته ولا يكون الحيوان ذاتيا للإنسان حتى يحتاج إلى المميز كالناطق مثلاً كما قيل، وإنما الحيوان كمال عرضي للإنسان وإن كان معنى الحياة موجود في الإنسان لكن الحياة الإنساني عين حقيقة الإنسان كما أن الحياة الحيواني غير حقيقة الحيوان، ولو كان معنى الحياة واحداً في الموجود للزم أن يكون الخلق من سنخ الحق ـ تعالى عن ذلك ربنا علواً كبيراً ـ .

فعلى ما زبرنا تكون الجمادية والنباتية والحيوانية كلها داخلة في

عوارض الإنسان لا في ذاتياته، وإنها آثار للإنسان فلا تنقلب إنسانا وإلا يلزم أن يكون الإنسان في مرتبة ذاته ناقصا، وأنت علمت [أن] نقصان الأثر دليل على نقصان المؤثر.

والحاصل كل شي يتحرك في مرتبته أي يستمد من مؤثره إلى ما لا نهاية له ولا يخرج من مرتبته إلى أخرى لأنه كامل، وكل شيء لا نهاية لسيره كما لا بداية له، لأن ما لا نهاية له لا بداية له كالعكس، وإلا لزم انقطاع الفيض ولزم تحديد الذات لو قلنا بانقطاع الفيض فافهم.

## [علامات المسافر]

وأما علامة المسافر فهي أن يتمسك بالكتاب والسنة في علمه وعمله، ويعمل بظاهره وباطنه وتأويله وتفسيره، ولاينكر شيئاً مما ورد عليه من الكتاب والسنة ومما دل عليه العقل القاطع، وما قامت عليه الضرورة.

## [أنواع المسافرين]

وأما المسافر فعلى أقسام ثلاثة نوعاً:

أحدها: العوام، فهؤلاء لهم علامات في علمهم وعملهم، أما علمهم فيفهمون ظاهر الكتاب والسنة ويستنبطون منه الأحكام بالمقدمات والنتائج، عندهم من العلم مايدلهم اللفظ عليه فقط، وليس لهم حظ من علم باطن الكتاب والسنة.

وأما عملهم فيعملون الواجبات ويتركون المحرمات، عملوا بالمستحبات أحياناً أم لم يعملوا.

وثانيها: الخواص، فهؤلاء لهم علامات علماً وعملاً، أما علماً فيفهمون ظاهر الكتاب والسنة وباطنهما لا بالمقدمات والنتائج المقررة عند أهل المنطق والأصول، وإنما يستنبطون جزئيات العلوم من لطيفة إلهية مودوعة في قلوبهم، وتلك اللطيفة لجزئيات علومهم كالأصل

الواحد بالنسبة إلى أمثلة مختلفة لتحصيل معان مقصودة، وهؤلاء يسمون بأولي الألباب، ودليلهم دليل الموعظة الحسنة بخلاف القسم الأول لأنهم أصحاب النفس ودليلهم دليل المجادلة بالتي هي أحسن، وهذا الدليل في الواقع ليس بدليل، ولذا غير الأسلوب حيث قال خطاباً لنبيه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(١) الآية، ويؤيد ماقلنا قول سيدنا علي بن محمد الجواد عليه السلام في الزيارة الجامعة: (ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة) الزيارة.

وأما علامتهم في العمل فيعملون بظاهر الكتاب والسنة وباطنهما، وما عملوا به الطائفة الأولى، ولايتركون المستحبات وإنما يتركون المكروهات تجنبا منهم عن المنهيات.

وثالثها: أي الثالث من المسافرين أصحاب الحقيقة وأخص الخواص، هؤلاء لهم علامات في العلم والعمل.

أما العلامة العلمية فيعرفون باطن الباطن من الكتاب والسنة في أول مقامهم ووصولهم إلى هذا المقام، وهم أولوا الأفئدة، وكيفية معرفتهم هي أنهم يعرفون الشيء بلا كيف ولا إشارة من دون اتكالهم على المقدمات والنتائج، ولا على لطيفة الأصل الواحد الذي هو الكلي لاستخراج جزئيات المسائل، وإنما تكون علومهم مأخوذة من المشاهدة والعيان، فلا يقولون إلا مما رأوا على ما هو عليه، وهم الذين يقولون في طلباتهم: (اللهم أرنا الأشياء كما هي)، وهؤلاء هم أهل الحقيقة والحكمة ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾(٢)، وهذه الفرقة لا تتبدل علومهم لأنهم رأوا كل ما عندهم من العلوم بحق

(١) النحل ١٢٥.

(٢) البقرة ٢٦٩.

اليقين، وهؤلاء هم الذين لولاهم لاندرست آثار النبوة وانطمست، ولولاهم لم يعبد الله قط ولم يخلق الله العباد ولا يرزقهم أبداً، فهم المقصودون من إيجاد العالم، وهم الشيعة على الحقيقة، وهم على طريقة إمامهم وسيدهم عليه السلام خلقاً وسلوكاً وعلوماً، لكنهم خرس صمت مادامت الدولة للظالمين، فلا يعرفهم الناس إلا من أرادوا أن يعرفوه أنفسهم من المستعدين(١)، الذين قصدهم لله من دون شائبة ريب ولا هوى نفس، اللهم أرشدنا إليهم واجعلنا من المشرفين بعتبة بابهم آمين.

---

(١) التعليقة ٣٢: أقول شروط وصفات حامل الحكمة الإلهية بجميع مستوياتها كثيرة لكون هذا العلم من العلوم الصعبة والدقيقة في آن وليس كل أحد متأهلا فطرياً له لذلك قدرة الاستعداد لهذا العلم تختلف من شخص لآخر، وهذا العلم غادر كالبحر تعتقد ركوبه سهلا فتغرق فيه بعد إبحار غير طويل لذلك الحذر والتريث مهمان جدا، فرأيت كثيراً يقتحمون هذا الحصن ظناً منهم أنهم اجتازوه، بل هم لم يصعدوا حتى عتبة البوابة الخارجية لسوره، فعلوم الطبيعة تفهم من محاولتين أو أكثر لكن علم الحكمة يحتاج عمرا حتى يتيح لك أن ترتشف رشفة صغيرة من حياضه، وقد سطر إبراهيم الخليل في ذلك مشهدا قرآنيا وهو نبي ومن أولي العزم ليتعلم بعض الجهلة المغامرين في هذا العلم حيث قال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۞ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۞ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۞ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۞ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. تدبر جيداً أما اليوم ترى شخصاً ابن البارحة يقول أنا اجتزت درس شرح الفوائد، وهو لا يميز بين أنواع الصفات (أترى أشياء لا تشترى) بل هي هبة الرب لمن يريد كما عن النبي صلى الله عليه وآله: (إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين، وفي لفظ: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين). [الغدير ـ الشيخ الأميني ـ ج١٠ ـ ص٣٦٣] والفقه هنا الفهم وهو علم الدين وليس محصورا في الشريعة، فكثرة ركاضك لن يجعلك تقطع المضمار، بل حسن قابليتك وحسن تفكيرك وحسن إخلاصك هو من يوصلك للهدف النهائي، فأقبل على الله ستجد عنده مرادك. (من ثمرات الحكمة).

وأما العلامة العملية فيعملون بما يعمله العوام والخواص إلا أن هؤلاء الأكابر يتركون المباحات أيضاً، ولا يقولون إلا عن الله وعن آل الله، ولا يطالعون إلا كتاب الله وما ورد في تفسيره عنهم عليهم السلام، وهؤلاء نظرهم اعتبار وسكوتهم فكر وكلامهم ذكر، يكرهون الرفعة ويشنأون السمعة، طويل غمهم بعيد همهم، كثير صمتهم، يفتخرون بفقرهم مسرورين، لا يغتابون، ولا يسبون، ولا يعيبون على أحد، ولا يحسدون، وضحكهم تبسم واستفاهمهم تعلم، كثير علمهم، عظيم حلمهم، ذووا رحمة واسعة، لا يبخلون ولا يعجلون ولا يزجرون، في منازعتهم جميلون، عدل إن غضبوا، فضولهم قليل، راضون عن الله، مخالفون لهواهم، لا يغلظون على من دونهم، ولا يخوضون في ما لا يعنيهم، ناصرون للدين كهف للمؤمنين، يسترون العيب، ويحفظون الغيب، وهم الشهداء وإن ماتوا على فراشهم، ويكرون مع سيدهم مرة بعد أخرى ولم يزل الشعاع مع منيره قال تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ ۖ﴾[1] وقال فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[2] بالبشرى والعلوم لا يحتملها إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن ممتحن، يعرفون عليا عليه السلام بالنورانية، وهؤلاء هم الذين زكوا أنفسهم بالعلم والعمل، وارتكبوا الرياضات، وأتوا بالمجاهدات، إلى أن ترقوا إلى المرتبة الإنسانية[3] وحصلوا العلوم

(١) الحديد ١٩.

(٢) فصلت ٣٠.

(٣) التعليقة ٣٣: أقول: إن حقيقة الإنسانية هي حقيقة النور والتوحيد وحقيقة المؤمن الأصلية التي خلق عليها حين قبل في عالم الذر توحيد الله وولاية أوليائه عليهم السلام، فهي صورة التوحيد ومظهر النور ومصداق قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم=

=على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أي كرمهم بمعرفته وتوحيده وقبول ولاية أوليائه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. فالأمانة هي توحيد الله وولاية أوليائه، حيث صرح في آية أخرى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ❁ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. أي عرف توحيد الله ووالى أولياءه، فأتاه بقلب سليم، ولكن مع تنزل الإنسان في العوالم تصيبه عوارض اللطخ، فتختفي أنوار الإنسانية أو بعضها منه، فيحتاج للمسافرة لموطنه الأصلي (حقيقته/فؤاده) بإحدى السفرين: الاختياري (المجاهدات) وهي التي أشار لها المؤلف وذكرت في القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. فإذا قطع الأسفار الأربعة حقيقة ظهرت فيه أنوار الإنسانية، وإذا عجز تظهر عليه بالسفر الجبري (الموت) حيث يعود لوطنه جبرا، فتدبر. راجع التعليقة رقم (٢٣) لتعرف عن السفر أكثر. وسأنقل لك نصاً من كلام الشيخ الأوحد الأحسائي عن قيمة الصورة الإنسانية حيث يقول: (وأما تكرمته بأن حمله في البر والبحر فإنه جعل لهم ما يسلكون عليه طريق البحر لقضاء مآربهم وهي السفن وطريق البر كذلك وهي الأبل والخيل والبغال والحمير ولولا السفن لغرقوا ولولا الركوبات لما استطاعوا أن يقطعوا أرضاً ولا بحراً وقد جعل آل محمد صلى الله عليهم في الحقيقة سفينة النجاة لكل شيء وإنما نجا راكب السفينة من الغرق لأنها مثالهم عليهم السلام واتباعهم هو ركوب السفينة وإنما كانت منجية لأنها مثال طريقتهم من ولايتهم وإنما كانت الإبل تحمل الأثقال إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس لأنها مثال النفس كما في تأويل الآية فكانت الخلائق من جميع بني آدم إنما كرموا لأنهم مثالهم وكرموا به صلى الله عليهم أجمعين ومن تكرمته بأن الإنسان يرفع بيده طعامه لئلا يطأطئ رأسه للطعام إجلالا له لما ألبسه الله من صورته صورة الأنسان وصورته التي نسبها اليه هي صورتهم عليهم السلام التي خلقها الله على صورة محبته في قوله تعالى: (كنت كنزا مخفيا فاحببت أن اعرف)، فصورتهم صورة هذه المحبة فنسبها إليه لأنها صورة محبته وعلى صورتهم التي هي صورته خلق آدم عليه السلام كما قال عليه السلام إن الله خلق آدم على صورته، فان جعل الضمير يعود إلى الله أو إلى آدم فالمعنى واحد كما ذكرنا وهي الصورة الانسانية وإنما لم يخضع لأجل هذه الصورة=

الربانية المودوعة فيهم بقراءة حروف أنفسهم ومطالعتها كما ينبغي، لأنهم كتاب الله الذي كتبه بيمينه، وهم الصراط الممدود بين الجنة والنار، من اتصل بهم نجى ومن تخلف عنهم هلك، لأنهم هم السفن الجارية في بحر قمقام آل محمد عليهم السلام، وهم المختصر من اللوح المحفوظ والحجة على كل جاحد منكر، وهم الشاهد على كل غائب، وأؤلئك الأعاظم قليلون أقل من الكبريت الأحمر، وهم الصورة الإنسانية التي معناها إمامهم عليه السلام، وهم الصراط إلى الجنة أي إلى ولايته عليهم السلام، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيمينه، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من

=لأن كنهها الربوبية بخلاف سائر الحيوانات لتغير صورها باختلاف مشخصاتها كما وكيفا وجهة ومكانا ورتبة ووقتا وغير ذلك. وأما تكرمته لأرواح المؤمنين بالعلم الذي هو الرزق الطيب فلأن ذلك مقتضى طاعتهم لله واتقائهم معاصي الله فان من اتقى الله علمه ما لم يعلم كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وقال علي عليه السلام: (ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيصعد إليكم ولكن العلم مجبول في قلوبكم تخلقوا باخلاق الروحانيين يظهر لكم) وفي رواية: (تأدبوا بآداب الروحانيين يظهر لكم)، ولما كان الكافر ميتا ليس له نور من العمل لم يكرم بالعلم وجعل لمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم من هذه التكرمة ما جعلهم به خزائن غيبه وعيبة علمه بحقيقة ما هم أهله وأما ما ذكر في حملة الكرسي بأن منهم ملكا في صورة الآدميين وأنها أكرم الصور على الله فقد اشير إليه في التكرمة بحسن الصورة، وأما التكرمة بالإسلام فلأن المكلفين لا قوام لهم إلا بالتكليف لأنه هو طريق العبد إلى المدد الذي به قوامه والتكليف مختلف بحسب الأزمنة وإن كان في الحقيقة واحداً عند الله وهو الإسلام... إلخ) [شرح الزيارة، ج١ص٣٦٨]. (من ثمرات الحكمة).

اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الصراط المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار). انتهى.

وأما الباقون من الناس فهمج رعاع لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، قال مولانا الباقر عليه السلام: (الناس كلهم بهائم إلا المؤمن والمؤمن قليل والمؤمن قليل) انتهى، إلا من اتبعهم أي رجع إلى هؤلاء أولياء الله قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾(١).

## [وقفة مهمة في معرفة الإنسان الحقيقي]

واعلم أن السيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ذكر علامة الإنسان الذي له الناطقة القدسية بعدما ترقى عن رتبة النفس البهيمية الحيوانية حيث قال في حديث كميل: (إن لصاحب الناطقة القدسية خمس قوى وخاصيتان علم وحلم وذكر وفكر ونباهة وأما الخاصيتان فالنزاهة والحكمة) انتهى.

أقول: الخاصيتان من القوى الخمسة كالشاهدين لإثبات المدعى عند المرافعة، فكأنه يقول عليه السلام من لم يرزق بالحكمة التي هي معرفة الإمام عليه السلام، التي هي معرفة الإمام عليه السلام، التي هي معرفة الإمام عليه السلام(٢)، التي هي معرفة أحوال أعيان الموجودات وبالتنزه في الصفات، لم يكن له تلك القوى الخمسة، فإن العلم الذي ليس من الإمام ولا فيه عليه السلام لم يكن علما، وكذلك الذكر والفكر والحلم والتنبه لأن هذه كلها صفات غايتها راجعة إليه عليه السلام، وهو صفة الله، بناء على هذا كل من لم يكن حكيماً عارفاً بإمامه عليه السلام لم يكن إنساناً فهو حينئذ

---

(١) إبراهيم ٣٦.

(٢) هكذا جاء في المخطوطة.

بهيمة من البهائم، محسوب من الأنعام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(١)، هذا إما يكون همه هوى نفسه طالبا الرئاسة والجاه مدعياً مقاماً ليس أهلاً له، حريصاً في جمع الأموال وأمتعة الدنيا وحطامها وزخارفها، قانعا في علمه بما ينفعه في الدنيا من العلوم القشرية الفرعية، غير باحث عن المعارف الإلهية والآيات الربانية الملقاة في الهياكل النورانية، ولا مستعمل تكمل القوى والمشاعر التي للإنسان، وإما أن يكون همه الأكل والشرب وتربية البدن فقط فقيمته ما يخرج من بطنه، قال ﷺ: (من كان همه ما يدخل في بطنه كان قيمته ما يخرج من بطنه)، وهو إذا في رتبة النبات همه تربية جسده وتصفية صورته، ولقد أخبر عنهم تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٢)، وهؤلاء لقلة فطانتهم وكثرة بلادتهم يخافون من كل شيء من المطالب الراجعة إلى المعرفة والدين، لأنهم يتوهمون أنها تخرجهم عن الدين مع أنهم ليسوا على شيء، ولو اهتدوا بشيء من الدين لما تخلفوا عن الدين ومعرفة الأئمة الطاهرين، فأولئك لم يبلغوا درجة الإنسانية وإنما اعتكفوا في القوة البهيمية، وانكبوا على الدنيا، ومن علامتهم في العلم أنهم لا يعرفون من القرآن شيئاً لا باطنه ولا ظاهره وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(٣)، والآخرة على

(١) الأعراف ١٧٩.
(٢) المنافقون ٤.
(٣) الإسراء ٤٥ ـ ٤٦.

تفسير الباطن كما في الأخبار علي عليه السلام، وهو إمام الخلق الذي معرفته كما في الأخبار حكمة، والحكمة كما عرفت من خواص صاحب القوى القدسية، فعلى هذا تفسير الآية من لم يؤمن بعلي ولم يعرفه عليه السلام ختم الله على قلبهم وعلى سمعهم وجعل على بصرهم غشاوة فلهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لايسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها بأنه عليه السلام به ملئت السماوات والأرض سماء المقبولات وأرض القابليات كلها، ومن كان على قلبه أكنة أي أغطية وعلى أذنه وقرا أي ختما لا يعرف شيئاً من القرآن أبدا.

فإن قلت: إنا نرى أن المخالفين الذين لم يؤمنوا به عليه السلام يعرفون ظاهر القرآن ويفسرونه، فكيف تقول أنهم لا يعرفون؟.

قلت:

أولاً: إنا قد برهنا في محله أن الظاهر دليل على الباطن ووسيلة وإلا لم يكن ظاهر، لأن كل ظاهر انجماد الباطن وتنزله كما أن الجسد ظاهر الروح ودليل عليها، ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن، بناء على هذا من عرف الظاهر عرف الباطن لا محالة.

وثانياً: إن ظاهر القرآن على ما عرفت من الأخبار هو أن الخيرات والطيبات المذكورة فيه كلها كناية عنهم عليهم السلام، كما أن الشرور والخبائث كلها كناية عن أعدائهم، هذا وورد في النصوص أن السماء والميزان والنحل والزيتون والتين والباب والشجرة والجنة والشمس والقمر والنجوم والماء والنور والكتاب والقرآن والفرقان والرحمة والذكر والصلاة والصوم والبلد الطيب والبلد الأمين والبلد الحرام ومكة ومشعر وعرفات والمساجد والحكمة والآية والسورة وأم الكتاب واللوح المحفوظ والملائكة ونوح وإبراهيم وآدم وموسى وعيسى والحق والخير ويد وعين والرحمة والنعمة وأصحاب الكهف والعلم وإمام مبين هو الإمام عليه السلام.

والجهل والشر والغضب والشجرة الملعونة والمنكر والفحشاء والبغي والخمر والأزلام والأنصاب والجبت والطاغوت وود ويعوق ونسر واللات والعزى وجهنم والكلب والخنزير والدم والحيض والمرأة والظلمة وسجين والشيطان والكافر والكاذب والشرك والنفاق والطغيان وكل خبيث هو المخالف.

ولا شك أن من عرف ظاهر القرآن كما ورد عرف باطنه، فعدم المعرفة بباطنه دليل على عدم المعرفه بظاهره، هذا على تفسير الباطن.

وأما على تفسير الظاهر فنقول أن الآخرة هي القيامة، فمن آمن بها آمن بجميع ماجاء به النبي ﷺ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾(١)، ولا شك أن المنكرين لم يطالعوا جميع ما أتى به النبي الكريم والصادق الحميم، ولم يسمعوا إلى من قرأ لهم فكأنهم لم يكلفوا بها، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾(٢) قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾(٤)، والآيات هم الأئمة الطاهرون كما في الرواية، قال عليه السلام: (أي آية أكبر مني وأي نبأ أعظم مني) وقال عليه السلام: (أي آية أراها الله في الآفاق والأنفس غيرنا)(٥). انتهى، فلما أنكروا ما أتى به النبي من فضله عليه السلام عموا

(١) الحشر ٧.
(٢) المائدة ١٠٤.
(٣) لقمان ٧.
(٤) الأنعام ٣٩.
(٥) وجدت روايات قريبة من هذا المعنى، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ قال عليه السلام: (فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق) كامل الزيارات، ص٥٤٢.

وصموا وضرب عليهم معيشة ضنكا وحشروا أعمى لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، لأنهم نسوا ذكر الله الذي هو الإمام عليه السلام لما ذكرنا أنه صفة الله، ولا شك أن الصفة ذكر الموصوف، ولذا قال عليه السلام: (من عرفكم فقد عرف الله) وقال عليه السلام: (من عرفني فقد عرف الله).

والحاصل إن الإنسان قليل قليل، وإن الناس كلهم بهائم همهم الأكل والشرب والجماع وجمع الأموال والرئاسة، فلا يعرفون من القرآن إلا ما تدلهم اللغة عليه وذلك لا ينفعهم أبداً، فيا سبحان الله هؤلاء الأنعام فضلاً كما لم يعرفوا من الحقيقة شيئاً يبغضون أهل الإيمان ويحسدونهم ويرمونهم بالشرك والغلو، وهذا من العجب العجاب، ثم العجب أنهم يعدون أنفسهم أنهم من نواب الإمام عليه السلام، ليت شعري أيكون الأنعام والبهائم نائبة عن الإنسان، لا سيما إذا كان ذلك الإنسان الإمام عليه السلام، إن هذا إلا غصباً منهم وتمويها على الضعفاء والجهلة والبلهاء، ولأجل ذلك تراهم ينقصون مرتبة الإمام عليه السلام، وينكرون فضائله حتى يتجانسوا معه، حتى يتمكنوا من التدليس والتمويه على المستضعفين من الرجال والنساء، ولولا هذا التنقيص في مرتبة الإمام عليه السلام لعل أحدا من الناس يتفطن بما قلنا من المناسبة والمجانسة بين النائب والمنوب عنه.

اللهم عظم البلاء، وخفي الحق، وظهر الباطل والكفر في عامة الخلق، وكثر الجاحد وقوى المعاند، وقل المؤمن العابد، وضعف العالم الناقد، وغلب العارف الواصل، واشتهر الغبي الجاهل، فنجنا وأهل العلم من تبعة الشيطان أهل الجور والطغيان، وأظهر دولة الحق وأحيي قلوبنا بضياء كماله، وأنر أبصارنا بنور جماله يا حنان يا منان، ووفقنا بعونك وتب علينا بغفرانك إنك ذو المن القديم والإحسان العميم، فارحمنا برحمتك وصل على أوليائك يا أرحم الراحمين.

# [أنواع العلوم]

فإذا عرفت أنواع المسافرين، وعلمت أن المسافر الواقعي ليس إلا الخصيصون من الشيعة، وعلمت أنواع علوم الطوائف الثلاثة، فاعلم أن العلوم على ثلاثة أقسام.

أحدها: علم كسبي يكتسبه الطالب من الكتب والدفاتر بالنظر والتعلم، وميزانه القواعد الأصولية والقياسات المنطقية فمعرفته قشرية، وإليه ـ أي إلى الكسب ـ يدل قوله عليه السلام: (خذوا العلم من أفواه الرجال) انتهى، وقوله: (اطلبوا العلم ولو بالصين) انتهى.

وثانيها: فطري أي خلقي، يعني أن كينونتهم كتاب تكويني كتبه الله بيمينه، وجعل قلوبهم خزينة لما يحتاجون إليه من العلوم والآداب، وإليه الإشاره في قوله عليه السلام: (العلم ليس في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيصعد إليكم بل نور مخزون في قلوبكم تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم) انتهى، وقوله عليه السلام:

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾(١)، وقوله عليه السلام: (نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون) انتهى، هؤلاء علومهم غير مكتسبة من الناس وإنما هي مخزونة في خزائن مشاعرهم ومداركم، تظهر بالرياضات الشاقة والمجاهدات الشرعية الواردة عنهم عليهم السلام.

وثالثها: علم لدني يأتيهم من الله بالقذف بالقلوب والنقر في الآذان، بكشف الحجب والأغطية عن مشاعرهم فيعرفون الشيء على ما هو عليه بما علمهم الله تعالى آنا فآنا في آناء الليل وأطراف النهار

(١) البقرة ٢٨٢.

وقوله ﷺ: (ليس العلم بكثرة التعلم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يحب فينفسح ليشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء، وقيل هل لذلك من علامة يا رسول الله، قال ﷺ التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلوله)، وهؤلاء أصحاب التوحيد الشهودي في الشهود، والتوحيد الحقيقي في حقائقهم كما يأتي بأنهم لا يرون ظهورا إلا ظهور الحق تعالى، ويرون أن كل شيء مما دون العرش إلى قرار الأرض السابعة السفلى باطل مضمحل ما عدا وجهه الكريم، فلما نظروا بهذا النظر ووصلوا إلى هذا المقام تظهر لهم غلبة سلطان الوحدة، بحيث تفنى الكثرات كلها حينئذ، ولا زالت مشاعرهم الخمس الظاهرية والباطنية ناظرة إلى كبرياء الله تعالى، وأما عقلهم فهو خزينة المعاني المجردة الكلية، وأما نفسهم فهي خزينة الصور الكلية المجردة، يشاهدون بها عظمة الله وقهاريته.

ثم اعلم أن الإنسان الجامع الواقف بين التطنجين تطنج النور وتطنج الظلمة، تطنج عليين وتطنج سجين، إذا أرادوا السير إلى الله لتحصيل التوحيد الحقيقي فلا بد له أن يخرق الحجب، حجاب الفضة، وحجاب الذهب، وحجاب الزبرجد، وحجاب الألماس، وحجاب الياقوت، وحجاب الزمرد، وحجاب العقيق الأصفر، وحجاب اللؤلؤ الأبيض، ثم يأتي مقام قوب القوسين أي العقل المرتفع، ثم يسير من العقل المرتفع إلى مقام الكبرياء، ثم يسير من مقام الكبرياء بجذب الأحدية إلى مقام العظمة، ثم منه إلى مقام الجلال، ثم منه إلى مقام القدس والتنزيه، فينزه السائر ربه هناك عن صفات ما عداه، لأن كمال التوحيد نفي الصفات عنه.

فلما وصل إلى هذا المقام بعناية النور التمام يأخذ في خرق حجب الأسماء والسير فيها، فأول منها العلي العظيم، فهو هناك ينظر إلى علو المقام بأنه علا على كل شيء، ثم يسير إلى الحجاب

الرحيمية فيشاهد الفضل على المؤمنين، ثم يسير إلى الحجاب الرحمانية فيظهر له هناك سر إعطاء كل ذي حق حقه والسوق إلى كل مخلوق رزقه، ويشاهد معنى ما يقول السراج المنير للأشعة والظلال بلسان الحال دون المقال ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾(١)، ثم يصعد السائر بجذب الاسم الأعظم (الله) فيشاهد أن الأسماء كلها تحت هيمنة ذلك الاسم من أسماء القدس وأسماء الخلق وأسماء الإضافة، ويرى أن ذلك المقام مقام (أطعني أجعلك مثلي أنا أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون)، ومقام خطاب (يا ابن آدم أنا حي لا أموت وأنت حي لا تموت)، وينكشف له هناك معنى قول الرضا عليه السلام كما في التوحيد والعيون والكافي: (أول ما اختار تعالى نفسه من أسمائه العلي العظيم لفظه العلي العظيم ومعناه الله)، ويرى أن هذا الاسم موصوف لكل الصفات ومسمى لكل الأسماء، ثم يترقى من هذا المقام إلى مقام الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الأكبر الأكبر الأعلى الأعلى وهو هو، فعند ذلك تسلب التعينات وتنعدم المشخصات وتضمحل الصفات والموصوفات والأسماء والمسميات، فحينئذ يتمحض السائر في الاسمية والوصفية، ثم ينظر إلى معدن العظمة الإلهية والهيمنة الربانية التي تحت حجاب القدس الذي ظهر منه النور في الطور لموسى عليه السلام بقدر سم الإبرة، وقد ورد أن ذلك النور من نور رجل من شيعة علي عليه السلام، فلما وصل الواصل إلى هذا المقام فقد وصل إلى ذاته وحقيقته، فيسير حينئذ إلى ما لا نهاية له، ويسمى هذا العالم بعالم اللانهاية يدور الواصل على نقطة ذاته غير خارج منها إلى غيرها، لأن الشيء لا يجاوز حده وليس وراء هذا له مقام ولا مقام.

---

(١) الإسراء ٢٠.

قد طاشت النقطة في الدائرة ولم تزل في ذاتها حائرة
محجوبة الإدراك عنها بها منها لها جارحة ناظرة

وقولي بقدر سم الإبرة هذا في أول الأمر بالنسبة إلى سعة ذلك العالم، فلما قوى نظره تتبع الفرجة إلى أن يرى هناك قطاع صغار أولا، ثم يرى دائرة تامة صحيحة الاستدارة، ثم يرى كرة مجوفة في جوفها محور، فلما كرر النظر وأمعن فيه يرى أن الكرة عين المحور والمحور عين المركز والمركز عين القطب، فعند هذا النظر يشاهد أن الدائرة هي الكرة والكرة هي الدائرة، فيدرك إذن أن ظاهره عين باطنه وباطنه عين ظاهره، فيظهر له سر التوحيد وحقيقة التفريد وسر معنى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فيتبين له هذا المقام الذي ما أدركه إلا العالمون، ثم يظهر له بعد ذلك عالم المحو والسكر والفناء(١)، فتضمحل جهة الإنية ويفنى منشأ التماسك بالمرة فيخر العارف حينئذ ساجداً لعدم تمكنه عن القيام والكلام.

---

(١) التعليقة ٣٤: أقول المؤلف في كتابه هذا لا يعترف بالعرفان الصوفي العملي، بل تعابيره هذه لها معنى غير الذي عند التصوف، فمعناها الفناء والاتحاد في حقيقة العارف نفسه التي تجلى الله فيها كونها آية تعريفه للعارف، والعارف لا يتجاوز مبدأه، ومبدأه حقيقته، أي فؤاده، يقول الشيخ علي نقي في رسالة التوحيد: (فإذا قطع الطالب علائق المحبة، وصحا من سكره، انكشف ذلك الحجاب، فاتحد بالمحبوب فيكون التوحيد شأنه، وهو التوحيد الوجودي. واعلم أن ما عبرت عنه بالاتحاد والفناء، فهو صفة من الصفات، لتنزه الذات عن الحلول والاتحاد، وبكل معنى، وقد أشرت إلى هذه المعاني بما فيه كفاية للمنصف المستبصر، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) [ص٣٥]. ويقول أيضاً: (وقولي: توحيد الحق لنفسه؛ تعبير وكناية عن عدم إدراك أحد لكنه ذاته، وإلا فحقيقة التوحيد هو المحبة التامة، المشار إليها بمقام أحببت أن أعرف، وهو التعين الأول، وذلك صفة الذات، والحجاب الأعظم بسبحات من لا يعرف كيف هو إلا هو. =

هذا الذي ذكرنا هو الطريق الموصل إلى العلم اللدني، والاستيهال إلى فيضان فيض المفيض من فوارة القدر إلى قلب هذا البشر، فعلى الواصلين السلام وعلى الطالبين التحية والإكرام مادام دوران النور والظلام.

---

= وأما أهل التصوف فلا يعنون بحقيقة الفناء المطلق، والبقاء في الحق إلا الفناء في الذات، والبقاء بها على أنه عينه، وهذا كفر محض؛ لتنزه الذات من مجانسة الصفات، فكلما كان غيره في جهة فهو من كل جهة، بل حقيقة التوحيد صفة الموحد ـ اسم مفعول ـ قائمة به، فلا يكون هي الذات؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف. فالمحبة والمعرفة مقامان هما منقطع الإشارة، فكل من وحده وعرفه، فإنما يوحده ويعرفه بصفة من صفات توحيده، ويدرك نعتا من نعوته، هو وجهه إليه، ولهذا قال عليه السلام: (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا). فهم المعرفة، فحقيقتهم المحبة التامة المستديرة، التي غايتها نفسها، فهي غاية كل غاية، ونهاية كل بداية) [تحقيق الشيخ صالح الدباب، ص١٠]. ويقول أيضاً في نفس الكتاب: (أقول: اعلم أن الشاهد هو المشهود في الظهور والشهود، فشهد لنفسه بنفسه بالوحدانية والفردانية، وأشهد خلقه ما شهد لنفسه بنفسه، إذ الشاهدية والمشهودية فعله وخلقه، فالشاهد هو الظاهر بالألوهية، القائم بالربوبية، والمشهود نفس الألوهية والربوبية، فأثبت الألوهية بالألوهية، قال تعالى اسمه: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قآئما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم). فشهادة الحق للحق حق، وشهادة الخلق للحق رسم؛ لأن شهادة الحق تجليه لنفسه بنفسه، وشهادة الخلق للحق تجلي صفته لهم بهم، فوجوداتهم شهادة لشهادته لنفسه بنفسه، فكل ذرة من ذرات الوجود شاهدة بوجودها وتحققها، بشهادة موجدها لنفسه؛ لتقومها به، ولكونها أثر فعله، فهو الواحد الذي ترجع إليه الأشياء، وتستند إلى فعله وإنشائه كما شاء) [ص١٥]. فتدبر وتبصر أن أساس العرفان العملي هو إدراك محكمات توحيد الله أولا من كلمات أهل العصمة عليهم السلام وليس من أقطاب التصوف أصحاب وحدة الوجود. (من ثمرات الحكمة).

ثم اعلم أن خرق هذه الحجب قد يحصل لطالب شديد الحرارة قوي الطلب كثير المحبة في أيام قلائل ولعل في أسبوع أو أقل وأقل كما قيل:

(طي مكان ببين وزمان در سلوك شعر    كاين طفل يك شبه ره صد ساله مي رود)

وقيل أيضاً:

(ان خويش كذ شتيم رسيديم بمنزل    دشوارب ايني راه همين يكدو قدم لوذ)[١]

ولعل لا يحصل في الدنيا بل في البرزخ أو في الآخرة[٢]، لكنه لا بد من طي هذه المنازل وخرق هذه الأستار، كيف لا وإن العلة الغائية في الإيجاد ليس إلا هذا.

## [طرق السلوك]

وإن شئت طريق الوصول إلى المقصود فكن على الطرق الثلاثه في السلوك.

أحدها: طريق الأخيار وأرباب الصدور، أهل الاستدلال وأصحاب الأعمال الظاهرة، من الصوم والصلاة والحج والجهاد وقراءة القرآن، ودوام الذكر وإصلاح الظاهر على ما قرر في الشرع

---

(١) انظر إلى مرور الزمان والمكان واسلك، لأن هذا الطفل قد يمشي الطريق الذي يمشى في سنة في يوم واحد، وقيل أيضاً، نسينا أنفسنا ووصلنا إلى المنزل، صعوبة الطريق كانت في أول الخطوات الأولى (ترجمه إلى العربية الحكيم الإلهي والفقيه الرباني ميرزا عبد الله الأحقاقي دامت بركاته).

(٢) التعليقة ٣٥: أقول قصد المؤلف أن السفر في قوس الصعود إما يكون اختياريا وهو بالمسافرة العرفانية كما في الحديث: (موتوا قبل أن تموتوا)، أو بالسفر الجبري ويكون ذلك بالموت حيث أشار سبحانه بقوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي بعد الموت، وقد تحدثنا أكثر تفصيلا في التعليقة رقم(٢٢) (من ثمرات الحكمة).

الأنور لأنها تقوى العوام تصفي تلك الأعمال، وتطهر باعتبار نية القربة ظاهر البدن، وتجعل الباطن مستعداً لأعمالها حيث يستشرق بنور الهداية، هذا إذا كان العامل صادقاً في قصده خالصاً في نيته في الجملة، فالتقوى خير الزاد للسالك المسافر، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾(١)، وزاد أرباب الصدور الاجتناب عن المحرمات والامتثال للأوامر الشرعية الواجبة.

وثانيها: طريق الأبرار وأرباب القلوب، وهو طريق تهذيب الأخلاق من الإفراط والتفريط، وهذا تقوى الخواص، وزاده التجنب عن الأخلاق الرذيلة الذميمة والتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب القلبية، مع مراعاة الأعمال الظاهرة التي لأصحاب الصدور والامتثال للأوامر الشرعية المندوبة، لأنها تجلي الباطن ويستأهله للعنايات الإلهية والفيوضات السبحانية الواردة من عالم القدر بأمر مستقر، فتهذيب الأخلاق وتزكية النفس من أخلاق السوء غايته تعمير الباطن وتطهيره لجلوس سلطان الفؤاد وباب المراد وعين الوداد وآية رب العباد.

وثالثها: طريق أرباب الأفئدة وأصحاب الحقيقة، وهو طريق السالكين إلى الله حقيقة، لأن هذا السلوك هو المقصود بالذات بخلاف الأولين، لأنهما وإن كانا مقصودين إلا أن مقصوديتهما تكون من باب المقدمة بالنسبة إلى هذا الطريق، وعمدة الأعمال في الموت الاختياري كما قال ﷺ: (موتوا قبل أن تموتوا) انتهى، وزاده الإعراض عن التفات الغير والنظر إلى سواه تعالى، والإقرار بالعقائد الصحيحة الموزونة بالقسطاس المستقيم مع مراعاة الأعمال الظاهرة البدنية والأعمال القلبية، والاجتناب عن الحلال أيضاً، وهذا هو تقوى أخص الخواص.

---

(١) البقرة ٢٨٢.

وفائدة هذا الطريق الوصول إلى تجليات المحبوب ومعرفة النفس التي هي معرفة الرب، وتحصيل مقام حق اليقين بالكشف والشهود، وأصحاب هذا الطريق يسمون بأصحاب المحبة وأرباب المودة، والمحبة على ما فسرت بأنها هي أمر عيني نزل من عالم الغيب على حبة القلب فيمنعه عن ملاحظة ما سواه تعالى وإدراك الغير، ثم ينزل على النفس وشئوناتها فيمنعها عن تصور ما سواه تعالى، ثم ينزل على الجوارح والأعضاء البدنية فيمنعها عن الاشتغال في خدمة ما سواه تعالى.

ويسمون أصحاب القلوب بأهل الرجاء والاشتياق، ويسمون أصحاب الصدور بأهل الخوف والخشية، كما أشار إليه الصادق عليه السلام في قوله: (نجوى العارفين يدور على ثلاثة الخوف والرجاء والحب فإذا تحقق العلم في الصدر خاف وإذا صح الخوف هرب وإذا هرب نجى وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل وإذا تمكن من رؤية الفضل رجى وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب وإذا وقف للطلب وجد وإذا انجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة واستأنس في ظلال المحبوب وباشرأوامره واجتنب نواهيه واختارهما على كل شيء) إلى آخره.

ثم اعلم أن مفتاح الوصول إلى المراد العزلة عن الناس وترك المعاشرة معهم لأنها سم قاتل، والسكوت عن الكلام لا سيما عن فضوله، ولذا قال علي عليه السلام (إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب) انتهى، والتفكر فإنه ينور القلب ويقرب البعيد ويحصل به تيسير الأمور الصعبة الشاقة، قال عليه السلام (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)، وفي أخرى: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) انتهى، وفي أخرى: (هل العبادة إلا التفكر) ولأجل ذلك قال مولانا وسيدنا وحبيبنا وأستاذنا سيد العرب والعجم وفخر الأمم النائب للقائم السيد كاظم الرشتي أطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداه، عن شيخه

الجليل والحبر النبيل والعالم الدليل معمر قوانين الشريعة والإسلام مزيف أقاويل أهل الحكمة والكلام مبين الحق في الأصل والفرع من الإمام عليه السلام الشيخ الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي(١) أعلى الله مقامه ورفع في الدارين أعلامه بأنه رحمه الله كثيراً ما يرغب بالتفكر في كل يوم وليلة أقلا ساعة، وكان ذلك الجناب مواظبا على التفكر ويقول أن تفاصيل علومنا هذه كلها حصلت من التفكر.

وكيفيته أن يتوجه إلى الله بآثار صنعه ومخلوقاته وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ﴾(٢).

---

(١) هو الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي، ولد في الأحساء في قرية (المطيرفي) في شهر رجب سنة (١١٦٦ هـ). من مشائخ إجازته: الشيخ أحمد الدمستاني البحراني، السيد ميرزا محمد مهدي الشهرستاني، الشيخ جعفر بن الشيخ خضر النجفي، السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم، الشيخ حسين آل عصفور البحراني، السيد علي الطباطبائي. تتلمذ عليه العديد من العلماء ومنهم: السيد كاظم الرشتي، الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر، الميرزا حسن الشهير بكوهر، الشيخ أسد الله التستري الكاظمي، الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي صاحب كتاب الإشارات، السيد عبد الله شبر، أبنائه الشيخ محمد تقي والشيخ علي نقي والشيخ عبد الله. له أعلى الله مقامه ما يقارب (١٤٠) كتابا ورسالة وأجوبة بلغت أكثر من (٥٥٠) في مختلف العلوم والمعارف، أهمها: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، وشرح الفوائد، وشرح العرشية وشرح المشاعر للملا صدرا، وقد ذكر في أعلام هجر للسيد هاشم الشخص (١٧٣) كتابا ورسالة. توفي أعلى الله مقامه يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة سنة (١٢٤١هـ) في منقطة يقال لها (هدية) ما بين المدينة ومكة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم الصلاة والسلام. راجع سيرة الشيخ الأوحد بخطه، سيرة الشيخ بقلم ابنه الشيخ عبد الله، دليل المتحيرين للسيد الرشتي، أعلام هجر ج١.

(٢) الأعراف ١٨٥.

أقول: والسر في قوله (وأن عسى...إلخ) هو أن هذا العالم عالم الجمع والاجتماع، ولذا سمي عالم الأجسام بيوم الجمعة، لأن هذا العالم منطوية فيه صور جميع العوامل الغيبية وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(١)، فمن تفكر في هذا العالم على الشرائط والآداب فقد يجد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لأن الآثار تتجدد آناً فآناً.

وهذا العالم كتاب أهل المشاهدة والعيان، وهو كتاب الأنبياء والأولياء على اعتبار، وللآية معنى آخر لا إذن لي في إبرازه، طوبى لمن فاز به ولا يسع المقام أيضاً، وإن كان كما قيل في مثل هذا المقام فهمه صعب وبيانه أصعب.

والحاصل لا عبادة كالتفكر، ألا ترى أنه تعالى يمن على إبراهيم الخليل بإراءته ملكوت السماوات والأرض، ولكن التفكر شرط لا يتأتى إلا به وذلك اطمئنان الخاطر واجتماع الحواس والإعراض عما سواه واختيار العزلة وتقليل الأكل، لا ترك الحيواني أو شيء مما أنعم الله عليك وحلله لك.

## [ذكر الآداب لأصحاب السلوك]

وينبغي لنا ذكر الآداب في الجملة تبصرة للسالك، فنقول:

أيها السالك ينبغي لك بعد التفكر وجمع الحواس الأكل والشرب واللباس، فعليك بالحلال الطيب منها، لأن الحلال يعين على التوجه والإقبال والتفكر، وينبغي لك ترك مصاحبة المنافقين والجاحدين لأنها أضر كل شيء، وترك مجالسة الفاسقين إن قدرت، لأن في صحبتهم تأثيراً عظيماً في الاشتغال عن الله المستلزم للتبعيد المستلزم للخسران

---

(١) الحجر ٢١.

المستلزم للنيران، إلا لقضاء حاجة الإخوان من المؤمنين ورفع الظلم عنهم، أو لإرشاد الفاسقين شيئاً فشيئاً لأجل المصاحبة، لكن الإرشاد وظيفة الكاملين الذين لا يغيرهم ملاقاة الفسقة والظلمة وغيرهم، لأن الكامل كالبحر لا ينجسه شيء، وأما السالك فكالماء القليل ينجس بمجرد الملاقاة، وينبغي لك ترك مصاحبة الكذاب فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في خذله مما تحتاج إليه، ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك(١)، ومصاحبة القاطع لرحمه فإنه ملعون كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾(٢) الآية، ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة وأقل من ذلك.

وينبغي لك مصاحبة الأخيار من أهل العلم وأصحاب الذكر وأرباب الأخلاق الحميدة العارفون بالله وفضائل آل الله من حملتها من القرى الظاهرة التي يجب السير فيها للمسير إلى القرى المباركة، فعليك بتحصيل معرفتهم فإنها أوجب من الصوم والصلاة والخمس والزكاة وسائر العبادات، لأن الأعمال لا تقبل إلا بمعرفتهم لأنهم ركن الإيمان، وباب الرحمن، وشافع الخلق إلى الجنان، فمن خالفهم يستحق النيران، لأن هؤلاء الأكابر القرى الظاهرة حملة آثارهم عليهم السلام، وباب معرفتهم ومقاماتهم، فمن أراد الدخول دخول البيت الذي من دخله كان آمنا يجب عليه أن يدخل من بابها، وبابه هو الذي قال عليه السلام كما في الكافي: (انظروا إلى الرجل منكم من روى وحديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكما

---

(١) في المخطوطة: يضرك.

(٢) محمد ٢٢ ـ ٢٣.

فإني قد جعلته عليكم حاكما فالراد عليه كالراد علينا والرد علينا كالراد على الله وهو في حد الشرك بالله) انتهى.

وهذا الحديث الشريف إشارة إلى من نظر في الحلال والحرام أي الفروع من الأحكام، (وعرف أحكامنا) أي الأصول والاعتقادات يجب الأخذ عنه والتسليم، فإن رده هو الرد على الله وهو الشرك بالله، لأن قوله قول الله، لأنه لا يقول إلا عن قول الله وقول رسوله وأهل بيت رسوله، فمن أنكر قوله فقد أنكر الحق تعالى، ومعرفة علم الحلال والحرام أي العلم بالأحكام الفرعية، ومعرفة الاعتقادات من معرفة بارىء الأرضين والسماوات ومعرفة الأئمة السادات، ومعرفة الأسماء والصفات وما يتعلق بها واجبة على المكلفين، لا سيما على الرئيس القائم مقام الإمام عليه السلام.

ثم اعلم أن نسبة المعرفتين نسبة الروح والجسد فالاعتقادات كالروح والأعمال الفرعية كالجسد لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن الجسد بلا روح لا حراك له والروح بلا جسد لا ظهور لها، وإلى ذلك أشار عليه السلام بقوله: (من آمن بالظاهر ولم يؤمن بالباطن لم يك ينفعهم إيمانهم، ومن آمن بالباطن ولم يؤمن بالظاهر لم يك ينفعهم إيمانهم، لا ظاهر إلا بالباطن ولا باطن إلا بالظاهر(. انتهى.

فالحامل لمعرفة الظاهر والباطن هو الذي يكون الرد عليه رداً على الله تعالى[1]، وأما الذي حمل علم الظاهر من الأحكام الفرعية كالفقهاء فليس هذا الحديث شاملاً لهم وإنما الشامل لهم رواية أبي خديجة حيث قال فيها: من عرف شيئاً من قضاياهم عليهم السلام [و] هو الفقه، فهؤلاء العلماء من الفقهاء مرجع المكلفين في الأحكام الفقهية

---

(١) التعليقة ٣٦: صفات الفقيه الحكيم والفرق بينه وبين الفقيه العادي تم شرحه في التعليقة رقم (١٠) فراجع (من ثمرات الحكمة).

الفرعية، وصح الأخذ عنهم فيما هم عليه من العلم وهو الفقه، هذا إذا لم ينكروا ضروريا من ضروريات الدين وإلا فلا يصح الأخذ عنهم بل ولا يجوز مصاحبتهم لأنهم حينئذ على سوء.

والحاصل إذا وقفت بالباب الجامع فاحضر عنده وكن معه حيثما كنت حتى يدخلك البيت، بيت آل محمد ﷺ حتى تكون آمنا من كل هول ووحشة وشدة ومن كل بلاء، من بلايا الدنيا والآخرة، فلا تغفل عن وصيتي هذه تكن من الخاسرين الذين ظلموا أنفسهم وهم يعلمون أنهم إلى ربهم راجعون.

وينبغي لك أيها السالك بما ذكر الصادق عليه السلام لعنوان البصري حيث قال: (أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله عز وجل، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله.

ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم ـ فاحفظها وإياك والتهاون بها.

قال عنوان: ففرغت قلبي له.

فقال عليه السلام: أما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالا، وسم الله واذكر حديث، الرسول ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، فإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشرا، فقل إن قلت عشرا لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل إن كنت صادقا فيما تقول ـ فالله أسأل أن يغفرها لي، وإن كنت كاذبا فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لك، ومن وعدك بالجفاء فعده بالنصيحة والدعاء.

وأما اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم

تعنتا وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلا، واهرب من الفتيا هربك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً)[١].

ثم ينبغي لك في التوجه والعبادة أن تعتقد أنه تعالى يراك وأنك حاضر عنده تعالى أينما كنت، قال عليه السلام: (وحروف العبد ثلاثة ع ب د فالعين علمه بالله والباء بونه عمن سواه والدال دنوه من الله تعالى بلا كيف ولا حجاب)[٢] انتهى.

وينبغي لك أن تواسي مع الإخوان بما أعطاك الله من حطام الدنيا، وتقضي حوائجهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك كائنا ما كان، وإلا تسلب عنك المعرفة وتنسلخ سلخا، وتفرح بفرحهم وتحزن بحزنهم، لأن المؤمن أخ المؤمن من أمه وأبيه كما ورد عنهم عليهم السلام في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت: ما حق المسلم على المسلم.

قال: (له سبع حقوق واجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب.

قلت له: جعلت فداك وما هي؟.

قال: يا معلى إني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل.

قال قلت له: لا قوة إلا بالله.

قال: أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره،

---

(١) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار؛ ص٣٢٧.

(٢) مصباح الشريعة؛ ص٨.

والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى، والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه، والحق السابع أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك)[١] انتهى.

(١) الكافي ج٢؛ ص١٦٩.

# تنبيه [١١]

## [تحقيق مسألة المعاد الجسماني]

ذكرنا سابقاً أن الأشياء كلها متحركة مستمدة من الله تعالى في جميع حركاتها، وقلنا من الحركات الحركة الجوهرية، وقلنا أن من ذهب إلى الحركة الجوهرية في السلسلة الطولية يلزمهم أن لا يكون المعاد جسماني، وذكرنا معنى السلسلة الطولية بأن المراد بها سلسلة العلة والمعلول، وذكرنا أنهم قالوا أن الجماد يترقى فيصير نباتا، والنبات يترقى فيصير حيوانا، والحيوان يترقى فيصير إنسانا وهكذا، وقلنا أن هذا باطل لأنه يستلزم بالآخرة أن يترقى المعلول فيصير علة وهم يلتزمون بذلك، وقلنا أن الشيء يتحرك بالحركة الجوهرية في السلسلة العرضية، وفسرنا بأن كل شيء لا يتجاوز محله فيكون الجماد في الجمادية أبداً، والنبات في النباتية أبداً، من دون انقلاب ومجاورة إلى مرتبة الحيوانية، وكذلك الحيوان أبداً في مرتبته من دون انقلابه إنسانا، لأن كل شيء من خلق الله لم يخلقه عبثا، وإنما خلقه مظهرا لقدرته ومنشأ لكماله الفعلي، وخلقه تعالى عطاؤه وفيضه، وفيض الله لا ينقطع أبدا؛ لأنه غني لا يفتقر، قادر لا يعجز، عالم لا يجهل، جواد لا يبخل، فيكون كل شيء من الموجودات موجوداً في مرتبته وإلا لزم العبث الباطل ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا

تُرۡجَعُونَ﴾[١]، والمراد بالرجوع في الآية الرجوع إلى فيضه ومدده، لأن الرجوع إلى الذات محال كما عرفت منا سابقا.

فلما ذكرنا الحركة الجوهرية وأشرنا إلى المعاد ناسب أن نذكر مسألة المعاد وشبهة الآكل والمأكول إجمالا، وإن كانت صعبة إلا أن إجماله ضروري بديهي لا يفتقر إلى البيان.

فنقول: إن المعاد أي عودة الأرواح إلى الأجساد بعد الموت ثابت اتفاقا من المسلمين خلافاً للحكماء[٢] والدهرية، وأيضاً لولاه لكان التكليف عبثا لما نراه من عدم مجازات المكلفين في الدنيا مع أنها لازمة لترتيب المسببات على الأسباب، فلابد من نشأة أخرى لتجزى كل لنفس بما كسبت، ثم إنه ليس بمحال عند القدرة المطلقة الإلهية، وقد أخبر عنه تعالى في كتابه وهو صادق، وأخبر أولياؤه وحججه عليهم السلام، وما قيل بأنه لولا الدليل النقلي على المعاد الجسماني

---

(١) المؤمنون ١١٥.

(٢) التعليقة ٣٧: أقول إن الفلاسفة المشائين المسلمين لا يؤمنون بالآخرة بالعقل بل من خلال نصوص القرآن فقط أي تعبدا بالنصوص لا غير، والسبب عند الفلاسفة أن المعدوم لا يعود فعودته من الاستحالة حدوثها بعد انعدامه، يقول ابن سينا في هذا الصدد: (يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو منقول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث.... إلخ). [الشفاء/ الإلهيات، ص٤٣٥] وحاصل قول المشائين أن الشيء إذا فني وأعدم لا يعود، والحقيقة الفيزيائية تقول أن الشيء لا يعدم بل وحتى علم الرياضيات يثبت أن الشيء لا يصل للصفر في حال قلنا أن الصفر يساوي العدم إنما العدم يقع على التركيب وليس على مادة الشيء فالمادة تلبس الصور من حال إلى حال. إذا عدم المدة لا يقع بمحكم الدين وكذلك بمحكم الفيزياء الحديثة إنما يقع العدم للصورة فقط لذلك قال الله سبحانه متحديا للكفار في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾. فتدبر جيداً. (من ثمرات الحكمة).

ما كان لنا برهان عقلي عليه لاستحالة العقل إعادة المعدوم ضعيف باطل جدا، لأنا قد برهنا بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن الجسم وكل شي مختار، وكل مختار مكلف، وكل مكلف له أعمال يجزى بها يوم القيامة، كما أن الروح المختارة تعاد يوم القيامة لأن دليل عودهما، أي عود الروح والجسم واحد كما سبق في مسألة الاختيار ويأتي إن شاء الله تعالى، وهذا الذي ذكرنا في إثبات المعاد الجسماني إجمالاً ضروري منكره خارج عن الدين داخل في زمرة المشركين.

وأما كيفيته في الجملة فنقول: إن الناس اختلفوا في حقيقة الإنسان في أنها أي شيء هي، فبعضهم قالوا أن الإنسان هيكله المحسوس، وبعضهم قالوا هو أجزاء أصلية داخلة في تركيب الإنسان لا يزيد بالنمو ولا ينقص بالذبول، وقالوا أنه جسم لطيف في داخل الإنسان سار في أعضائه، فإذا انقطع منه عضو وتقلص ما فيه إلى باقي ذلك الجسم، وإذا قطع بحيث انقطع مات الإنسان، وقال ابن الراوندي هو جزء لا يتجزأ في القلب، وبعضهم قالوا هو الأخلاط الأربعة، وبعضهم قالوا الدم، وبعضهم قالوا الروح وهو جوهر مركب من بخارية الأخلاط ولطيفها ومسكنها الأعضاء التي هي القلب والدماغ والكبد، ومنها ينفذ في العروق والأعصاب إلى سائر الأعضاء وجميع ذلك جواهر جسمانية، وبعضهم قالوا هو المزاج المعتدل الإنساني، وبعضهم قالوا تخطيط الأعضاء وشكل الإنسان الذي لا يتغير من أول عمره إلى آخره، وبعضهم قالوا هو العرض المسمى بالحياة وجميع ذلك أعراض، والحكماء وجميع المحققين من غيرهم قالوا أنه جوهر جسماني لا يمكن أن يشار إليه إشارة حسية إلى غير ذلك من الأقوال.

أقول: هذه الاختلافات إنما نشأت عن عدم وصولهم إلى نقطة العلم وسره، وإلا لما اختلفوا، والحق في المقام عند العلماء الأعلام

هو أن الإنسان مجموع الروح والجسد، لأنه خلقه الله مظهرا لإسمي الظاهر والباطن جامعاً ومملكاً، وجعل فيه جميع مراتب الجواهر والأعراض، ومراتب أنواع الوجود من الغيب والشهود، وهو قول علي عليه السلام

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

إلا أن في الإنسان الكامل عليه السلام والقائم مقامه كلها موجودة بالقوة، ومرادنا بانطواء جميع المراتب في الإنسان هو ما له في مرتبته في السلسلة العرضية، وأما المراتب التي ليست داخلة في مرتبته فلا تكون له بذاتها، نعم إنما تكون تلك المقامات الخارجة عنه داخلة فيه بأنموذجها وصفاتها وصورتها.

فإذا عرفت أن الإنسان هو الروح والجسد معاً فاعلم أن الإنسان له جسمان وجسدان، يذهب منها إثنان ويبقى منها إثنان، وبيان ذلك هو أن الله سبحانه لما خلق الإنسان في عالم الأرواح عالم الغيب، وكان في الكمال والنورانية والصفات بحيث ادعى الربوبية بالاستقلال أنزله الله إلى هذا العالم عالم الدنيا فقال له أدبر، فلما أدبر عن الله وأعرض مقبلا إلى هذا العالم لحقته الكثافات والكدورات بحيث اختفت تلك الصفاء والنورانية بالمرة، إلى أن ماتت من كثرة تعاود تلك الكثافات العرضية وتعاقبها شيئاً فشيئا، فصار كالذهب المغشوش بالصفر والنحاس، فلما عرف الإنسان عجزه وضعفه وعلم أنه مربوب له رب قادر متعال يقلبه ذات اليمين وذات الشمال، تلاطم بحر اللطف والرحمة فأحياه من موته ودعاه إليه وأرسل له حجته وأنبياءه تترى واحدا بعد واحد ليعلموه ما يصلحه عما يضره من الأعمال البدنية والقلبية، فلما كان ذلك العالم الذي نزل منه الإنسان عالما نورانيا صافيا من الكدورات والأعراض الخارجة، وكان من اللازم أن يكون بين الحال والمحل مناسبة، وجب أن يكون الإنسان الراجع يزيل عن

نفسه تلك الكدورات العرضية حتى تستأهل ذلك المحل، محل الأنس ومحضر القدس، هذا إجمال.

و تفصيله في الجملة: هو أنه لما نزل الإنسان من ذلك العالم بعد خطاب أدبر، ووصل إلى عالم الجسم عالم المحدد، أي العرش الجسماني، كان له هناك جسم شفاف خاليا من الكدورات كلها ثم نزل إلى الفلك الكرسي تغير صفاؤه في الجملة بلحوق الأعراض الحاصلة من كثرات الكرسي واختلاف حركاته وتصادم بعضها مع بعض، ثم نزل منه إلى فلك زحل فازداد عرضه وضعف صفاؤه وقل، وهكذا أنزل من سماء إلى سماء إلى أن وصل إلى الأرض عالم العناصر ضعف نوره وقل ظهوره لكثرة العوارض والكثافات، وقولنا أن الإنسان لحقته العوارض في الكرسي أولا ثم شيئاً فشيئاً ازدادت إلى أن وصل إلى الأرض، نريد به أن عالم الأرواح فوق عالم الأجسام وغيبها ذلك العالم على صفائه، وأما عالم الأجسام فهذا إنما انكدر بلحوق العوارض لها، وهذا هو المراد في مسألتنا هذه، وإن كانت هذه العوارض اللاحقة للجسم قد تكدر بها الروح أيضاً وأخرجتها عن صفائها، إلا أن تكدر الأرواح تصفي بالعقائد الصحيحة والإقبال إلى الله تعالى بتعليم الحجة من الله على الآداب المرعية وشرائطها، ونحن لسنا بصددها الآن.

فنقول: إن الإنسان الغيبي الروحاني الكامل لما وصل في تنزله إلى عالم الأجسام عالم الكثرة تكدر جسمه وجسده وخفي نوره، لأن التكدر هو شأن هذا العالم لوجود الكثرات وتصادم الحركات وتعاور الأهوية والميولات إلى أن مات لغلبة العوارض والكدورات، ثم لما أراد الله سبحانه بعميم لطفه إرجاعه إلى حضرته تعالى أحياه فقال له: أطع رسلي وأوليائي ليكونوا لك أنسا في سفرك هذا، فخاطب الله إياه بلسان أمنائه أقبل إلى جنتي ودار رضائي وأنا التواب الرحيم، لكنه

حيث عرضته العوارض أثقلته عن الصعود والإقبال إلى عالم الأنس والجمال، وجبت إزالتها ودفعها ليتمكن من الصعود وليكون مناسبا للجنة التي هي على كمال ما ينبغي في الصفاء واللطافة، بحيث تكون في الصفاء والذوبان وعدم الانجماد كالروح مع أنها جسم لكنها من ألطف الأجسام وأصفاها، وقد أخبر الصادق عليه السلام به والأخبار مشحونه بها.

فإذا علمت ذلك فاعلم أنا قد قلنا أن الإنسان مركب من الروح والجسم، والآن نقول أن كل واحد منهما أي من الروح والجسم مركب، لأن كل واحد منهما إذا لاحظته مستقلا برأسه وأنه ممكن يكون مركبا، لأنه تعالى لم يخلق في الإمكان شيئاً بسيطاً حقيقياً[(١)] والبسايط الإضافية أيضاً مركبة، إلا أن الغالب فيها جهة الوحدة كالعناصر مثلاً، لأن كل واحد منها مركب من المادة والصورة، وكل واحد منها مركب من العناصر الأربعة، إلا أن الغالب في النار عنصر الحرارة، وفي الماء عنصر الرطوبة، وفي الهواء عنصر البرودة، في التراب عنصر اليبوسة، فالنار فيها جهة البرودة كما ظهرت في نار

(١) التعليقة ٣٨: أقول مما لا شك فيه أن الحقيقة القرآنية تقول: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون). أي تصرح أن كل من دخل حيز الوجود إمكاناً أو تكويناً لا يكون بسيطاً مطلقاً، فلا بد من تركيبه تركيبة ثنائية، لأن عدم تركيبه يعني يمتاز بـ(الوحدة الحقة) التي هي من خصائص الوجوب سبحانه حيث صرح الله سبحانه: (قل هو الله أحد). نافيا اشتقاق أي ثان له، فسبحانه وتعالى عما ينافي وحدته الحقة وقال الرضا عليه السلام في هذا الشأن: (ولم يخلق شيئاً فردا قائما بنفسه دون غيره، للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده) فهذا الكلام من الله ومن المعصوم عليه السلام تكنس كل نظريات وحدة الوجود الباطلة التي أسست مقولة: بسيط الحقيقة كل الأشياء، فتدبر في توحيد خالقك. (من ثمرات الحكمة).

الخليل عليه السلام، والكلام في هذا المقام طويل الذيل لا يسعني بيانه فنرجع إلى ما كنا فيه.

فنقول: إن الجسم من حيث هو جسم مركب من مادة وصورة، لأن كل ممكن زوج تركيبي كما عن الحكماء الأوائل، وقال الرضا عليه السلام في حديث عمران الصابي: (إن الله لم يخلق شيئاً فردا قائما بذاته للذي أراده من الدلالة عليه). انتهى، ونعبر عن الجهتين في المركب مرة بالمادة والصورة، وتارة بالوجود والماهية، وأخرى بجهة من ربه وجهة من نفسه، ومرة بالنور والظلمة، وأخرى بجهة الفعل والانفعال وهكذا.

فإذا ثبت تركيب الجسم نقول: إنك عرفت مما زبرنا أن الجسم بعد تنزله بمادته وصورته لحقته الكثافات والأعراض من عالم الكثرة، يعني لحق مادة الجسم أعراض وغرائب من سنخ مادة الجسم، ولحق صورة الجسم أعراض وغرائب من سنخها، فحصلت هناك أشياء أربعة اثنان منها أصليان وآخران منها عرضيان، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الجسد له معان:

منها يقال جسد ويراد به الصورة فقط كما في مجمع البحرين في تفسير قوله تعالى: ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ أي ذا جسد، أي صورة لا روح فيها)[1] انتهى.

فإذا تحقق معنى الجسد نقول: أنا كما عبرنا عن الصورة بالجسد عبرنا عن المادة بالجسم، فنقول: أن للإنسان جسم وجسد أي مادة وصورة، وأما إذا قلنا للإنسان جسمان وجسدان فنريد بأحد الجسمين الجسم الأصلي وبالآخر الجسم العرضي كما ذكرنا، وكذلك نريد بأحد الجسدين الجسد الأصلي وبالآخر الجسد العرضي.

(١) مجمع البحرين، ج١ ص٣٧٤.

فإذا تمهدت هذه المذكورات نقول أن الجنة لا شك أنها بجميع ما فيها لابد أن يكون أصليا لأنها دار الخلود، والعرضي إذا لحق الأصلي يفنيه فينافي إذا خلود أهل الجنة فيها وكذا أهل النار حرفا بحرف، فإذا كان كذلك وأراد الله رجوع الخلق إلى ما فيه كانوا وجب أن يزيل عنهم تلك الأعراض الغريبة والفضليات الخارجية إلى أصولها، فيلحق الجسم العرضي إلى أصله، وكذلك يرجع الجسد العرضي إلى أصله، فيبقى هناك جسم وجسد أي مادة وصورة، ثم تلحق الصورة بالمادة وتتصل بها فيدخل الجنة أو النار، هذه التصفية وإخراج الغرائب في القبر بعد تحليل الأعضاء وتفريق الأجزاء، فيعود كل شي منه إلى ما منه بدأ، هذا الذي ذكرنا هو معنى قولنا أن للإنسان جسمان وجسدان اثنان منها باقيان هما يعودان واثنان منها عرضيان لا يعودان مع الإنسان، لأنهما حكما كاللباس في كونهما عرضيا بالنسبة إلى اللابس وهذا القدر من البيان كاف لمن كان من نوع الإنسان.

اعلم أيها الطالب أن الذي ذكرنا في الجسم والجسد بأن الباقي للحشر جسم وجسد لطيف بعد تصفية كل واحد منهما عن كثافته هذا بالنسبة إلى الجسم المعروف، وأما إذا عممنا معنى الجسم وأطلقناه على الروح كما في قول مولانا الصادق عليه السلام في الاحتجاج: (الروح جسم رقيق ألبس قالبا كثيفا)، فنقول على هذا يكون المراد من الجسدين؛ العنصري الذي يزيد وينقص يسمن ويهزل، والذي لا يزيد ولا ينقص وذلك هو الجسد الأصلي الذي يبقى في القبر، نسبة الأول إلى الثاني نسبة الجسم التعليمي إلى الجسم الطبيعي، أو قل نسبة الصورة المتبدلة إلى المادة، والمراد بالجسمين المركب الذي يخرج مع الروح ويفارق الجسد الثاني لحيلولة الموت، وذلك لطيف الجسد الثاني لأنه هو مركب الروح وهيكلها إلى نفخة الصور، فيصفى هذا الجسم كما يصفى الجسد فتذهب كثافته التي سميناها جسما أوليا

ويبقى لطيفه في الصور، فلما نفخ إسرافيل نفخة النشور تأتي الروح إلى القبر وتلج بها معها في ذلك الجسد اللطيف الباقي فتحشر إلى المحشر، وهذا هو الذي عليه المسلمون قاطبة لأنهم ذكروا في هذه المسألة بأن الخصوصيات الدنياوية بعينها لو تعود لكانت الآخرة هي الدنيا، وقالوا إن للجسم أجزاء أصلية وأجزاء فضلية، فالأصلية تعود بخلاف الفضلية، كيف لا وأن الأجسام الأخروية لا تحتجب عما وراها لصفائها ونورانيتها.

ثم اعلم أنا قد نعبر عن الأجزاء الفضلية بالجسد الذي لا يعود لأنها كالحجر الموضوع بجنب الإنسان، لأنه كالثوب يلبسه ويطرحه، وبالعصف للحب وبالصبغ للثوب وبالماء المتحرك، لأنها أعراض كالصبغ للمصبوغ والحركة للمتحرك وبالصندوق للجوهرة، كما في البصائر عن الصادق عليه السلام: (مثل المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا خرجت الجوهرة منه طرح الصندوق ولم يعبأ به)[1] انتهى.

والمراد بالبدن المشبه بالصندوق البدن العنصري الذي حصل من الأغذية لأنه لا ألم له ولا لذة ولا طاعة ولا معصية، كما ترى أن الرجل يمرض ويذهب منه جميع لحمه كالمدقوق وهو هو، وأنت تعلم أنه هو الرجل المطيع أو العاصي من دون عروض نقصان في طاعته ومعصيته، فإن ما ذهب منه ليس جزء منه ولا له مدخلية في الطاعة والمعصية، وإلا أي ولو كان الذاهب منه له مدخلية لذهب أكثر معاصيه بذهاب محلها، وقد يعبر عن الذاهب بالقوة الحيوانية العرضية لا الأصلية لأنها باقية وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾[2]، وأما العرضية فتعود إلى ما منه بدءت عود ممازجة لا عود مجاورة.

---

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج١ ص٤٦٣.

(٢) العنكبوت ٦٤.

وقد يعبر عن الذاهب الذي لا يعود بالقبر كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾(١) على ضرب من التأويل، بل هو صريح قول علي عليه السلام حيث قال: (وأجسادهم قبل القبور قبور).

ولا يتوهم أن الباقي من الجسد المحشور غير هذا الجسد الدنياوي أو أنه أقل في الوزن من هذا لو وزن، لأنا نقول أن الجسد الباقي المحشور في الآخرة هو هذا الجسد المرئي المحسوه الملموس الدنياوي من دون نقيصة في الوزن، لأن الأعراض لا وزن لها كالصبغ على المصبوغ، فإذا رأيت زيداً أخاك في الآخرة تقول أن هذا هو أخي تعرفه هناك كما تعرفه ها هنا إلا أنه على أصفى ما يكون، فهو هو وهو غيره، كما قال مولانا الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء لما سأله عليه السلام عن هذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾(٢) فقال: ما ذنب الغير؟

قال عليه السلام: (ويحك هي هي وهي غيرها)

قال: فمثل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا.

قال: نعم أرايت لو أن رجلا أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها) ذكره في الاحتجاج ومثله في تفسير الآية عن علي بن إبراهيم القمي في تفسيره.

أقول: إن هذه المغايرة صفتية عرضية لا ينقص من اللبنة شيء.

## [رد شبهة الآكل والمأكول]

والحاصل أن المعاد الجسماني ثابت بضرورة المسلمين فمن أنكره خرج عن الدين ودخل في زمرة الكافرين، وأما إنكار بعض أشباه

---

(١) الحج ٧.

(٢) النساء ٥٦.

العلماء المعاد الجسماني لشبهة الآكل والمأكول مستدلاً بأنه لو أكل إنسان لحم إنسان آخر فصار لحمه جزء للآكل هل المحشور هو الآكل أو المأكول، فإن كان هو الآكل وحده يلزم ألا يكون المأكول مثابا ولا معاقبا، وإن كان المحشور هو المأكول وحده يلزم أن لا يكون الآكل مثابا ولا ومعاقبا، وأما حشرهما معاً فمحال لصيرورة المأكول جزء للآكل، فباطل سخيف.

لأنا نقول: إنا قد ذكرنا أن للإنسان أجزاء أصلية وأجزاء فضلية، تلك الأجزاء الأصلية التي تعود في الآخره لا تؤكل ولا تهضم وإنما المأكول هو الأجزاء الفضلية، نعم تبقى تلك الأجزاء الأصلية في الجوف ثم تخرج إلى الخارج باقية إلى يوم المعاد.

# تنبيه [١٢]

## [إثبات وجود الجنة والنار]

اعلم أن كل شيء لا يتعدى حده ولا يتجاوز مرتبته، فالجسم لا زال في محله والروح لم تزل في مقامها، فلا تخرج الروح بنفسها وذاتها إلى مقام الجسم، ولا الجسم يخرج من محله إلى مقام الروح، كل في محله وإلا لم يكن الله حكيما.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن جنة الأجسام جسمانية(١)، وجنة النفوس نفسانية، وجنة الأرواح روحانية، وجنة العقول عقلانية وهكذا، وكذلك النيران، والسر في ذلك أن الجنة والنار مسببتان لسبب، وذلك السبب إن كان إقبالاً إلى الله بما أراد كما أراد لما أراد

---

(١) التعليقة ٣٩: أقول: إن جنة الدنيا والآخرة جسمانيتان وليستا مثاليتين أو معنويتين، يقول الشيخ الأوحد الأحسائي: (جوابه: أن تلك الجنة مظهر لجنة الآخرة، والدنيا مثال لها فكلما يوجد في الدنيا يوجد في جنة الدنيا وما يوجد في جنة الدنيا يوجد في جنة الآخرة، فكما في الدنيا والآخرة نكاح ففي جنة الدنيا نكاح لكن بعض العلماء سئل عن ذلك فقال الأدلة خالية من ذلك وتوقف في الجواب. ولكن أقول: أن الأدلة مصرحة بذلك منها ما أشار إليه ﷺ بقوله: (الدنيا مزرعة الآخرة)، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾) [الرسالة الخاقانية، ج١ ص١٣] خلافا لمن قالوا هي مثالية أو معنوية فقط، فتدبر (من ثمرات الحكمة).

فيما أراد يستوجب المقبل الجنة، فإن كان الإقبال بجسمه وحده فجسماني، وإن كان بروحه فروحاني وهكذا، ولو كان السبب إدباراً عن الله تعالى بما نهى كما نهى لما نهى فيما نهى يستحق المعرض العذاب الدائم الأليم، فإن كان الإعراض بجسمه فعذابه جسماني وإن كان بروحه فروحاني وهكذا، ولذا قلنا أن المؤمنين لا يخلدون أبداً لأن المعصية صدورها ليس عن قلبهم ولا هم راضون بها حين الفعل، وإنما فعلوها بظاهر أجسامهم باللطخ الحاصل من مجاورة المخالفين، بخلاف الكفار فإنهم مخلدون أبد الآبدين لرضائهم بكفرهم ومخالفتهم من قلبهم، فكل واحد من الفرقتين من أهل الجنة والنار يخلدون بنياتهم، لأن المؤمنين كانوا قاصدين في الدنيا أن لو عمروا أبد الآبدين يطيعون الله ولا يعصون أبداً، والكفار كان في إرادتهم أن لو بقوا أبد الآبدين أحياء في الدنيا يعصون الله ولا يطيعونه أبداً، فلما كانت نياتهم كذلك وكانت الأعمال بالنيات خلدوا على حسب نياتهم، وهو قول الصادق عليه السلام: (بنياتهم خلدوا).

فإن قلت: إن هذا المذهب يأبى عن ترتب آثار المعصية بمجرد القصد والنية وإنما الترتب بعد فعل المعصية وصدورها عن فاعلها.

قلنا: النية على قسمين أحدهما نية فعلية عرضية، وثانيهما نية ذاتية كينونية، فالتي لا يكتب أثرها ولا يترتب مسببها هو النية الفعلية، وأما النية الذاتية التي نفس كينونة الناوي وحقيقته فتلك النية أثرها معها حيثما كانت، وهو قوله تعالى: ﴿ورن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾(١) يعني الآن، وهذا السر لا يختص بالكافر والمخالف وإنما يعم المؤمن أيضاً، لأن كينونة ذاته مفطورة على الطاعة والإقبال، نعم إنما التخصيص في النيات الفعلية فإن نية الخير والطاعة محسوبة مأجورة

---

(١) التوبة ٤٩.

بخلاف نية المعصية والشر فإنها موقوفة على صدور الفعل عن الناوي، فإن فعلها ولابس بها الناوي بجسمه يكتب ويحسب وإلا فلا تفضلا منه تعالى على عباده.

# تنبيه [١٣]

## [المنكرون للمعاد]

إذا علمت منا سابقاً أن الشيء مركب من المادة والصورة وإنهما معاً يؤتى في المحشر ويعاد في القيامة، علمت فساد قول من ذهب إلى أن ما يعود في الآخرة هو الصورة النوعية لأنه إنكار للمعاد، على اعتبار أن المنكرين للمعاد كثيرون.

منهم الدهرية القائلون بعدم إعادة الأرواح والأجسام مطلقا.

ومنهم جالينوس ومن تبعه من الحكماء لأنه توقف على أن نفس الإنسان هل هي المزاج أو جوهر باق بعد فناء البدن.

ومنهم من أقر بالمعاد لكنه أنكر الخلود وأقر بانقطاع العذاب عن أهله مستدلاً.

ومنهم من أقر بإعادة الفاني لكنه قال بإعادة الصورة النوعية، مستدلاً فيما ادعاه بأن الصورة النوعية هي الثابتة وهي تعود، وأن المادة غير ثابتة لتبدلها وتغيرها في كل آن فلا تعود المادة وإلا يلزم القول بالتناسخ الباطل، ويلزم أيضاً تعذيب المحسن وإثابة المسيء لعدم ثبوت المادة، والحكم لا يجري إلا للشيء الثابت الباقي، وذلك الشيء الثابت الباقي هو الصورة النوعية فهي تعود لا غيرها.

أقول: انظر إلى سخافة هذا القول وضعفه، ليت شعري هل توجد الصورة إلا بالمادة، وهل ليس أعظم أركان الشيء إلا المادة كما هو

المشهور في الخشبة وصورتها، لأن الصورة عرض بالنسبة إلى الخشبة لا قوام لها إلا بالخشبة وليس لأحد من المأولين أن يقول مراد هذا القائل بالصورة النوعية شيئاً آخر غير الصورة، لأنه قال في استدلاله لو تعود المادة لزم التناسخ، والحاصل الشيء إنما تشيأ بمادته وصورته، فالمادة هي الأصل والصورة هي الفرع، وهي الفصل للمادة التي هي بمنزلة الجنس تميزها عما عداها، كما تميز صورة البابية الخشبة عن صورة الصندوقية، ولا شك أن الشيء مركب من الجنس والفصل وأنه متقوم بهما قياما ركنيا.

ثم أنا قد أثبتنا أن التغير والتبدل إنما هو للصورة دون المادة وهذا أمر عياني بديهي كما ترى في المداد الواحد في الجنسية المختلف في الصور الفصلية من صورة الألفية والبائية والجيمية وغيرها، فلا حكم على المادة من حيث هي هي وإن كان العامل المقتضي للأعمال هي وإنما الحكم على الصورة، ألا ترى أنه لو نزا كلب على شاة فأولدها فإن كان الولد على صورة الكلب فنجس حرام، وإن كان على صورة الشاة فطاهر حلال، وهو قوله ﷺ: (الشقي شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه) انتهى، يعني ﷺ ببطن الأم الصورة لأن الأب هو المادة والصورة هي الأم كما حقق في محله.

## [تحقيق في بطلان النسخ والمسخ والرسخ والفسخ]

وبالجملة لما قلنا أن العامل المقتضي هو المادة ثبت إعادتها لتجزى بما علمت، ولكن لما كانت المادة مستحيلة الانفكاك عن الصورة قلنا بإعادتها معها، إلا أن الصورة منها شخصية ومنها نوعية ومنها جنسية، فأما الجنسية فهي الفصل المميز بين الأجناس العالية، كما أن النوعية هي الفصل المميز بين الأنواع، وأما الشخصية فلا تفارق المادة فيكون المحشور يوم القيامة هي المادة في الصورة

المختصة بها، فإذا علمت أن كل شيء يعود بمادته وصورته ليجزى لما عمل به، فاعلم بطلان النسخ والمسخ والرسخ والفسخ.

وبيانه أن من القوم ومنهم الهنود والجوك ذهبوا إلى الفسخ يعني الإنسان الكامل إذا مات تنتقل روحه إلى جسد إنسان الآخر سواء كان موته اختياريا أم لا.

وأناس آخرون ذهبوا إلى المسخ وقالوا أن الإنسان الناقص لما مات تنتقل روحه إلى جسد حيوان من البهائم على ما يناسبه من العمل فبعض إلى جسد الكلب وبعض إلى جسد خنزير وبعض إلى جسد دب وهكذا.

وأما الرسخ فقالوا أنه عبارة عن انتقال روح إنسان ناقص بعد موته إلى جسد نبات من النباتات على حسب عملها.

وأما الفسخ فقد عرفوه بأنه عبارة عن انتقال روح إنسان ناقص بعد موته إلى جسد جماد من الجمادات على ما يناسب عمله.

هذه أقوال أربعة قالوها واستدلوا من النقل بحديث الخيط الأصفر في صيرورة علي بن الحسين عليه السلام بصورة ابنه الباقر عليه السلام كما العكس، وبأحاديث أخر في تقلبات الأئمة عليهم السلام بصور مختلفة وهيئات متكثرة، وإنما استدلوا بهذه الأخبار في النسخ، وأما في المسخ فاستدلوا بروايات أخر الواردة في أحوال المتكبرين وأهل الغضب والظلمة وآكل الحرام والذي يصغي إلى الغناء، والواردة في حق أهل العبادة على اختلاف درجاتهم وتفاوت صورهم في القيامة، وبما ورد أن القرآن يؤتى بصورة إنسان على كمال الحسن والنورانية، وأن مسجد الكوفة يؤتى بصورة رجل محرم، وبما ورد في الذي قراءة سورة يوسف يحشر في الحسن على صورة يوسف وهكذا.

وأما نحن فنقول أن المذاهب الأربعة باطلة بضرورة الإسلام وبما

ذكرنا أن الشيء لا يرتقي عن رتبته ولا يتنزل، يعني أن كل شيء لا يتجاوز عن مرتبته وحده، وذكرنا أن كل شيء فيه معنى كل شيء، بناء على هذا يحشر المتكبر على هيئة النملة لأنه عمل عملا ناسب أن يظهر على تلك الصورة وهي صورة باطن العامل الكامنة فيه، وهكذا جميع الصور.

وأما صيرورة الإمام علي بن الحسين على صورة ابنه عليهما السلام كالعكس فذلك ليس من باب الانتقال ولا يقال أنه انتقالي، وإنما هو تصييري، يعني كل واحد منهما كان قابلا لصورة الآخر، فأراد من الله ذلك فأعطاه الله إياه مع حفظ الصورة الأولى في غيبة من دون انتقال إلى غيره، وأما انقلابات كل واحد من الأئمة عليهم السلام بصورة مختلفة حتى في مجلس واحد في يوم واحد فذلك ليس بانتقال أيضاً ولا يسمى به ذاتا عند أهل المعرفة، وإنما يسمى انتقالا ظهوريا من صورة إلى صورة ومن تجلي إلى تجلي لكماله عليه السلام ولذوبان جسده، لأنه في اللطافة والذوبان كالروح وكأهل الجنة فيما يريدون، لأن إرادتهم عليهم السلام لا تكون إلا ويكون المراد معها لما قد تقدم أنهم محال إرادة الله ومظهر مشيئته تعالى، فإرادتهم إرادة الله، وفعلهم فعل الله، وقولهم قول الله ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾(١)، فلهم ما تشتهيه أنفسهم وهم نفس الله القائمة فيه بالسنن والآداب، وهم روح الله وعينه، خلقهم الله كاملين لقبولهم وإجابتهم وخضوعهم لله، فآتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين، أم تحسدون الناس بما آتاهم الله من فضله وشرفهم بمزايا ما لم يعط أحدا من المخلوقين.

(١) الأنبياء ٢٦ ـ ٢٧.

## [تجسم الأعمال]

ها هنا تنبيه آخر وهو في تجسم الأعمال، فاعلم أن الأعمال جواهر ثابتة قارة الذات في محالها وأمكنتها وحدودها عند الله، ولا تظن أنها أعراض فانية، كيف وإن الأعمال هي مادة الجنة والنار وأصلهما، وهو قوله عليه السلام: (إنما اعمالكم ترد عليكم) انتهى، ولقوله عليه السلام: (الجنة قيعان غرسها سبحان الله والحمد لله) وقوله عليه السلام: (الدنيا مزرعة الآخرة) انتهى، وورد أن الصلاة والصيام تكونان في صورتي رجلين نورانيين يجلسان معه في القبر يؤنسانه ويدفعان عنه أهوال البرزخ، وكذلك سائر الطاعات، وورد أن المعاصي تتجسم ويكون منها ماهو بصورة العقارب ومنها ما هو بصورة الحيات، ومنها ما هو على صورة أشخاص سود يوحشانه في القبر ويعذبانه، وما ورد عنه عليه السلام بأنه يؤتى يوم القيامة لرجل تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه... الخ، وإن كان هذا يدل على عرضية الأعمال إلا أن الأعراض ثابتة في محلها وهي جواهر على ما قلنا وبينا بأن كل شيء جوهر باعتبار وعرض باعتبار، ثم كون الشيء عرضا لا ينافي بقاؤه ولا ينافي أن يكون جسما، لأنا قد ذكرنا سابقاً أن الجسم قد يكون عرضياً بالنسبة إلى الروح.

وبالجملة إن الطاعات كلها والمعاصي بأسرها والأعمال مطلقا كلها أجسام أي ذوات متأصلة في غيب الأمكنة والأزمنة[1] حفظها الله

(١) التعليقة ٤٠: أقول كل ذرة خلقها الله لا تذهب للعدم، بل كل ما خلق ووجد أو نتخيله لا يذهب للعدم حتى المعاصي ومنها تبنى الجنان والنيران وهذا ثبت في الحكمة القرآنية، وما يجري عليه المحو هو الماهية (التركيب) باستمرار وليس (المادة)، والسبب لأن عدم المادة يستلزم الظلم والجبر، فلاحظ، وتجد تفصيلا في التعليقة اللاحقة رقم(٤١) (من ثمرات الحكمة).

تعالى بملائكته وهذا شي ممكن وهو تعالى قادر عليه، وأما ما ذهب الشيخ المفيد رضوان الله عليه في أن الأعمال أعراض لا يعقل تجسمها ولا وزنها وإنما الوزن الوارد في الأخبار محمول على المجاز، فلا يلتفت إليه ولا يعتمد عليه، لأن هذا ليس بمحال، وقد أخبر به سبحانه بلسان أوليائه عليهم السلام وقال به العلماء المحققون فيكون واقعا، وما قيل بأن الأعمال لا تتجسم وإنما يخلق الله سبحانه بإزاء الأعمال ومناسبها صوراً حسنة أو قبيحة تكون هي الموزونة في الميزان، وتكون هي التي مع الإنسان في عالم البرزخ، فبطلانه مثل القول الأول لأنه ـ أي العامل ـ توهم أن الأعمال عرض لو تجسمت للزم انقلاب العرض جوهرا وذلك باطل، فذهب إلى ما ذهب لكنه خطأ خطأ كبيرا لوجود الروايات في التجسم، ولأنا قد برهنا أن كل شيء عرض بالنسبة إلى فاعله الذي يتقوم به وجوهر بالنسبة إلى مفعوله وأثره الذي يقومه ويحققه، وهذا هو مذهب أئمتنا عليهم السلام إن تصفحت الأخبار وتدبرت خلال تلك الديار فإنك رأيته أوضح من الشمس في رابعة النهار.

تنبيه آخر: ولا تتوهم من قوله عليه السلام: (الدنيا مزرعة الآخرة)، وقوله عليه السلام: (إنما أعمالكم ترد عليكم)، وقوله: (من قال لا إله إلا الله غرست له كذا وكذا)، ومن قولنا أن مادة الجنة والنار هي الأعمال البدنية والقلبية أنه يلزم عدم وجود الجنة والنار الآن بالنسبة إلى من يوجد في المستقبل، وذلك مخالف لما نص عليه الشرع لأنا قد حققنا في موضعه أن الله تعالى ليس زمنياً فليس له ماض ولا مستقبل بل الأشياء كلها حاضرة لديه موجودة عنده، فلم يفقد شيئاً من الأشياء في ملكه ولا يطري عليه الانتقال بحال من الأحوال، قال عليه السلام: (لم يكن خلوا من الملك قبل إنشائه)[1] يعني أنه تعالى لم يكن ملكه الإمكاني

(١) ورد في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: (لا كان خلوا من الملك قبل إنشاء=

الذي جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة خلو عن الملك الكوني قبل إنشائه تعالى ذلك الملك الكوني في عالم الأكوان بالتدريج المقتضي على حسب قوابل الموجودات أو سؤالها بألسنة استعدادها، وهذا التقديم والتأخير والقبل والبعد والمعنى والمستقبل اختلافات راجعة إلى القابل لا الفاعل.

والحاصل أن الجنة والنار الآن موجودتان عند الله بحكم جفاف القلم، وإن شئت قل أن الأشياء كائنة كلها في الإمكان في النسبة إلينا غير موجودة لدينا إلا بالتدريج، وأنها كائنة في الكون بالنسبة إليه تعالى، لما قلنا أنه تعالى ليس زمانيا وإلا لكان محاطاً مختلف الأحوال ولكان جاهلاً بالأشياء ـ تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا ـ فافهم ما سطرنا لك من المقالات وزبرنا من البيانات فإنها مأخوذة من كلمات أئمتنا السادات عليهم السلام أفضل البركات وأتم التحيات ما دامت الأرضون والسماوات أرض القابليات وسماء المقبولات.

---

=الملك، ولا يكون منه خلوا بعد ذهابه) أصول الكافي، ج١ ص٨٨، باب الكون والمكان.

# تنبيه [١٤]

قلنا أن الجنة والنار دائمتان بإبقاء الله من دون فناء أبداً، لأن ما خلقه الله لا ينعدم قط[١] ولا يلزم انقطاع الفيض المستلزم للعبث في الإيجاد، وهذا ينافي القدرة الكاملة والحكمة التامة البالغة، فبناء على

---

(١) التعليقة ٤١: أقول السبب في ذلك أن مادة الأشياء لا تنعدم بل العدم يقع على تركيبها (صورها) بشكل قطعي ومستمر في تبدل حسب الأسباب والظروف، فورد [عن جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدثنا الحسن ابن علي بن عاصم البزوفري، قال: حدثنا سليمان بن داود أبو أيوب الشاذكوني المنقري، قال: حدثنا حفص بن غياث القاضي، قال: كنت عند سيد الجعافرة جعفر ابن محمد عليه السلام لما أقدمه المنصور، فأتاه ابن أبي العوجاء، وكان ملحدا، فقال له: ما تقول في هذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾. هب هذه الجلود عصيت فعذبت، فما بال الغيرية؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويحك هي هي، وهي غيرها. قال: أعقلني هذا القول. فقال له: أرأيت لو أن رجلا عمد إلى لبنة فكسرها، ثم صب عليها الماء وجبلها، ثم ردها إلى هيئتها الأولى، ألم تكن هي هي، وهي غيرها؟ فقال: بلى، أمتع الله بك]. (الأمالي ـ الشيخ الطوسي ـ ص٥٨١). أي هي هي من حيث (المادة) وهي غيرها من حيث (صورتها)، وورد عن الأمير عليه السلام قوله: [أيها الناس، إنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء، لكنكم من دار إلى دار تنقلون] (الإرشاد ـ الشيخ المفيد ـ ج١ ـ ص٢٣٨). أي أن كل ما خلق ووجد لا يذهب للعدم مطلقا والفيزياء الحديثة تقول أن المادة لا تذهب للعدم ولا تستحدث، فتدبر.

هذا تكون الأشياء سائرة إلى ما لا نهاية له وذلك السير في السلسلة العرضية دون الطولية كما علمت سابقا، يعني أن حركة الأشياء دورية كالنهر المستدير يعود إليه كلما يذهب عنه(١)، والعائد هو الذاهب يأتي منه إليه فلو كان ما ذهب عنه لا يعود وأن ما يأتيه جديد لكان زيد جديد أبداً، فإذا يرتفع الثواب والعقاب وتبطل الشرائع والديانات، لأن العامل المباشر للطاعة أو المعصية ذهب وما يأتيه من المدد جديد لم يعمل شيئاً حتى يستحق أجرا من الثواب والعقاب كما ترى في النهر الجاري، لأن العائد الآتي منه غير الذاهب الفائت بخلاف النهر المستدير، لأن ما ذهب عنه هو الذي يعود إليه.

والسر في ذلك هو أن الله تعالى أقام الأشياء بأظلتها وتجلى لها بها منها، إذ الشيء معدوم في رتبة علته وإنما هو موجود في مرتبته أوجده علته بنفسه يمده به فباطنه يستمد من ظاهره وظاهره يستمد من باطنه، يعني أن العامل إذا توجه إلى الله بقلبه يتقوى بالعمل ظاهره وجسده، وإذا عمل بظاهر بما أراد الله منه من العمل والطاعة يتقوى به قلبه وباطنه وهكذا يسير إلى ما لا نهاية له.

وقولنا أن الشيء معدوم في رتبة علته... إلخ، نريد به أن الشيء إذا

---

(١) التعليقة ٤٢: أقول أن المدد الإلهي للموجودات لا يتم إلا بشكل دائري بحكم القرآن الكريم حيث قال سبحانه مخاطبا جميع الكائنات والموجودات من خلال الإنسان: (كما بدأكم تعودون). لأن الذهاب والعود لا يكون إلا في الشكل الدائري وهذا واضح، يقول الشيخ الأوحد الأحسائي في شرح فوائده عن دائرية المدد: (فكل شئ محدث كرة مجوفة يدور على نقطة هي علته لا إلى جهة فيستمد منها ما لم يصل اليه مما له ومما وصل إليه بعد أن تجاوزه إلى مبدئه وهذه الحركات والتطورات تنقلات إذ بها يسير الشئ إلى منتهاه) [ص٢٥٢]. وهذا ثبت بشكل قطعي في الفيزياء الحديثة أن كل شيء يدور في شكل دائري.

لم يكن من سنخ علته لم يكن مدده إلا من سنخه ونوعه، ولو كان مدده من سنخ علته لزم تنزل العلة وانعدام المعلول لعدم طاقة المعلول ما للعلة، ولزم أن يكون المعلول علة، فلما لم يكن المدد من سنخ العلة ولا يأتي من ذاته يكون المدد من فعل العلة الذي ظهر له به، كما ترى في الكتابة أن الألف تستمد من الكاتب من فعله الظاهر للألف على نحو الاستقامة، فالألف لم يزل ناظرا إلى الكاتب على وجه الاستقامة التي هي باب فيضه ومدده، وهكذا كل حرف من الحروف.

وسر السر في ذلك هو أن الله تعالى خلق الأشياء كل واحد منها كاملا وجعل عنده جميع ما يتعلق الجعل به حتى لا يكون محتاجا إلى غيره، بل جعله محلا لجعله وإرادته على حسب إقباله وتوجه كما قال: (يا ابن آدم أطعني أجعلك مثلي أنا أقول لشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون)[١].

ولا يتوهم أنا نقول أن الأئمة عليهم السلام ونحن في كوننا محلا لإرادته تعالى سواء، حاشا وكلا ثم حاشا وكلا لما برهنا بالأدلة القطعية من العقليات والنقليات أنهم الصادر الأول الذي لا ثاني له، لأن الموجودات التي بعدهم نورهم وظهورهم، ونور الشيء أثر الشيء والأثر لا يعد ثانياً للمؤثر، لا يقال أن السراج واحد ونوره ثانيه، ولا يقال رأيت سراجا ونوره لأن الذات غيبت الصفات، فلم يكن لموجود من الموجودات نصيباً مما للصادر الأول، نعم كل موجود له رأس من

(١) في كتاب الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ص٧١٣ ما هذا نصه يا بن آدم، أنا غني لا أفتقر، أطعني فيما أمرتك أجعلك غنيا لا تفتقر. يا ابن آدم، أنا حي لا أموت، أطعني فيما أمرتك أجعلك حيا لا تموت، أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء: كن فيكون.

المشيئة الكلية، بل وجه من رأس منها، وذلك الوجه فيه جميع ما يحتاج إليه، لأنه تعالى خلق ذلك الوجه الجزئي على نحو كلي كما سبق تفصيله فراجع، ألا ترى أن الألف له من الحركة الكلية وجه من رأسها، لأن الحركة الكلية محلها يد الكاتب ورأس تلك الحركة الكلية هو الذي يصلح لجميع الحروف مطلقا، وأما الألف المخصوص فله من الحركة وجه من ذلك الرأس المطلق من الحركة الكلية.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن يد الله هو الإمام عليه السلام وهو محل المشيئة الكلية الإلهية، فلا يريد إلا ما أراد الله وما أراد الله إلا ما يريد، يعني إرادته إرادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(١).

ها هنا إشارة ترغيبية وهي أنه تعالى لما جعل كل شيء خزينة جامعة لما أراده منه بما أراد كما أراد، وجعله كتابا مبينا كتبه بيمينه وحفظه بقدرته وكلاءته ينبغي له السعي في الطاعة والإقبال لإبراز الكمالات المجعولة المنطوية فيه من الإمكان إلى الكون وهو قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾(٢)، وهذا هو المطلوب منه وخزينة الله لا نفاد لها ولا تنتهي أبداً وإلا لزم عجزه تعالى.

والحاصل أن الشيء الممكن السائر إلى الله تعالى يستمد منه تعالى بالمدد الجديد آنا فآنا وهو قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾(٣)، وهذا المدد يأتيه من الله له به منه تدريجا وهو لا زال يصاغ ويكسر ثم يعاد ثم يكسر ثم يصاغ أي يعاد وهكذا، والمدد الآتي للشيء يأتيه من الإمكان الراجح الذي فيه وذلك المدد لا يكون

(١) الإنسان ٣٠.
(٢) النجم ٣٩.
(٣) ق ١٥.

لغيره وإنما هو له، وإلا لم يكن ذلك الشيء ذلك الشيء بل كان غيره، كما أن الحركة الخاصة بالألف المستقيم لو كانت للباء لكان الباء ألفا ولم يكن الباء باء، فإذا علمت أنه لا انقطاع للسير ولا انقطاع للمدد، وعلمت أن العائد هو الذاهب كالنهر المستدير علمت بطلان قول من ذهب إلى نفي المدد الجديد آناً فآناً مستدلاً بلزوم الجبر من تغيير الصورة، لأن المدد الجديد الآتي غير المدد الذاهب، وهذا يستلزم بطلان الحساب والعقاب وبطلان الشرائع والأحكام، وذلك جبر لأن النافي توهم أن العائد الآتي من المدد غير الذاهب ولم يعلم أنه هو هو وهو غيره، ولم يعلم أن العلة المبقية هو العلة الموجدة بعينه، لأن الإبقاء إيجاد والإيجاد هو المثال الذي ألقي في هوية الشيء، لأنه تعالى تجلى له به وأقامه بنفسه وأمده بنفسه، لأن الشيء آية لمشيئته ومشيئته مخلوقة بنفسها، فلا يكون لسيره نهاية ولا غاية وكلما لا غاية له لا أول له لما ثبت أن الشي يسير إلى ما منه بدأ وهو قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[١] أي بدؤكم عودكم، وبالضرورة أن الخلق بعد الحشر إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار باقون إلى ما لا آخر له ولا نهاية، وهذا دليل على أن البدء أيضاً كذلك، لأن العود صعود لا يكون إلا إلى ما منه نزل، وما منه نزل لابدء له في الإمكان، وأما عند الله فله بدء ولكنه ليس له بدء زماني ولا دهري، إذ الزمان والدهر تحت هذه الرتبة ـ أي البدء ـ لأنه تعالى خلق الخلق دليلا عليه على صفاته الفعلية الظاهرة لهم، كدلالة الكتابة على حركة يد الكاتب لا على ذاته، ومن الصفات الفعلية أنه تعالى لا أول له ولا آخره له وهذا الوصف نفس حقيقة الشيء، فمن عرف

(١) الأعراف ٢٩.

الوصف عرف الموصوف، ولولا ذلك للزم التكليف على ما لا يطاق، كما إذا قيل للأعمى أبصر.

فإن قلت: إن العقول تأبى عن معرفة هذا المعنى للأثر الحادث.

قلت: إن العقول لا تدرك ذلك، وإلى هذا أشار إليه عليه السلام في قوله: (إلهي قد تلاطمت أمواج قاموس قدرتك فظهر في كل مقدور آثار قدرة غريبة عجيبة لا يبلغ كنهها عقول العقلاء وفهوم العلماء وأوهام الحكماء)[١] انتهى.

ولا ريب أن البحر وتلاطمه وأمواجه حادثة، وكذلك الآثار الظاهرة من تلاطم أمواجه، ويؤيد ذلك ما في دعاء سهم الليل عن مولانا القائم عليه السلام وهو قوله: (اللهم ذهلت العقول وانحسرت الأبصار وضاعت الأفهام وحارت الأوهام وقصرت الخواطر وبعدت الظنون عن إدراك كنه كيفية ما ظهر من بوادي عجائب أصناف بدائع قدرتك دون البلوغ إلى معرفة تلألؤ لمعات بروق سمائك)[٢] الدعاء.

ويؤيده أيضاً ما في الصحيفة السجادية عليه السلام في الدعاء بعد صلاة الليل إلى أن قال: (واستعلى ملكك علوا سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به عن ذلك اقصى نعت الناعتين)[٣]. الدعاء.

وملكه حادث و(الناعتين) جمع محلى بالألف واللام يفيد العموم، أي جميع الناعتين بأقصى نعتهم لو أرادوا أن ينعتوا ذلك الملك لا يمكنهم لأن ذلك الملك وصف الله تعالى، ووصفه تعالى لا يوصف وإلا لزم وصف الموصوف تعالى، نعم إن ما يدرك هذا المعنى من

---

(١) زاد المعاد ص٤٥٥.
(٢) البلد الأمين والدرع الحصين ص٣٤٩.
(٣) الصحيفة السجادية ١٤٦.

وصفه تعالى في عالم الإمكان من المدارك هو الفؤاد وباب المراد، لأنه مشعر إلهي وعين سبحاني يدرك الشي مجردا عن الحدود معرى عن القيود، من الكم والكيف والجهه والرتبة والوقت والمكان، والأعلوية والأسفلية ومن قد وفي وعن ومن وإلى وعلى ومع ومتى ولدى، ومن كل حد، وهذا المشعر هو أعلى مشاعر الإنسان به يعرف الله فقط، لكنه لا يدركه إلا القليلون من الصديقين في الطلب، وهو أعلى من مشعر العقل(١)، فعليه بكشف السبحات وإزالة الإنيات بتصفية الباطن من التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وتهذيب الأخلاق والإعراض عن الخلق بالقلب، فإنها مقدمة لتحصيل ظهور هذا المشعر.

---

(١) التعليقة ٤٣: أقول أن حواس الإنسان لها قيمة معرفية عند الشيخ الأحسائي والفكر البشري، ولكن ما هو ليس معروفا هو حاسة الفؤاد (الوجود) لذلك أحتاجت لبيان في ترتيب الحواس في حكمة الشيخ وقيمة الفؤاد كحاسة معرفية لهذا دعونا نسمع الشيخ الأوحد نفسه يتحدث عن الموضوع يقول: [فإن أعلى مشاعره الفؤاد الذي يستعمل غالبا في المعرفة المقابلة بالإنكار وهو نور الله للمتوسم المتفرس منفعل بهذه المعرفة وما دونه من المشاعر كالعقل والقلب الذي هو محل اليقين وما دونه كالصدر الذي هو محل العلم وما دونه من الوهم والخيال والفكر والحس المشترك والمشاعر الظاهرة التي هي الحواس الخمس ومحالها وسائر الجسم منفعلات بها بالطريق الأولى وصدق الانفعال في جميعها العمل بمقتضاها لأن العلم لا يثبت ولايتحقق ولايقبل إلا بالعمل بمقتضاه كما أن العمل بغير علم لاينفع] [شرح الزيارة، ج٣ص٥٩]. لذلك حاسة الفؤاد من أهم الإضافات التي أضافها الشيخ الأوحد الأحسائي للفكر البشري، فتحتاج للدراسة والبحث الكثير من قبل علماء النفس الإسلامي نزولا عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ﴾. (من ثمرات الحكمة).

فإذا حصل لك الوصول إلى معرفة الفؤاد فقد فزت فوزاً عظيماً ولك الحظ الأوفى من الرقيب والمعلى.

## [ختام الهداية]

هذا آخر ما أوردنا في هذه الهداية، هدى الله طالبيها إلى ما فيها من المطالب كما هي بمحمد وآله الطاهرين.

وقد فرغ من تسويدها منشؤها أبو تراب ابن محمد حسين يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال المكرم في بلدة طهران من شهور سنة تسع وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية المصطفوية على مشرفها السلام والتحية وتاريخه بالهندسة هذا سنة ١٢٥٩هـ.

# فائدة ملحقة بالكتاب

توجد فائدة ملحقة بالكتاب كتب نصفها باللغة العربية ونصفها باللغة الفارسية، وقد تفضل مشكوراً سماحة الحكيم الإلهي آية الله المعظم المولى الميرزا عبد الله الحائري الأحقاقي حفظه الله بالترجمة للجزء الفارسي، ونضعها هنا للفائدة:

اعلم أن الإمكان قسمان، إمكان راجح وإمكان جائز، أما الإمكان الراجح هو عبارة عن مذكورية الأشياء في المشية وتساويها حين وجودها، والمراد بالمذكورية هو محض صلوح التعلق لا غير، وفي بعض الأحيان يطلق لفظ العدم على هذا الوجود منها ما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[1]، وأيضاً يطلق عليه الوجود العلمي كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[2] قال الصادق عليه السلام: (كان مذكوراً في العلم ولم يكن مكوناً)[3]، فإذن الإمكان الراجح هو ذكر الأشياء في المشية،

---

(١) مريم ٦٧.

(٢) الإنسان ١.

(٣) في المحاسن؛ ج١؛ ص٢٤٣ عن زرارة عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ـ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا فقال كان شيئاً ولم يكن مذكورا وفي الكافي ج١؛ ص١٤٧ عن مالك الجهني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً قال فقال لا مقدرا ولا مكونا قال=

وسبب تسميتها بالراجح أنه في تحقق وجودها لا تحتاج لشرط ولا سبب له غير نفس ذاته وظهور المبدأ، ففيض الفياض أبدي ولا نهاية له بدواً وعوداً.

ومثال هذا هو الحركة الإيجادية في نفسها، لأن الحركة صالحة لجميع ما يصدر منك من الحركة والسكون والأكل والشرب والقيام والقعود والنوم واليقظة وأمثال ذلك قبل أن تتعلق بأثر خاص، ولما تتعلق الأسباب واللوازم الخارجية تتعلق الحركة الإيجادية بحسب الشرائط فخصت وانوجدت ما وجدت وجه من الوجوه غير المتناهية التي كانت مذكورة في فعلك، وإذا ارتفعت الشرائط ارتفع ذلك الوجود الكوني من الكون، ولكن هو باق في الإمكان الفعلي، فذكر جميع آثارك في فعلك إمكان راجح لتلك الآثار التي تثبت وتبقى مع وجودك ولا تفنى، وما ظهر في الخارج من تلك الآثار والمفعولات إمكان جائز، أعني يتساوى وجودها وعدمها، يعني إذا صارت الآثار موجودة يكون الأثر موجوداً بمقتضاها، وإذا حصلت الأسباب بخلافه ترتفع الأسباب.

اعلم أن النسبة بين الذات والآثار منفية وإلا لزم وجود الكثرات اللانهائية المنافية مع الوحدة، هذا إذا كان المراد من النسبة ربطاً قسيمياً بين الذات والأثر كما أبطله الباقر عليه السلام في دليل الفرجة، وأما إذا كانت النسبة والربط مقسميا فذلك عندنا منفي، فإنه يستلزم تركيب الواجب وقدم الممكن وتشيء الممتنع، وأن الواجب تحت كلي وفوقه شي هو أصل الواجب والكل إحالة العقل والنقل والضرورة، وهذا الربط المقسمي عبروه بالوجود المطلق الذي لا حادث فلا تقسيم ولا

=وسألته عن قوله ـ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً فقال كان مقدراً غير مذكور.

قديم ولا شيء ولا لشيء لا إمكان ولا وجوب وقالوا أنه مع الحادث حادث، ومع القديم قديم ومع الشيء شيء ومع اللاشيء لاشيء.

وأما نحن فنقول أن النسبة بكل معانيها باطلة كما عرفت، وكما قال الرضا عليه السلام وروحي فداه: (حق وخلق ولا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما)[1] انتهى، فإن قوله روحي فداه: (لا ثالث بينهما) يبطل القول بالنسبة القسمي، وقوله روحي فداه: (ولا ثالث غيرهما) يبطل النسبة المقسمي، وأما نسبة الأثرية والمؤثرية، فبين الفعل والمفعول كما بين الكاتب والمكتوب، فهذا إذا كان المراد من الذات الذات المقابل للفعل، وأما إذا كان المراد منها المقابل للغير فهناك لا نسبة أبداً، كما تقول أنا الكاتب لا غيري فحينئذ الذات غيبت الأفعال والصفات، وإنما وجدت وترجحت الأفعال والآثار لا من شيء كما حققنا في بيان معنى (كن فيكون)، فإن فاعل (كن) المخاطب المفعول ضميره، يعني أن المفعول فاعل فعل الفاعل وهذا هو معنى الترجح، فالفاعل تعالى أوجد المفعول لا من شيء فلا يكون جامعاً فإنه ليس هناك اثنان حتى يفتقر إلى الجامع، والربط بل هو تعالى وظهوره وظهور الشيء ليس ثانياً من الشيء، والظهور ليس بظهور الشيء وإلا لاختلفت حالاته في ذاته، وهذا يستلزم أن لا يكون الشيء شيئاً في جميع الحالات لاختلاف ذاته وتنقلها بتطوراته الذاتيه، فلا يكون مع الذات اختلاف ولا تغير ولا كثرة بل هو هو وحده لا شريك له، وإنما الاختلاف في الأفاعيل، والفعل والذات ليسا شيئين قسيمين وإلا لزم الاستقلال في حق الأفاعيل وهو باطل بالبديهة، وإنما الاثنينية تعبيرية للتفهيم والتفهم، وذلك عند العلم لا عند العمل.... هناك لا سواه.

---

(١) ما وجدناه في التوحيد ص٤٣٨ وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ ج١؛ ص١١١ وإنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما.

فإن قلت: إن إنوجاد الأثر بالمؤثر ربط ونسبة ولا مفر من ذلك.

قلت: إنا قلنا النسبة لها معنيان وابطلتاهما وهذا الذي تقول في الواقع تعبير عن عدم استقلال الأثر وهذا القدر من النسبة، بمعنى أنه لولا المؤثر لم يكن للأثر وجود ضروري لافتقار الأثر واستمداده من المؤثر آنا فآنا لا شيء، وهذا المعنى من النسبة لا يثبت القدر الجامع المقصود عند القوم واشتراك لفظ الوجود فيها، واستعمال الألفاظ المشتركة في التعبير أيضاً لا يحقق الوحدة في الذات، فإنه لو كان كذلك لم يكن المؤثر مؤثرا ولا الأثر أثرا ولم يكن للحادث وجود، مع أن الكلام في هذا المقام في الحادث والوجود الأثري وما قيل باعتبارية الحدوث والأثر ممنوع ببداهة الحس والعيان، وأيضاً لو كان الأثر عين المؤثر لكان الأثر مستحيل الانفكاك عن المؤثر، كما إذا قلت هذا زيد وقيامه مع أنه موجود ولا قيام، وما قيل بأن المراد العينية وجهه الأثر لا حدوده وتعيناته ممنوع مردود، فإذا انتقل الكلام في الحدود والتعينات، ولا شك أن الحدود والتعينات ليست أمورا دائمة الذات أزلية الصفات وذلك مشهود بالعيان لمن كان من نوع الإنسان.

# مصادر التحقيق


١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ

٣ ـ إحقاق الحق، الميرزا موسى الإحقاقي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ

٤ ـ الاختصاص، الشيخ المفيد، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

٥ ـ إرشاد القلوب إلى الصواب حسن بن محمد الديلمي ـ دارالشريف الرضي ـ قم ـ ١٤١٢ هـ الطبعة الأولى.

٦ ـ الأسفار، الملا صدرا الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٩٨١م.

٧ ـ أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، السيد هاشم محمد الشخص، مؤسسة أم القرى، إيران، ١٤١٦هـ.

٨ ـ إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.

٩ ـ الأمالي، الشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ.

١٠ ـ بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٠٣هـ.

١١ ـ بصائر الدرجات، الشيخ أبو جعفر الصفار، مؤسسة الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

١٢ ـ تأويل الآيات، السيد الاسترابادي النجفي، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، إيران، ١٤٠٧هـ.

١٣ ـ تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

١٤ ـ التغير الاجتماعي ـ محمد أحمد الزعبي، الطبعة الثالثة ـ ١٩٩٩م ـ جامعة دمشق.

١٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام، الإمام العسكري، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩هـ.

١٦ ـ تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٢٩هـ.

١٧ ـ تفسير الصافي، الملا محسن الفيض الكاشاني، مؤسسة الهادي، قم، ١٤١٦هـ.

١٨ ـ تفسير العياشي، الشيخ العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

١٩ ـ تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، مكتبة الهدى، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٠ ـ تفسير آية الكرسي، السيد كاظم الرشتي، مؤسسة المصطفى، لبنان، ١٤٢٨هـ.

٢١ ـ التوحيد، الشيخ الصدوق، جماعة المدرسين بالحوزة العلمية، إيران، ١٣٩٨هـ.

٢٢ ـ جامع الأخبار ـ محمد بن محمد الشعيري ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ الأولى.

٢٣ ـ جوامع الكلم، الشيخ الأوحد، مطبعة الغدير، العراق، ١٤٣٠هـ.

٢٤ ـ جوامع الكلم، طبعة حجرية، تبريز.

٢٥ ـ جواهر الحكم، السيد كاظم الرشتي، شركة الغدير، العراق، ١٤٣٢هـ.

٢٦ ـ الجواهر السنية، الحر العاملي، مكتبة المفيد، قم، ١٣٨٤هـ.

٢٧ ـ حوار بين الإلهيين والماديين ـ محمد الصادقي ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ دار المرتضى ـ بيروت.

٢٨ ـ حياة النفس، الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي، ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، دار بيروت.

٢٩ ـ حياة النفس في حضرة القدس، الشيخ الأوحد، مؤسسة الإحقاقي، ١٤٢٦هـ.

٣٠ ـ رسائل المحقق الكركي، الشيخ علي الكركي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠هـ.

٣١ ـ رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ.

٣٢ ـ رسالة الإيمان ـ الإمام المصلح العبد الصالح المرجع الراحل آية الله العظمى الميرزا حسن الإحقاقي ـ الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام بيروت.

٣٣ ـ شرح أصول الكافي، لمولى محمد صالح المازندراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ.

٣٤ ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الشيخ الأوحد الأحسائي، مطبعة السعادة، كرمان.

٣٥ ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الشيخ الأوحد الأحسائي، مكتبة العذراء، ١٤٢٤هـ.

٣٦ ـ شرح العرشية، الشيخ الأوحد الأحسائي، مؤسسة شمس هجر، لبنان، ١٤٢٦هـ.

٣٧ ـ شرح الفوائد، الشيخ الأوحد الأحسائي، مؤسسة فكر الأوحد، لبنان، ١٤٢٦هـ.

٣٨ ـ شرح المشاعر، الشيخ الأوحد، مؤسسة الإحقاقي، لبنان، ١٤٢٨هـ.

٣٩ ـ الشيعة في أحاديث الفريقين، السيد مرتضى الأبطحي، مطبعة أمير، ١٤١٦هـ.

٤٠ ـ الصحيفة السجادية، إشراف السيد الأبطحي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤١١هـ.

٤١ ـ العقل والجهل في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، دار الحديث، ١٤٢١هـ.

٤٢ ـ علل الشرائع، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ.

٤٣ ـ عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ.

٤٤ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، الأعلمي، لبنان، ١٤٠٤هـ.

٤٥ ـ عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الواسطي، دار الحديث، قم.

٤٦ ـ الكافي، الشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.

٤٧ ـ كامل الزيارات ـ جعفر بن محمد ابن قولويه ـ دار المرتضوية ـ النجف ـ ١٣٩٧هـ ـ الطبعة الأولى.

٤٨ ـ الكلمات المكنونة، الملا محسن الفيض الكاشاني، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٦هـ.

٤٩ ـ مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي.

٥٠ ـ المحاسن ـ أحمد بن محمد بن خالدالبرقي ـ دار الكتب الإسلامية ـ قم ـ ١٣٧١ هـ ـ الطبعة الثانية.

٥١ ـ مخازن جواهر أسرار التنزيل، الميرزا حسن كوهر، مؤسسة الإحقاقي، بيروت، ١٤٣٤هـ.

٥٢ ـ مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠هـ.

٥٣ ـ المزار، الشيخ محمد المشهدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ.

٥٤ ـ مستدرك الوسائل، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ.

٥٥ ـ مصباح الأنوار مخطوط.

٥٦ ـ مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام.

٥٧ ـ مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان، ١٤١١هـ.

٥٨ ـ المصباح المنير ـ آية الله ميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ ـ مطبعة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء.

٥٩ ـ معاني الأخبار ـ الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمي ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ـ قم ـ ١٤٠٣ هـ ـ الطبعة الأولى.

٦٠ ـ مفاتيح الأنوار، الشيخ محمد بو خمسين، مؤسسة المصطفى، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٦٠ ـ ملحق نهج البلاغة، أحمد بن يحيى بن ناقة الكوفي، مكتبة ومتحف مركز وثائق مجلس الشورى الإسلامي، طهران، ١٤٣٤هـ.

٦٢ ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، إيران.

٦٣ ـ نهج البلاغة، الشريف الرضي، دار المعرفة، بيروت، .

٦٤ ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.

# المحتويات

**مقدمة لجنة التحقيق** ........ ٥
**ترجمة المصنف** ........ ٧
نشأته ........ ٧
المسيرة العلمية ........ ٨
سفره ........ ٩
مؤلفاته ........ ١٠
منهج الشيخ أبو تراب ........ ١٢
وفاته ........ ١٤
وقفة مع كتاب الهداية ........ ١٤
**مصادر الترجمة** ........ ١٩
[**تمهيد**] ........ ٢١
[مقدمات مهمة] ........ ٢٩
تنبيه [١] ........ ٥٤
[إثبات الصانع عقلاً ونقلاً] ........ ٦٠

تنبيه [٢] ........................ ٦٤
فائدة [في ذكر بعض المذاهب الفاسدة] ........................ ٦٨
[الفرق بين المعرفة الفطرية والنظرية للخالق تعالى] ........................ ٧٣
تنبيه [٣] ........................ ٧٦
[في معنى دخول الواجب تعالى وخروجه] ........................ ٧٦
[إثبات توحيده تعالى عقلاً ونقلاً، وصفاته سبحانه] ........................ ٧٦
تنبيه [٤] ........................ ٨١
تنبيه [٥] ........................ ٨٧
[الأقوال في الوجود وتحقيق الحق منها] ........................ ٨٧
تنبيه [٦] ........................ ٩٦
[دليل الفرجة] ........................ ٩٦
[الدليل النفساني على وحدته تعالى] ........................ ٩٨
هداية: [في معرفة الأدلة ومشاعرها] ........................ ١٠٠
تنبيه [٧] ........................ ١٠٤
[في معنى وحدته تعالى] ........................ ١٠٤
[بحث العدل] ........................ ١٠٥
[الحسن والقبح هل هما عقليان أم شرعيان] ........................ ١٠٦
تنبيه [٨] ........................ ١٠٧
[الجواب عن إشكالية خلق الشر] ........................ ١٠٧
[التحقيق في مسألة الأمر بين الأمرين] ........................ ١١١

[الأدلة النقلية في مسألة القدر] ........................ ١١٥
[كيفية صدور الموجودات من مبدأ الكائنات وتحقيق مسألة الفصل
والوصل] ........................................ ١١٦
[القوس الصعودي والنزولي] ............................ ١٢٢
تنبيه [٩] ........................................ ١٢٤
[بطلان انقلاب الحقائق] ............................. ١٢٤
[الصادر الأول] .................................... ١٤٣
[علة اختلاف الأشياء] ............................... ١٤٥
[إثبات وجود عالم الذر عقلاً ونقلاً] ...................... ١٥١
[ثبوت الاختيار عقلاً ونقلاً] .......................... ١٥٩
[شرح السلسلة الطولية] .............................. ١٦٧
[عجز الخلق عن معرفة محمد وآل محمد عليهم السلام] ............... ١٧٠
[بيان معنى أن الإمام عليه السلام علة للخلق] ...................... ١٧٦
[إثبات حدوث المشيئة] .............................. ١٨٠
[دفع الإشكالات الواردة على القول بأن الإمام عليه السلام علة] ....... ١٨٤
[إثبات العلة الفاعلية لمحمد وآله الطاهرين] ................ ١٨٩
[بيان أن أهل البيت عليهم السلام هم العلة المادية، والصورية، والغائية] . ١٩٤
[قاعدة شريفة نافعة] ............................... ١٩٨
تنبيه شريف [١٠] .................................. ٢٠٣
[الدليل على وجود الإمام عجل الله فرجه الآن] .............. ٢٠٣

[تحقيق في علم الله تعالى وعلم أهل البيت عليهم السلام] .............. ٢٠٦
[معنى السفر إلى الله تعالى وذكر علته] .................. ٢١٩
[شرح الأسفار الأربعة] ........................ ٢٢٣
[في معنى الحركة والمنازل التي يقطعها المسافر] ............. ٢٢٦
[الفرق بين السلسلة الطولية والعرضية] .................. ٢٢٨
[علامات المسافر] .......................... ٢٤٠
[أنواع المسافرين] .......................... ٢٤٠
[وقفة مهمة في معرفة الإنسان الحقيقي] .................. ٢٤٦
[أنواع العلوم] ......................... ٢٥١
[طرق السلوك] .......................... ٢٥٦
[ذكر الآداب لأصحاب السلوك] .................... ٢٦٠
تنبيه [١١] ............................ ٢٦٦
[تحقيق مسألة المعاد الجسماني] ................... ٢٦٦
[رد شبهة الآكل والمأكول] ..................... ٢٧٥
تنبيه [١٢] ............................ ٢٧٧
[إثبات وجود الجنة والنار] ..................... ٢٧٧
تنبيه [١٣] ............................ ٢٨٠
[المنكرون للمعاد] .......................... ٢٨٠
[تحقيق في بطلان النسخ والمسخ والرسخ والفسخ] ........... ٢٨١
[تجسم الأعمال] .......................... ٢٨٤

تنبيه [١٤] ........................................ ٢٨٧
[ختام الهداية] ........................................ ٢٩٥
فائدة ملحقة بالكتاب ........................................ ٢٩٧
مصادر التحقيق ........................................ ٣٠١